دولة قطر
جامعة قطر

حولية
كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية

العدد الثالث
١٤٠١هـ - ١٩٨١م

مكتبة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

جامعة قطر

حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية

العدد الثالث

١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

فهرس الحولية

أشكال الأرض وحياة النبات في قطر

دراسة تفصيلية للنظم الجيومورفولوجية من وجهة البيئة النباتية

الدكتور
كمال الدين البتانوني
أستاذ علم البيئة

تقع دولة قطر ، مثل معظم شقيقاتها العربيات ، في الحزام الصحراوي الجاف ، الذي يمتد من المحيط الأطلسي حتى أواسط آسيا ، ويفرض هذا الموقع الجغرافي على قطر بيئة صحراوية جافة ، تتميز بمطر قليل (متوسط ٨٠ مم في العام) غير منتظم من حيث المكان والزمان ، علاوة على التباين الشديد في درجات الحرارة بين الليل والنهار ، والصيف والشتاء . وتعكس الحياة النباتية في قطر هذه الصورة للبيئة الجافة ، فالكساء النباتي مبعثر ، ذو نباتات معمرة متباعدة ، يكاد يقتصر وجودها بصفة دائمة على مواطن محدودة . وبذلك تلعب التضاريس الموضعية ، وأشكال الأرض دوراً ملموساً في حياة النبات ، وهو دور ناجم عن تأثير التضاريس الموضعية على خصائص التربة ومصادر المياه لكل بيئة .

وقد أجرى هذا البحث الذي يوضح العلاقة بين أشكال الأرض والحياة النباتية خلال الدراسة الحقلية لمسح الفلورا ودراسة البيئة النباتية في دولة قطر ، وتم ذلك في العامين ١٩٧٩ ، ١٩٨٠ م .

مسميات أشكال الأرض في قطـــر

بالرغم من تواضع التضاريس في شبه الجزيرة القطـرية ، حيث لا يزيد ارتفاع أعلى نقطة فوق سطح البحر عن ١٠٣ متراً ، فإن المسافر عبر شبه الجزيرة يتبين وجود أشكال عديدة للأرض ، ويزيد من وضوح هذه الأشكال تباين الكساء النباتي من حيث كثافته والأنواع النباتية المكونة له ؛ ويتضح ذلك من المسميات التي يستعملها القطريون لأشكال الأرض المختلفة ، وتستعمل بعض هذه المسميات في الدول العربية الخليجية الأُخرى ، وسنسرد فيما يلي بعض المسميات الشائعة الاستعمال في قطـر .

بر قطـــر : ويطلق على هضبة الحماد الصخرية التي تكون معظم سطح شبه الجزيرة القطــرية .

الروضـــة : (الروضات ، الرياض) : وتتمثل بالمنخفض الذي يشكل تجويفاً أرضياً ، يمتلئ بالرواسب الفيضية أو الهوائية ، وينمو فيها كساء نباتي كثيف نسبياً من الشجيرات والأعشاب والحشائش .

الجـــرى : (الجريان) : وهو منخفض يمتد طولياً بين الحزوم ، وتتجمع فيه ماء السيول والتربة ، وهو أقل عمقاً من الروضة ، ولا تنمو فيه شجيرات السدر ، إنما يسوده نبات السمر عادة .

المنقـــــع : (المناقع) : ويتمثل بالأرض المسطحة المنخفضة قليلاً عما حولها ، وتتجمع فيه مياه السيول ، والتربة في المناقع أقل عمقاً منها في الروضات والجريان ، وعادة لاتنمو بها الأشجار والشجيرات .

الحـــزم : (الحزوم) : ويتمثل بالأرض المرتفعة عن قيعان الروضات والجريان والمناقع ،وسطحه مغطى بالحجارة والصخور .وتتعرض الحزوم لعوامل التعرية بدرجة أعلى من تعرض المنخفضات . وقد يقطع هذه الحزوم مسارب مائية ضيقة ، تؤدي بماء الانسياب السطحي إلى المواطن المنخفضة .

الهضبـــة : (الهضاب) : وتتمثـــل بالأرض الصخرية المرتفعـــة .

المسطاح : (المساطيح) : وهو الأرض المسطحة التي تحيط بالمنخفضات الضحلة ، والمساطيح معراة بفعل المياه والرياح .

الجبل : (الجبال) : ويطلق في قطر على سلسلة حواف صخرية ، مثل جبل دخان

السبخة : (السباخ) : الأرضي الملحية الساحلية أو الداخلية .

الطعس : (الطعوس) : الكثيب الرملي الهلالي ، الذي يعرف باسم برخان وهو الكثيب الهلالي المتحرك ، وينتشر هذا النوع في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة القطرية .

النقيان : وتتمثل بمنطقة الغرود الرملية المتلاحمة ، التي نتجت عن الزحف المستمر للكثبان الرملية الهلالية ، وتقع في الجنوب الشرقي من قطر .

النبك : (نباك) : ويتمثل بالأكمة التي تتجمع من الرواسب الفيضية حول أشجار وشجيرات السدر في الروضات .

العلاقة بين أشكال الأرض وحياة النبات

إن لأشكال الأرض آثاراً بعيدة المدى على البيئة وظروفها ، ومن خلال تأثيراتها المتداخلة على خصائص التربة ، ومصادر المياه والرياح والضوء والإشعاع والحرارة والرطوبة الجوية ، وغير ذلك من العوامل ، فإن أشكال الأرض تؤثر على توزيع الأنواع والعشائر النباتية ، وعلى نمو النباتات .

وقبل أن نستطرد في توضيح العلاقة بين أشكال الأرض وحياة النبات في قطر ، فإنه يتعين علينا أن نوضح طبيعة الكساء النباتي في الصحراء ، فهو يتميز بصفات تتلاءم مع ظروف الجفاف ، فمن أهم صفاته تباعد النبت عن بعضه ، وغالباً ما يتمثل الكساء النباتي بهيكل مستديم من النباتات المعمرة المتباعدة ، وتنمو في المسافات بين هذه النباتات بعد سقوط المطر نباتات حولية ، وبديهي أن النباتات تحصل على الماء من التربة وتفقده خلال عملية النتح ، وتباعد النباتات المعمرة في البيئة الصحراوية صفة تساعد على الحد من الاستنزاف السريع لرطوبة التربة ، وبذلك نجد أن كثافة

الكساء النباتي تتناسب مع كمية الرطوبة المتاحة في التربة ، وبمعنى آخر مع كمية المطر ، فكلما كان المطر قليلاً ، كانت كثافة الكساء النباتي محدودة ، والنبت مبعثراً متباعداً، وبازدياد المطر تزداد كثافة الكساء النباتي وتتقارب النباتات .

والنباتات الحولية – التي تظهر في الموسم المطير فقط – لا تستنفذ الرطوبة من الطبقات العميقة لضحالة جذورها ، ولذلك فهي لا تتنافس مع النباتات المعمرة من أجل الماء . لأنها تمتصه من طبقات لا يزيد عمقها عن ٤٠ سم في أغلب الأحوال ، أما النباتات المعمرة فإنها تضرب بجذورها في الأرض إلى أعماق كبيرة ، قد تزيد عن عشرة أمتار في حالة الشجيرات التي لا يزيد ارتفاع مجموعها الخضري عن مترين ، وبذلك فهي تحصل على الماء من الطبقات العميقة . ونظراً لجفاف الطبقات السطحية للتربة عند حلول فصل الجفاف ، فإن الطريقة الوحيدة التي تتأقلم بها النباتات الحولية لهذه الظروف هي هروبها من الجفاف ، ولذلك فهي تزهر وتثمر في فترة محدودة قد تصل إلى بضعة أسابيع ، وتمضي فصل الجفاف على شكل بذور مطروحة على سطح التربة أو مدفونة فيها ، وقد أثبتت بعض التجارب أن الظروف الحرارية التي تتعرض لها هذه البذور طوال شهور الصيف ، قد تزيد في كثير من الأحيان معدل أنبات هذه البذور عند سقوط المطر في الفصل المطير التالي (١) .

وإذا عدنا لأثر التضاريس على صفات التربة ، لوجدنا أن أي ارتفاع أو هبوط في مستوى سطح الأرض ، حتى لو كان لسنتيمترات معدودة ، تؤثر بدرجة ملموسة على خصائص التربة . ويظهر ذلك في إمكان التعرف على بيئات موضعية عديدة ، لا تبعد عن بعضها كثيراً ، نتيجة لأثر التغير الدقيق في التضاريس ، وتختلف خصائص التربة (٢) والمناخ الدقيق الموضعي(٣) ، والرطوبة المتاحة في التربة ونوعية النباتات في هذه البيئات .

فالأماكن المرتفعة تتعرض للتعرية بالرياح أو الماء أو الاثنين معاً بدرجة أكبر من

(١) Batanouny and Ziegler, 1973

(٢) Batanouny, 1973

(٣) Abdel Rahman and Batanouny, 1966

تعرض المواطن المنخفضة بالنسبة للتضاريس الموضعية ، وبذلك تحرم المواطن المرتفعة من التربة ، ولا يظل فيها سوى الحصى أو الصخور والجلاميد . وبذا تقل أو تنعدم فرصة نمو النباتات في هذه الأماكن ، إلا فيما بين الصخور حيث يحتفظ بقدر محدود من التربة ، وعموماً يقتصر الكساء النباتي في هذه البيئات على أنواع معينة ، أما في المواطن المنخفضة ، فإن الرواسب التي يحملها الماء أو الرياح تتجمع فيها ، متيحة الفرصة لنمو كساء نباتي يختلف تركيبه باختلاف طبيعة هذه الرواسب .

وتؤثر صفات التربة الطبيعية ـ قوام التربة وبناؤها ونفاذيتها وعمقها ـ تأثيراً واضحاً على حياة النبات في الصحراء ، وهذا التأثير ناجم أساساً عن دور هذه الصفات في العلاقات المائية للتربة والنبات ، فالتربة الخشنة أقل تمسكاً من التربة الناعمة ، والأرض الصلدة أقل نفاذية للماء وانفاذا للجذور من التربة المفككة غير المتماسكة ، والتربة العميقة تسمح بالاحتفاظ بالرطوبة في طبقاتها العميقة وينعكس أثر كل هذه الصفات بوضوح على كثافة الكساء النباتي وأنواع النباتات التي تنمو في كل بيئة (١ ، ٢ ، ٣) .

وفي الصحراء نجد أن أي تغير في صفات التربة ـ الذي يحدث غالباً عن أثر التضاريس ـ ينعكس على نوع النباتات النامية فيها وعلى كثافتها . فإذا كانت هناك منطقتان ، إحداهما ضحلة التربة والأُخرى عميقة التربة ، ويسقط على المنطقتين مطر متساو ، فإن الكساء النباتي يكون أكثر كثافة في المنطقة ذات التربة العميقة ، وتفسير ذلك أن المطر على التربة الضحلة يشبعها بالماء ، ولا تسمح الأرض الصلدة تحت هذه التربة الضحلة بتسرب الزائد من الماء إلى الطبقات السفلى ، أما في التربة العميقة فإن ماء المطر يتسرب (إذا كان المطر وفيراً) إلى أعماق التربة . وبعد توقف المطر ، يبدأ التبخير من سطح التربة ، فتجف التربة الضحلة سريعاً ، أما التربة العميقة فتجف طبقاتها السطحية بدرجة تماثل جفاف التربة الضحلة ، ولكن هذه الطبقات السطحية الجافة تمثل غطاء واقياً لما تحتها من طبقات وبذلك تحتفظ الطبقات العميقة

(١) Batanouny and Zaki, 1974
(٢) Batanouny and Hilli, 1973
(٣) Batanouny, 1979

(غالباً على عمق يزيد عن نصف متر) برطوبتها ومحتواها المائي ، وتساعد خشونة التربة في الصحراء على قطع الأنابيب الشعرية بين حبيباتها ، فلا يرتفع الماء إلى الطبقات السطحية ويصبح عرضة للتبخر ، وهكذا تبقى الطبقات العميقة مستديمة الرطوبة ، وتحتوي على قدر من الماء يمكن للنباتات الصحراوية الاستفادة منه ، وفقد الماء من هذه الطبقات عن طريق التبخر محدود ، ويكاد يقتصر فقده على ما تمتصه جذور النباتات المعمرة التي تمتد في هذه الطبقات .

يتبين لنا مما سبق أن عمق التربة وصفاتها الطبيعية ــ وهي عوامل تتحدد بالتضاريس الموضعية ــ تؤثر على نمو النباتات وتوزيعها . فالنباتات التي تنمو في التربة الضحلة تخضع للتغيرات السريعة التي تطرأ على المحتوى المائي للتربة .

وللتضاريس تأثير واضح على مصادر المياه ، فالأماكن المرتفعة ، التي تكون في الغالب معرضة للتعرية ، عندما يهطل عليها المطر ، فإن ماءه لا يتسرب إلى الطبقات العميقة لوجود الحصى المتماسك أو الصخور ، ولذلك فإن جزءاً كبيراً منه ينساب على السطح ليتجمع في المناطق المنخفضة (صورة ١) ، وهذه المنخفضات ــ سواء أكانت مسارب مائية أو أودية أو روضات أو منافع ــ لا تتلقى ماء المطر وماء الانسياب السطحي فحسب ، بل إنها تتلقى كذلك التربة المحمولة بماء الانسياب السطحي والرياح. ويساعد هذا مع وفرة الماء النسبية على نمو كساء نباتي ، تعتمد كثافته وتركيبه على عوامل عديدة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوضع الطبوغرافي للمنطقة (صورة ٢) .

ويجدر بنا الإشارة إلى أثر التضاريس على العوامل المناخية ، وخاصة درجة الحرارة ، فلا شك أن درجة ميل السفوح وتعرضها ، والارتفاع عن سطح البحر ، والظلال التي تلقيها جنبات الأودية ، كلها عوامل تؤثر على درجة حرارة الهواء والتربة ، مما ينعكس أثره على الاقتصاد المائي للنباتات .

النظـــم الجيومورفولوجية البيئيـــة في قطـــر

ECO—GEOMORPHOLOGICAL SYSTEMS IN QATAR

يتضح لنا من استعراض العلاقة بين أشكال الأرض والحياة النباتية أنها علاقة وثيقة ، وأن شكل الأرض بما يؤثره في خصائص التربة ومصادر المياه وعوامل البيئة الأخرى ، يمثل عاملاً هاماً في حياة النبات . ويمكننا أن نقسم أشكال الأرض على أسس ترتبط بحياة النبات ، وبذا يصبح التصنيف معتمداً على نظرة متكاملة لشكل الأرض وما ينجم عنه من ظروف بيئية ، وما يترتب على ذلك من تركيب للكساء النباتي ويحسن تعريفها بأنها نظم جيومورفولوجية بيئية نباتية Eco-geomorphological systems وعلى هذا الأساس ، فإن هذه النظم في قطـــر تتضمن هضاب الحمـــاد الصخرية والحواف الصخرية ، والمنخفضات (الروضات والجريان والمناقع) والمسارب المائية بأشكالها المختلفة والتكوينات الرملية والسباخ .

١ — هضاب الحمـاد الصخرية : Rocky Hammadas

معظم سطح شبه الجزيرة القطرية يتكون من هضاب الحمـاد الصخرية ، وكلمة الحمـاد التي يستعملها الكثيرون للدلالة على Hammada قـــد أخذت أصلاً عن العربية ، ولعل معناها في الأصل الأرض الهـامدة ، أو غير المثمرة التي لا تنبت فيها النباتات ، وتتمثل هذه البيئة بالحزوم والمساطيح . أي الهضـاب والسهول فالحزوم هي تلك الأرض الصخرية المرتفعة والمساطيح أراضي صخرية منبسطة بين الحزوم . وكلاهما مغطى بالحجارة وفتات الصخور الخشن ، وقد حملت الرياح ما استطاعت حمله من فتات بعيداً ، ولم تذر سوى الحصى والصخور ، وبعض التربة الناعمة التي تحتمي من عوامل التعرية بين الصخور . وتزداد هذه التربة في المساطيح أكثر من الحزوم المرتفعة .

والكساء النباتي في هذه البيئات فقير جداً وقد تكون عارية تماماً ، فعلى الصخور التي تغطي الحزوم ، قد تنمو نباتات الأشن Lichens وهي نباتات غـــير راقيـــة ،

تنبت أبواغها بعد المطر ، ولـكن النبات بعد ذلك يستطيع الاستفادة من الرطوبة الجوية ، التي تتساقط على هيئة نـدى .

وعندما يهطل المطر ببطء ولوقت طويل ، وهو ما يسميه القطريون الانميلي أو الهمال ، فقد تتاح الفرصة لتسرب بعض الماء إلى التربة الموجودة بين الصخور ، ويؤدي ذلك إلى نمـــو بعض النبـــاتات الحوليـــة مثـــل الصمعة Stipa capensis والهـرم Zygophyllum simplex .

وفي بعض المساطيح قد تنمو بعض النباتات المعمرة مثل شجيرات العوســج Lycium shawii ، والسمر Acacia tortilis ، والهرم Zygophyllum quatarense ، وعادة تكون أفراد هذه النباتات التي تنمو في هذه البيئة متفرقة إذا ما قورنت بنظيراتها في الروضات والمنخفضات .

٢ ــ السلاسل والحافات الصخرية : Rocky ranges and ridges

وتوجد هذه السلاسل في الجنوب الغربي من قطـر ، وأكبرها تلك التي تمتد موازية للشاطئ الغربي لشبه الجزيرة ، حتى تلتقي مع طريق الدوحة ــ أبو سمره ، فتنثني للشرق منتهية عند خـط عرض ٣٠° ، ٢٤° شمالاً . كما يوجد شمال وجنوب غـرب الحرارة هضاب الميوسين الصخـرية المرتفعة .

وإذا أخذنا جبل دخان مثلاً لهـذه السلاسل ، فإنه يتمثل في سلسلة صخرية من الحجر الجيري ، التي تتميز بوجود تجاويف واضحة مفعمة بالرواسب الرملية التي تذروها الرياح ، ويقتصر وجود الكساء النباتي على هذه التجاويف .

أما سطوح هذه السلاسل فإنها تتغطى بجلاميد صخرية ، وتكون عارية تماماً من الكساء النباتي .

أما الحافات الصخرية المرتفعة التي تمثل العصر الميوسيني ، فإن قممها وسطوحها تتغطى بجلاميد صخرية صغيرة متماسكة تكون مرتصفاً صحراوياً يختلف عن صخور الحمـاد ، وهي تشبه الرق Reg وتحت هذه الطبقة توجد طبقات من الحجر الجيري

الطباشيري ، التي تتأثر بعوامل التعرية بدرجة أكبر مما فوقها من صخور متماسكة ، ويؤدي هذا التفاوت في درجة التأثر بعوامل التعرية إلى ظهور الموائد الصحراوية التي تشبه فطرة عيش الغراب في كثير من أحوالها .

وحيـــاة النبات في هــذه الحافات فقـــيرة ، ويقتصر وجـــود النباتات على بعض المنخفضات التي تمتـــلئ بالرواسب الرملية ، ويسود هذه النباتات نبات الهرم القطري Zygophyllum quatarense .

أما فتات الصخور المختلط بالحصى والحجارة المنهال من عل حول هضاب الميوسين فإنه يمثل بيئة ينمو فيها نبات الهرم القطري . وإذا زادت ترسيبات الرمال فإن الكساء النباتي يتكون أساساً من عشيرة يسودها نبات التمام (صورة ٢) .

وعلى النقيض من هضاب الحماد التي يمكن أن تظهر بها بعض النباتات بين الصخور والحجارة ، فإن الكساء النباتي ينعدم تماماً على هضاب الميوسين إلا في المنخفضات والمجاري المائية ، وسنتحدث عن هذه البيئات فيما بعد .

٣ ـ المنخفضـــات : Depressions

يترصع سطح شبه الجزيرة القطرية بحوالي ٨٥٠ منخفضاً ، يتركز معظمها في شمال قطر ووسطها ، وقيعان هذه المنخفضات تقع دون مستوى ما يحيط بها من أرض على أعماق تتراوح بين أمتار قليلة إلى حوالي ٢٠ متراً . وتسمى هذه المنخفضات بالروضات وتختلف عن المناقع ، فالأخيرة ليست عميقة كالروضات ، وبالتالي فمصادر المياه فيها أقل ، والكساء النباتي مختلف عن الكساء النباتي في الروضات .

(أ) الروضـــات :

وهي منخفضات ذات أشكال وأبعاد متباينة ، فقد تكون دائرية أو مستطيلة وتتفاوت مساحاتها من بضعة هكتارات إلى ستين هكتاراً ، وتبلغ رقعتها الإجمالية نحو ثلاثين ألف هيكتار ، أي ما يعادل ٢ر٤ ٪ من أراضي شبه الجزيرة القطرية . والحقيقة أن هذه المنخفضات تتضمن ما يعرف بأسم الروضات والحريان .

ونظراً لانخفاض مستوى الأرضِ في الروضة عما حولها من حزوم ، فإنها تتلقى الرواسب المحمولة بالمياه والرياح ، علاوة على ماء الانسياب السطحي الذي تتوقف كميته على عوامل عديدة ، وينجم عن ترسبِ التربة وتجميع المياه كساء نباتي كثيف نسبياً .

وليست كل الروضات متماثلة ، فقد تختلف من حيث خصائص التربة ، والعامل الذي ساعد على ترسيبها ، وبالتالي في نوعية النباتات التي تنمو في كل روضة . ويمكن الاستدلال بنوعية النباتات على طبيعة التربة ومصادر المياه في الروضات . فحيث تكون الرواسب عميقة ، ناعمة القوام ، حملها ماء الانسياب السطحي إلى الروضة ، أي رواسب فيضية ، فإن النبات السائد يكون السدر Ziziphus nummularia (صورة ٣) ولهذا النبات القدرة على تكوين أكمات من التربة الناعمة حول جسمه ، والتي تعرف بالنباك (المفرد نبك) ، وتتكون من تربة ناعمة ، تظهر في مقطعها طبقات ذات قوام متفاوت من حيث النعومة والخشونة ، ودرجة التماسك ، ويعتمد ذلك على كمية مياه السيول في السنوات المتعاقبة .

وفي بعض الروضات – وخاصة في شمال قطر ووسطها – نجد أن الرواسب ناعمة محمولة بالماء ، ولكنها ضحلة عن سابقتها ، ولذلك فإن نمو الأشجار محدود ، ويسود هذه الروضات نبات نجيلي عطري هو الأصخبر Cymbopogon parkeri وهو نبات ترعاه الحيوانات وهو أخضر يحصد عند جفافه في الصيف ، ويقدم علفاً للأغنام (صورة ٤) .

وعلى النقيض من هذين النوعين من الروضات ، نجد أن الروضات في جنوبي قطر ذات رواسب ضحلة ، خشنة القوام ، تلعب الرياح الدور الأول في ترسيبها وعادة تظهر الحجارة والصخور على سطح أرض الروضة . والنبات السائد في مثل هذه الروضات هو السمر Acacia tortilis يرافقه نبات العوسج Lycium shawii . وإذا تلقت الروضة تربة ناعمة محمولة بالماء علاوة على ما تحمله الرياح من رمال ، فإن نبات السلم Acacia ehrenbergiana يظهر في هذه الروضة ، ويرافقه نبات الثيموم Pennisetum divisum .

وبالمقارنة بالروضات التي يسودها الاصخبر في شمال ووسط قطر ، فإن هناك روضات في جنوب قطر تتجمع فيها الرمال المحمولة بالرياح ، ويكون عمقها أكثر من نصف متر ، ويسودها نبات الثمام Panicum turgidum وهو نبات نجيلي ترعاه الإبل والأغنام والماعز ، وله القدرة على تثبيت الرمال ، وبذلك فهو يجمع أكمات رملية حول نموه الخضري (صورة ٥) .

مما سبق يتضح تباين الروضات من حيث طبيعة التربة والكساء النباتي ، ومن الجدير بالذكر أنه في الروضات ذات التربة الناعمة العميقة في شمالي ووسط قطر ، نجد أن تباين طبيعة التربة في الروضة الواحدة يؤدي إلى ظهور نباتات مختلفة ، فغالباً تكون حواف الروضة وحواشيها ذات تربة ضحلة أكثر من وسط الروضة ، ولذا تظهر نباتات السمر على هذه الحواشي مطوقة عشيرة السدر التي تقطن وسط الروضة (صورة ٦) ، وكما يختلف النبات السائد Dominant species فإن هناك أنواعاً مرافقة تختلف من روضة إلى أخرى ، وأنواعاً توجد في معظم الروضات ، ولكن بدرجات متفاوتة من التردد والكثافة .

وسنسرد فيما يلي بعض الأنواع النباتية التي تعيش في الروضات المختلفة :

أولاً : النباتات المعمرة :

السدر	Ziziphus nummularia
السمر	Acacia tortilis
السلم	Acacia ehrenbergiana
الخشجات	Francoeuria crispa
الهرم القطري	Zygophyllum quatarense
الأصخبر	Cymbopogon parkeri
الثمام	Panicum turgidum
الثيموم	Pennisetum divisum
الرخيمه	Convolvulus spp.

الشفلح	Capparis spinosa
الملوخية البري	Corchorus depressus
الحوه	Launaea capitata

ثانياً : النباتات الحولية :

الصمعة	Stipa capensis
النغل	Trigonella stellata
الحفنة	Aizoon canariense
كف مريم	Anastatica hierochuntica
الهرم	Zygophyllum simplex
لسان الحمل	Plantago amplexicaulis
السعيدان	Neurada procumbense

ويجدر بنا الإشارة إلى أن بعض هذه المنخفضات تمثل البيئات الصالحة للزراعة في قطر ، وتوجد حوالي ٢٧٠ مزرعة ، متوسط مساحة الواحدة حوالي ١٤ر٧ هكتاراً ، وذات مساحة كلية قدرها ١٩٧٥ هكتاراً (١٧ر٠ ٪ من مساحة شبه الجزيرة) وتعتمد الزراعة في هذه الروضات على المياه الجوفية .

وهذه الروضات تمثل نظاماً بيئياً جديراً بالدراسة التفصيلية من حيث التربة والمياه والكساء النباتي وعوامل البيئةِ المختلفة .

(ب) المنخفضات الضحلة : Shallow depressions

وهي منخفضات تقع قيعانها دون مستوى ما يحيط بها من أرض بسنتيمترات محدودة ، وتتلقى قدراً من ماء الانسياب السطحي والرواسب التي يحملها الماء أو الرياح . وتتمثل فيما يعرف بالمناقع .

وتختلف طبيعة وتكوين الكساء النباتي من منخفض إلى آخر ، حسب طبيعة الرواسب وكمية المياه المنسابة إليه ، وبديهي أن هذا يتوقف على التضاريس الموضعية .

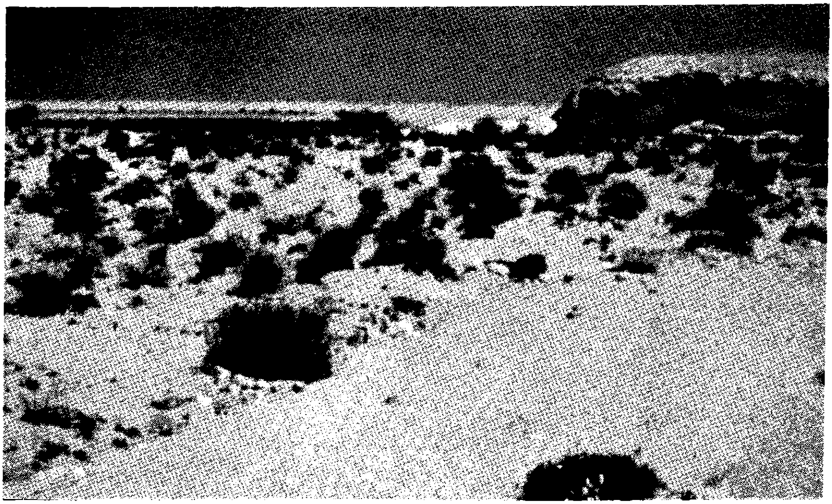
فإذا كانت الرواسب ناعمة ، محمولة بالمياه ، فإن النبات السائد يكون الخنجات Francoeuria crispa (صورة ٧) ، أما إذا كانت الرواسب رملية خشنة فإن نبات الهرم القطري Zygophyllum quatarense يسود الكساء النباتي (صورة ٨) .

وقد سبق أن ذكرنا أن المنخفضات التي تتكون على هضاب الميوسين ينمو فيها نبات الهرم القطري .

ومن الطريف أن نلاحظ أن الحفر التي يحفرها الإنسان على الحزوم ينمو فيها كساء نباتي حولي غالباً يسوده نبات الهرم Zygophyllum simplex .



(صورة ١) تجمع ماء الانسياب السطحي بعد المطر في المنخفضات مثرياً رطوبة التربة فيها ، وينجم عن ذلك نمو كساء نباتي كثيف نسبياً في المنخفضات . لاحظ أشجار السلم ونباتات الهرم القطري .



(صورة ٢) تجوية طبقات الحجر الجيري الطباشيري في هضاب الميوسين بجنوب قطر ، ويلاحظ كثافة الكساء النباتي في المجاري التي يبطن قيعانها فتات الصخور والرمال ، ونبات الثمام يسود الكساء النباتي .



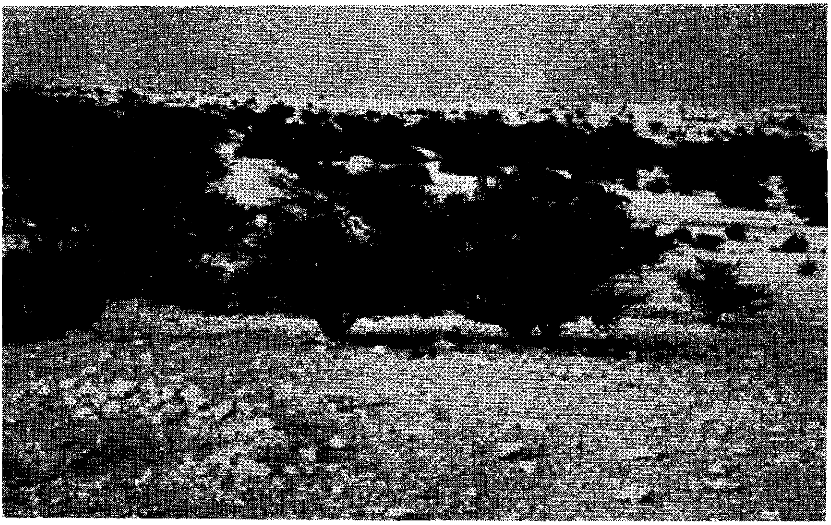
(صورة ٣) روضة في وسط قطر (الوبرة) حيث ينمو السدر ، ويكثف نمو الحشجات بين أشجار السدر ، وقد نتج هذا الكساء النباتي الكثيف بعد المطر عن عمق رواسب التربة وازدياد المحتوى الرطوبي فيها .



(صورة ٤) روضة في الصويرية حيث تجمعت الرواسب الناعمـة غير العميقة ، وينمو فيها نبات الاصخبر ، ويلاحظ نمو كثيف للنباتات الحولية ـ معظمها من نبات الصمعة ـ بعـد سقوط الأمطـار ـ يمـكن ملاحظة خلو الحـزوم من النباتات .



(صور ٥) منخفض في جنوب قطـر حيث تجمعت الرمال بفعل الرياح ، وينمو فيه نبات التمـــام . ويلاحـظ عـدم وجـود نباتات على الحـزوم في خلفية الصورة .



(صورة ٦) روضة الوجبة غربي الدوحة ، ويلاحظ نمو أشجار السدر في الجـــزء المنخفض من الروضة حيث تتجمع الرواسب الناعمة المحمولة بالماء ، وتنمو على حواشيها أشجار السمر حيث التربة الضحلة ، ويختفي الكساء النباتي في البقاع المرتفعة (الحزوم) .



(صورة ٧) منقع به رواسب ناعمة متماسكة ، ينمو فيه الخنجاث والملوخية البرية .



(صورة ٨) سهل الحماد الذي ترسبت الرمال في بعض أجزائه المنخفضة مما أدى إلى ظهور كساء نباتي من نبات الهرم .

٤ ـ الأوديــة والمسارب المـائية : Wadis and Runnels

لا يوجد في قطر أودية كبيرة بالمعنى المفهوم لهذا المسمى ، ولكن وجود سلسلة الهضاب الصخرية في جنوبي وجنوب غربي قطر ، أدى إلى ظهور ما يسميه الأهلون بالأودية ، وعلاوة على هذه الأودية ، فإن هناك أنواعاً وأنماطاً من المجاري المـائية التي تختلف طولاً واتساعاً ، مما يؤدي إلى ظهور تركيبات مختلفة للكساء النباتي.

(أ)الأوديـــة : Wadis

وتتمثل بالمجاري المائية العميقة الطويلة ، ومن أمثلتها وادي الذياب ، وهذه المجاري المسماة بالأودية مجازاً ، تجمع ماء الانسياب السطحي والتربة ، بالإضافة إلى ما يمكن أن ترسبه الرياح من رمال في بعض أجزاء المجرى الذي يتيامن ويتياسر بين الهضاب والمرتفعات . والوادي يمثل نظاماً بيئياً يشتمل على العديد من البيئات الموضعية، وتباين هذه البيئات يعتمد أساساً على كمية وطبيعة الرواسب ، وكمية الماء الوارد لها . ففي المجرى الرئيسي للوادي ، وهو أكثر المناطق انخفاضاً ، نجد سطح الأرض قد غطي

بالصخور والحصى ، نتيجة لانجراف التّربة الناعمة مع السيول ، وتظهر بيئة فقيرة في نباتاتها ، ويؤدي تثني مجرى الوادي إلى ترسيب التّربة على المنحني الداخلي مكونة مصاطب ينمو فيهـــا كساء نباتي كثيف ، يسوده نبات السلم Acacia ehrenbergiana ويرافقه نبات الثيموم Pennisetum divisum والعوسج Lycium shawii .

وفي المناطق التّي ترسب فيها الرياح حمولتها من الرمال ، لتكون رواسب يزيد عمقها عن المـــتر ، ينمو نبات المرخ Leptedenia pyrotechnica (صورة ١٠) وفي بعض المناطق المنخفضة يتجمع الطينْ والسلت مــؤدياً إلى تكـوين طبقات متماسكة على سطح الأرض ، تتشقق بعـد جفافها ، وهي بيئـة عادة ما تكون فقـيرة في كسائها النبـــاتي .

(ب) المسارب المـــائية الطـــويلة : Long runnels

وتوجد هذه المجاري في مناطق مختلفة من قطـر ، فبعضها قد يخترق المرتصف الصحراوي على قمم هضاب الميوسين في جنوب قطـر ، والبعض الآخر يقع بين الحزوم ، ونوع ثالث يمثل قنوات صرف تشق الهضبة الصخرية وتصب تجاه الشاطئ الغـربي لقطـر .

وفي حالة النوع الأول ، يشق المجرى المـائي طريقه في المرتصف الصحراوي على هضاب الميوسين ، ويبطن المجرى رواسب رملية ، وبعض الحجارة والحصى ، وعادة ما يحتجز جسم النباتات النامية في هذه المجاري رمالاً ناعمة حوله ، ولا تظهر الأشجار والشجيرات الكبيرة في هذه المجاري لضحالة التّربة فيها ، ويسود الكساء النباتي في هذه البيئـــة نبات الهلتأ Chrysopogon aucheri .

أما في النوع الثاني الذي يتثنى بين الحزوم المرتفعة ، فإن قاعه يغطى بالحجارة والحصى وبقايا فتات الصخور المحتجزة بينها . ويتناقص عـدد وحـجم الحجارة كلما اتسع المجرى ونقصت درجة انحداره . وتظهر على طول المجرى بيئات موضعية عـديدة ، يعتمد ظهورها على طبيعة الرواسب واتساع المجرى فحيث يكون المجرى ضيقاً في بدايته ، لا تتاح الفرصة إلا لنمو نباتات حولية ذات جذور ضحلة ، مثل

الصمعة Stipa capensis والهرم Zygophyllum simplex ، والجفنة Aizoon canariense وكف مريم Anastatica hierochuntica ، وباتساع المجرى وزيادة سمك الرواسب فيه يبدأ ظهور بعض الأعشاب المعمرة مثل لجراوة ، والرقروق Helianthemum lippii والشويكة Fagonia bruguieri وإذا زاد اتساع المجرى (غالباً أكثر من خمسة أمتار) تباعدت الأحجار الموجودة على سطح الأرض في قاعه ، وزادت الرواسب عمقاً ، وظهرت نباتات معمـــرة أخرى أهمها الهلتـــأ Chrysopogon aucheri ، والجعد Teucrium polium وقد تظهر بعض شجيرات السلم والعوسج .

وفي حالة المسارب المائية التي تخترق الهضبة وتصب ماءها في السهل الساحلي ، فإنها غالباً ما تتأثر بملوحة التربة ، ولذلك نجد أغلب نباتاتها من الأنواع التي تعيش في البيئات الملحية ، ويختلف الكساء النباتي على طول المجرى ، فحيث توجد رواسب رملية يسود نبات Sporobolus arabicus ، أما إذا قلت هـــذه الرواسب وزادت الحجارة فإن نبات القطف Limonium axillare يتمتع بالسيادة . وهو نبات يتميز بوجود غدد ملحية على أوراقه وسوقه الغضة ، تقوم بإفراز الزائـــد من الأملاح خارج جسم النبات .

(ج) المسارب المـــائية القصيرة : Short runnels

وهي قنوات صغيرة لا يزيد عرضها في أغلب الأحوال عن متر واحد ، وتشرح سطح الحزوم الهين الانحدار ، وقيعان هذه المسارب مغطاة بالحجارة والحصى وبعض فتات الصخور والرمال المحتجزة بين الحجارة . ونظراً لضحالة التربة ، ولقلة مصادر المياه ، حيث لا تجمع ماء من مساحات كبيرة ، فإن الكساء النباتي في هذه المسارب فقير ، ومحدود ، وبعد الأمطار تظهر أفـــراد من الهرم Zygophyllum simplex والجراوة وكف مريم والصمعة .

(د) مسارب النحـــر التراجعي : Runnels cutting backward

ويقتصر وجود هذا النوع من المجاري المائية على هضاب الميوسين الموجودة في جنوبي وجنوب غربي قطر ، وتنشأ نتيجة للتباين في درجة مقاومة طبقات الأرض

للتجوية ، فالطبقة السطحية مكونة من صخور متماسكة مقاومة للتجوية ، وأسفل منها طبقات من الحجر الجيري الطباشيري الّتي تفتتها عوامل التعرية بدرجة أسرع مما فوقها من طبقات .

وتقطع هذه المسارب طريقها للخلف ، حيث تحدها حافة منحـدرة ، أو مجوفة للداخـل ، وعادة يتّراوح عمق هذه المسارب بين متّرين وثلاثة أمتار ، ويمتلئ باطنها بركام الصخور المنهارة وفتاتّها ، ويتسع مجراها كلما ابتعدنا عن الهضبة الّتي تحد مجراها . وإذا تعرضت هذه المجاري إلى ترسيب الرمال فيها بالرياح ، أصبحت بيئة صالحة لنمو نبات التمـــام Panicum turgidum ، أما إذا تجمعت الرواسب فيها بفعل مياه السيول يظهر فيها نبـــات الثيمـوم Pennisetum divisum . وقـد يرافقه بعض أفراد من شجر السلم (صورة ١٣) .

٥ ـ التكوينـــات الرمليـــــة : Sand formations

تلعب الرياح دوراً بالغ الأهميـة في تشكيل سطح الأرض في قطـر ، والرياح السائدة هي الشمالية والشمالية الغربية ، وتعرف محلياً باسم الشمال .

وتغطي الرواسب الهـوائية مساحات شاسعة من أرض شبه الجزيرة ، وتتخذ أشكالا مختلفة ، ويظهر ذلك في الجزء الجنوبي من قطـر ، علاوة على بعض الرواسب الرملية شمال شرقي شبه الجزيرة فيما بين جبل فويرط ورأس أُم ليجى ، ويسود الكساء النباتي في هذه المنطقة نبات التمـام .

وتتخـذ التكوينات الرملية أشكالاً متباينة ، فقد تكون طبقات غير سميكة ، أو أكمات صغيرة ، أو كثبانا رملية كبيرة تختلف أشكالها وأحجامها . ومن وجهة النظر البيئيـــة النباتية يمكننا تمييز البيئات التالية : ـ

(أ) الرمـال السطحيـــــة : Surface sands

وتتمثل بالرمال الّتي تحجزها الحواجز الطبيعية مثل الصخور ويؤدي وجودها على السطوح الصخرية وبين الحجارة إلى ظهور كساء نباتي فقير ، يتكون من أفراد متباعدة من الهـرم القطـري والنصي Stipagrostis plumosa and S. obtusa .

(ب)الترسيبات الرملية في المنخفضات : Sand deposits in depressions:

وهي أكثر عمقاً من الرمال السطحية المحتجزة بين الصخور ، وقد رسبت في المنخفضات والمسارب المائية والأودية . وتعتمد طبيعة الكساء النباتي النامي على هذه الترسيبات على قوام الرمال وتأثر الترسبات بالملوحة الأرضية ، ففي بعض المنخفضات الواقعة بين الوكير والحرارة نجد الرواسب الرملية خشنة ينمو عليها نبات العرفج Rhanterium epapposum وفي المناطق التي تكـون رواسبها الرمليـة أقـل خشونة وأكثر عمقاً فإن سيادة الكساء النباتي تعقد لنبات الثمام . ويلاحـظ ذلك في جنوب قطر وفي المنخفضات التي تظهر في سلسلة جبل دخان ، وإذا كانت الرواسب ناعمة ولكنها تتأثر بملوحة الماء الأراضي إلى حد ما ، أو بالملوحة التي يغسلها ماء الانسياب السطحي من المرتفعات ، فإن نبات الرمث Hammada elegans يكون سائـداً وفي التجمعات الرملية التي تظهر غرب سلسلة جبل دخان وتتأثر بملوحة الماء الأرضي إلى حد كبير يظهر نبات الهرم القطري .

(ج) الكثبـان الرمليـة : Sand dunes

وتتخذ هذه الكثبان أشكالاً مختلفة في قطر ، فقد تكون كثباناً هلالية منفردة Barchans أو مركبة ، أو كثباناً عرضية أو كثبـان السيف الطولية أو العـرق المحـير (١) .

ونظراً لحركة هذه الكثبان وجفاف البيئـة ، فإن أجسامها لا تتيح الفرصة لنمو كساء نباتي ، اللهم إلا على أطراف الكثيب حيث ينمو نبات Cyperus conglomeratus بينما تظهـر نباتات الهرم القطري على السهل بين الكثبان حيث تتجمع الرمـال بين الحصى والحجارة .

(د) النقيـان : Dune fields (صورة ١٤)

نتيجة لهبوب الرياح المستمر من الشمال والشمال الغربي ، فإن حركة الكثبان تتخذ إتجاهاً يكاد يكون ثابتاً ، وتتزاحم هذه الكثبان في جنوب شرقي قطر حيث

---

(١) بحيري والفرا (١٩٧٧) .

تكون منطقة النقيان ، التي تجتاح الشريط الساحلي . ولا يظهر كساء نباتي على أجسام هذه الكثبان المتراكمة ، وإن كانت الأرض غير المطمورة بالرمال فيما بين قرون الكثبان المتلاصقة قد تنمو عليها بعض النباتات مثل الهرم القطري والقطف .

٦ - السبـــاخ : Sabkhas

يتميز الساحل القطري بعديد من الظواهر مثل الأخوار والدوحات والرؤوس والسباخ والغشوت والجروف . ولعل ما يهمنا في هذه الدراسة هو السباخ وهي الأراضي الملحية الساحلية أو الداخلية . وتوجد أكبر السباخ على امتداد الساحل الجنوبي الشرقي كما توجد السباخ في مناطق أخرى على طول الساحل علاوة على السبخة التي تقع شرق سلسلة جبال دخان .

وتقع السباخ على مناسيب تتراوح بين مستوى سطح البحر عند حواشيها الخارجية أو بين ثلاثة أمتار فوق ماء البحر عند حواشيها البرية الداخلية ، وتغمر مياه المد مساحات من هذه السباخ ، وتنحسر عنها في وقت الجزر . وتقع مساحات من هذه السباخ دون مستوى سطح البحر ، ومن الجدير بالذكر أن مساحة ما يقع دون سطح البحر من السباخ يصل إلى حوالي ٩٥ كم ٢ .

وتمتاز بيئة السباخ بارتفاع نسبة الأملاح في تربتها ، وقرب الماء الأرضي المالح من سطحها . وهناك العديد من العوامل التي تؤثر على توزيع النباتات في السباخ وتتضمن هذه العوامل : ملوحة التربة ، ارتفاع الأرض عن مستوى سطح البحر ، ومدى تعرضها للغمر بماء المد ، والبعد والقرب من الشاطئ ، وقوام التربة وعمقها .

كل هذه العوامل مجتمعة تؤثر على الحياة النباتية في السباخ ، ولا يمكن القول بأن عاملاً واحد هو المؤثر فيها .

ويتميز الكساء النباتي في السباخ بتجانسه وبساطة تركيبه ، فغالباً لا يرافق النوع السائد في بيئة ما أنواعاً أخرى ، ولو حدث ذلك فإن عددها يكون محدوداً وقد أمكن تحديد تسع عشائر أو مجتمعات نباتية يحددها نوع النبات السائد في هذه البيئات في منطقة السباخ .

ومن الملاحظ أن هذه العشائر تشكل نطاقات محددة يختلف تتابعها من بقعة إلى أخرى ، ومن الجدير بالذكر أن التضاريس الدقيقة تعتبر عاملاً هاماً يؤثر على طبيعة هذا التتابع ، بما يؤثره على العوامل الأخرى .

ولعل من أهم مظاهر الكساء النباتي على السواحل القطرية ، هو وجود عشيرة تتمثل بشجيرات الحرم Avicennia marina (صورة ١٥) ، ويقتصر وجود هذه العشيرة على المناطق المغطاة بماء الخليج مقابل الذخيرة على الشاطئ الشرقي لقطر . واقتصار وجود نبات الحرم في هذه المنطقة أمر جدير بالدراسة فهذا النبات ينمو في مياه البحر الضحلة حيث توجد رواسب طينية متعفنة غنية بالمواد العضوية وفقيرة في الاكسجين ، وحيث تحمي هذه الرواسب من فعل الأمواج في عرض البحر . ونظراً لفقر التهوية في بيئة هذا النبات الناجمة عن وجود الرواسب الطينية والمواد العضوية ، فإن النبات يرسل على سطح الأرض حوله جذوراً تنفسية ، تستفيد من اكسجين الهواء في تنفسها . وقدرة هذا النبات على الحياة في هذه البيئة تتمثل كذلك في وجود غدد ملحية على أسطح أوراقه ، تقوم بإفراز الزائد من الأملاح خارج جسم النبات .

وعلى حواف السباخ التي تغمر بمياه المد ، يسود نبات Arthrocnemum glaucum (صورة ١٦) أما الأراضي التي لا تغمر كثيراً بمياه المد فيسودها نبات Halocnemum strobiolaceum

والأشرطة الساحلية التي تغطى بالرمال البحرية الكلسية ولا تغمر بمياه المد ، فإنها تمثل بيئة يسودها نبات الحريزة Halopeplis perfoliata .

وفي بعض المناطق حيث تترسب الرمال البحرية الناعمة ، ينمو نبات السويد ، Suaeda vermiculata ، الذي يكون أكمات قد يصل ارتفاعها إلى أكثر من ٦٠ سنتيمتراً ، وهو نبات ترعاه الإبل .

وبعيداً عن الشاطئ ، وحيث تترسب رمال بحرية تختلط بالحصى والصخور ينمو نبات القطف . وهذه البيئة لا تغمر على الإطلاق بماء المد . والماء الأرضي فيها

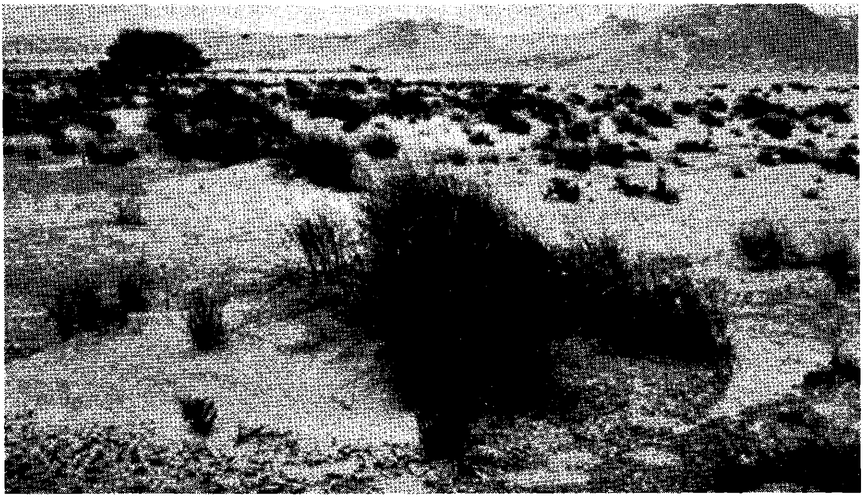
أعمق من ١٠٠ ـ ١٥٠ سم ، وتكون نباتات القطف أكمات رملية أكثر نعومة من الرمال التي تشغل المسافات بين أفراد النبات .

وتجدر بنا الإشارة إلى ثلاثة أنواع من النجيليات تسود عشائر نباتية ، تعيش في الأراضي الملحية ، وهي نبات العكرش Aeloropus lagopoides الذي يقطن السباخ الساحلية ذات التربة الناعمة ، ويكون الماء الأرضي بعيداً عن سطح الأرض ، ولكن ليس إلى درجة تمنع تأثيره على ملوحة التربة عند سطحها ولا يكاد يوجد نوع آخر من الأنواع النباتية مع العكرش .

والنبات النجيلي الآخر هو Halopyrum mucronatum ومن العجيب أن وجوده يقتصر على الركن الجنوبي الغربي على ساحل قطر قرب أبو سمره . وتشغل عشيرة هذا النبات نطاقا قريباً من الساحل ، ولكن مستوى الأرض فيه أعلى من سطح البحر بحوالي متر . ويجمع النبات حول جسمه أكمات مرتفعة من الرمال البحرية .

أما النبات الثالث فهو نبات واسع الانتشار في قطر واسمه Sporobolus arabicus وينمو في السباخ ذات التربة الرملية التي تقع بعيداً عن الساحل ، ويوجد هذا النبات في الأراضي الملحية البعيدة عن الساحل وكذلك في المجاري المائية التي تصب ماءها تجاه الشاطئ .

يتضح لنا من تعداد هذه العشائر النباتية التسع ، أن توزيعها يرتبط بعديد من العوامل التي تتأثر بالتضاريس الموضعية ، فارتفاع منسوب السباخ أو انخفاضه ولو إلى سنتيمترات معدودة ، يبعد أو يقرب مستوى الماء الأرضي إلى السطح ، مما يؤثر على ملوحة التربة ، والتضرس الموضعي قد يؤدي إلى ترسيب التربة أو إلى تعريتها ، وبالتالي يؤثر ذلك على العلاقات المائية للنبات والتربة كما أن تثني الساحل وتعرجه قد يعرضه أو لا يعرضه للترسيبات ، وهذا بدوره يؤدي إلى تغير ملموس في الظروف البيئية ، التي يعكس الكساء النباتي صورتها بوضوح . وفي الدراسة التي أجريت على



(صورة ٩) مجرى وادي يمتد محاذياً للسلسلة الجبلية شرق أُم باب ، ويلاحظ الرواسب الناعمة التي حملها ماء الانسياب السطحي ، وينمو نبات الثيموم على أكمات من الرمال الناعمة ، ويرافقه شجر السلَم .



(صورة ١٠) تجمعات الرمال في مجرى وادي ، وتنمو عليها شجيرات المرخ ، على الطريق المؤدي للإمارات العربية المتحدة .



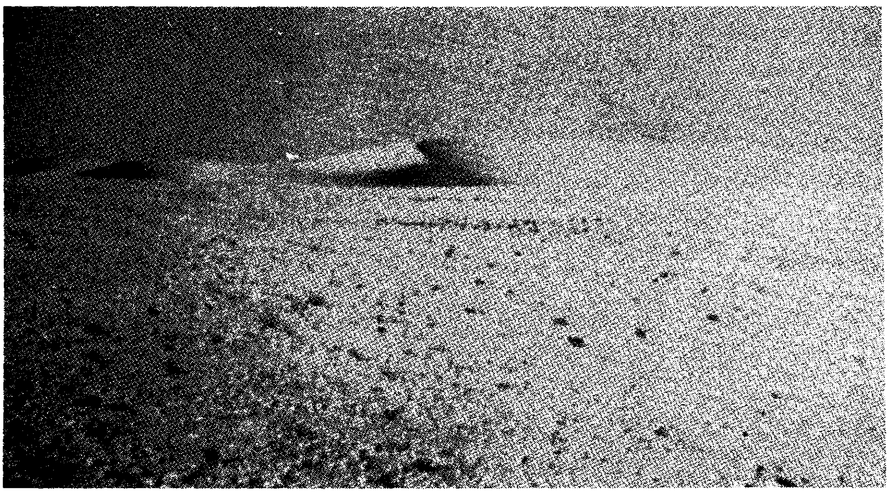
(صورة ١١) مسرب مائي طويل يشق سطح هضبة الميوسين في جنوب قطر ، ويلاحظ أن الكساء النباتي يقتصر وجوده على المسرب ، وينعدم على سطح المرتصف الصحراوي ، وتتجمع مياه الانسياب السطحي في منخفض حفر لتجميع هذه المياه في نهاية المسرب .



(صورة ١٢) مسرب مائي يقطع الحزوم ، ويلاحظ اقتصار وجود الكساء النباتي على المجرى ، حيث توجد بعض الرواسب الرملية بين الحصى والحجارة الصغيرة ، ويسود الكساء النباتي نبات الهلتأ ، ويلاحظ نمو نبات العوسج على الحزم (لليسار) كما أن أشجار السمر وما معها من نباتات أخرى يقتصر وجودها على المسارب المنخفضة بينما تظل الحزوم عارية من الكساء النباتي .



(صورة ١٣) مسرب مائي يقطع هضبة الميوسين متراجعاً للخلف ، ويلاحظ أن فتات الصخور والرواسب التي حملها الماء ينمو عليها كساء نباتي من نبات الثيموم وأشجار السلم .



(صورة ١٤) كثيب رملي في جنوب قطر ، لا ينمو عليه أي نبات ، بينما تظهر بعض نباتات الهرم القطري على السهل حيث تتجمع الرمال بين الحصى والحجارة .



(صورة ١٥) أشجار وشجيرات القرم (الشورة) ويلاحظ وجود الجذور التنفسية بكثرة حول النباتات ، وظهورها ناجم عن عـدم جودة التهوية في التربة التي تنمو فيها هذه النباتات . وتغمر هذه الأرض بمياه الخليج في حالة المد ، وتظل غدقة بالماء بعد ذلك .



(صورة ١٦) نمو كثيف متجانس من نباتات الأرثروكنيموم في أراضي السباخ قرب الذخيرة . ويلاحظ عدم نمو نباتات أخرى بين النبات السائد .

أجريت على الكساء الخضري في المستنقعات الساحلية الملحية في الكويت (٨) ، اتضح أنه يبدو أن مستوى سطح الأرض بالنسبة إلى مستويات المد والجزر ، والماء الأرضي ، يلعب دوراً في توزيع النباتات في هذه المستنقعات ، ربما عن طريق تأثيره في المحتوى الرطوبي والملحي للتربة .

الخلاصة

١ – أظهرت الدراسة الدور المؤثر للتضرس الموضعي في توزيع النباتات ، خلال تأثيره على العوامل البيئية المختلفة .

٢ – تبين أن كل عشيرة نباتية تقطن بيئة معينة ، ويتكرر ظهور هذه العشيرة بتكرار الظروف البيئية ، وأن النظم الجيومورفولوجية يعتمد تصنيفها على نظرة متكاملة لشكل الأرض وخصائص البيئة والكساء النباتي .

٣ – ظهر أن بعض الأنواع النباتية ، وبالذات الأنواع المعمرة ، يقتصر وجودها على بيئات معينة ، ويمكن أن يدل وجودها ونموها بوفرة في مكان ما على ظروف البيئة السائدة في هذا المكان ، وخاصة خصائص التربة وموارد المياه .

وفي الإمكان الاستفادة من هذه الظاهرة في التعرف على خصائص البيئة في مكان ما ، إذا ما عرف النبات السائد فيها . ومن الأمثلة الواضحة التي ظهرت خلال الدراسة ما يلي : –

السدر : تربة ناعمة عميقة ، ووفرة نسبية في مصادر المياه .

السمر : تربة خشنة ضحلة ، ومصادر مياه محدودة .

الأصخبر : تربة ناعمة ضحلة ، حملتها المياه إلى المنخفضات .

الثمام : تربة رملية عميقة ، حملتها الرياح إلى المنخفضات .

الهرم القطري : تربة رملية ضحلة ، أو أرض صخرية تجمعت الرمال بين الحجارة والصخور فيها .

(١) Halwagy and Halwagy (1977)

الثيموم : تربة رملية ناعمة عميقة ، حملتها الميـــاه والرياح .
الهلتــأ : تربة رمليـة ضحلة ، في المسارب المــائية .
المــرخ : تربة رملية عميقة تحملهـا الرياح .

٤ - تتوزع عشائر النباتات الملحيـــة في نطاقات يتأثر تعاقبها بالتضرس الموضعي وملوحة الأرض وقوام التربة وعمق الماء الأرضي .

٥ - إن الإستفادة الكاملة من الاستدلال على ظروف البيئة بمعرفة النباتات ، لا تتم إلا بالدراسة التفصيلية للكساء النباتي والعشائر النباتية في شبه الجزيرة القطـرية ، وعمل خريطة للكساء النباتي ، مع التركيز على العشائر التي تقطن بيئـات صالحة للزراعة أو يسودها أحد النباتات التي ترعاها الأغنـام والإبل .

شـــكر وتقـــدير

لا يسعني إلا أن أتقـــدم بجزيل الشكر والتقـــدير إلى جامعة قطـر ، وخاصة الاستاذ الدكتور / محمد ابراهـــيم كاظم ، مـدير الجامعة ، على ما قدمه لي من عون ودعم خلال إجراء هذه الدراسة ، كما أتقـــدم بالشكر للاستاذ الدكتور / محمد رياض أستاذ الجغرافيا على مراجعة البحث وتصويبه لتعريب بعض المسميات .

المراجـــــع

بحيري ، صلاح الدين ، الفرا ، مضيوف . جوانب من جغرافية قطـــر (١٩٧٧)

Abdel Rahman, A.A. and Batanouny, K.H. (1966). Microclimatic conditions in wadi Hoff. Bull. Soc. Geogr. d'Egypte. 39: 137-153.

Batanouny, K.H. (1973). Soil properties as affected by topography in desert wadis. Acta Bot. Acad. Sci. Hung. 19:13-21.

Batanouny, K.H. (1979). Vegetation along the Jeddah-Mecca road: Pattern and process as affected by human impact. J. Arid Environ. 2:21-30.

Batanouny, K.H. and Hilli, M.R. (1973). Phytosociological study of Ghurfa desert, central Iraq. Phytocoenologia. 1:223-249.

Batanouny, K.H. and Zaki, M. (1974). Edaphic factors and the distribution of plant associations in a sector in the coastal Mediterranean zone in Egypt. Phyton (Austria). 15:193-202.

Batanouny, K.H. and Ziegler, H. (1971). Eco-physiological studies on desert plants. II-Germination of Zygophyllum coccineum L. under different conditions. Oecologia (Berl.) 8:52-63.

Halwagy, R. and Halwagy, M. (1977). Ecological studies on the desert of Kuwait. III-The vegetation of the coastal salt marshes. J. Univ. Kuwait (Sci.) 4:33-74.

الاتجاهات والقيم المرتبطة بالزواج
لدى الشباب القطري

الدكتور
السيد الحسيني
أستاذ مساعد بقسم الاجتماع

الدكتورة
جهينة سلطان العيسى
مدرسة بقسم الاجتماع

أولاً : موضـــوع الدراسة وهدفها

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والدول النامية تتعرض لتحولات اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية بالغة الحدة . وعلى الرغم من أن هذه الدول تختلف فيما بينها اختلافاً ملحوظاً فيما يتعلق بعدد السكان ، وطبيعة الموارد الاقتصادية ، والعناصر الثقافية ، إلا أن العامل الهام الذي يجمعها معا هو خضوعها لخبرة استعمارية تركت آثاراً هامة على بناءاتها الاقتصادية والاجتماعية . وإذا كانت الدول النامية قد عاشت في الماضي في ظل السيطرة الأجنبية ، فإنها تحاول الآن – بعد حصولها على الاستقلال – تحقيق معدلات تنمية عالية حتى تتمكن من تجاوز ظروف التخلف التي فرضت عليها فرضاً .

بيد أن تحقيق التنمية يتطلب – باديء ذي بدء – التعرف على معالم البناء الاجتماعي – الثقافي في الدول النامية بهدف رصد التغيرات التي طرأت عليه ، وتحديد إمكانية توجيه هذه التغيرات بما يخدم الأهداف القومية بوجه عام . إن كثيراً من المهتمين بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية يميلون إلى مناقشة العموميات الثقافية متجاهلين بذلك الخصوصيات الثقافية التي تميز كل دولة من الدول النامية . فبرغم العناصر المشتركة التي تميز هذه الدول ، إلا أن كلاً منها يشهد واقعاً ثقافياً واجتماعياً متميزاً لا يمكن تغافله . ونحن لا نستطيع إغفال الجهود التي بذلت في هذا المجال خلال العقدين الماضيين ، وإن كانت الدراسات التي أجريت تميل إلى التركيز على مجتمعات

دون غيرها . فلقد حظيت دول أمريكا اللاتينية والهند – على سبيل المثال – بقدر كبير من اهتمام العلماء الاجتماعيين سواء في الولايات المتحدة أو أوروبا الغربية ، بينما لم تحظ الدول العربية – خاصة النفطية منها – على نصيبها الضروري من الاهتمام الأكاديمي .

وتمثل دول الخليج العربي حالة خاصة يتعين الاهتمام بها . فعلى الرغم من أنها تشارك الدول النامية كثيراً من خصائصها ، إلا أنها تتميز بخصوصية إجتماعية واقتصادية وثقافية وديموجرافية يجب أن تحظى بنصيبها من الدراسة . ونعني بدول الخليج العربي : المملكة العربية السعودية ، والعراق ، والكويت ، والإمارات العربية المتحدة ، وعمان ، وقطر ، والبحرين . إن من أبرز التحولات التي شهدتها هذه الدول خلال العقود الثلاثة الماضية ظهور النفط وتحول اقتصادياتها (باستثناء العراق) من الاعتماد على الرعي والغوص على اللؤلؤ وصيد السمك إلى الاعتماد على العائدات النفطية الضخمة . ومن شأن ذلك أن يدفع هذه الدول إلى الأخذ بمشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية . ومن الطبيعي أن ينعكس ذلك على النظم الاجتماعية والعناصر الثقافية المميزة لهذه الدول . والملاحظ أن جانباً كبيراً من الدراسات المعنية بدول الخليج العربي تميل إلى التركيز على التحولات الاقتصادية والتكنولوجية دون الاهتمام الضروري بالعناصر الثقافية المرتبطة بهذه التحولات . وربما استثنينا من ذلك بعض الدراسات الحديثة التي سوف نشير إلى بعض منها في موضع لاحق .

وفي ضوء هذه الاعتبارات نشأت الرغبة في إجراء هذه الدراسة . فهدفها الرئيسي هو التعرف على بعض القيم والاتجاهات المرتبطة بالزواج لدى عينتين من الطلبة والطالبات بجامعة قطر . ومن الواضح أن هذا الهدف مشتق من الرغبة في دراسة بعض العناصر الثقافية في مجتمع يتعرض لتحولات إجتماعية سريعة . وإذا كان بعض الدارسين يفضلون دراسة المجتمعات في أكثر صورها اتزاناً واستقراراً ، فإن هذه الدراسة تكتسب أهميتها من منظور مخالف . إن الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تتعرض لها الآن دول النفط العربية تمثل مجالاً خصباً لاختبار مدى كفاءة نظريات التغير الاجتماعي – الثقافي وقدرتها على فهم الظروف النوعية . ولا شك أن النتائج التي يمكن

أن نتوصل إليها في هذا المجال قد تنطوي على أهمية نظرية وامبيريقية وتطبيقية في آن واحد . فمن الناحية النظرية تمثل دراسة المجتمع القطري إضافة هامة إلى النمو النظري المتراكم الذي تجمع خلال السنوات الأخيرة ، والذي يتعلق — أساساً — بنماذج مختلفة من المجتمعات المعاصرة . ومن الناحية الامبيريقية فإن الدراسة تمثل محاولة لاختبار كثير من المفاهيم والتصورات السائدة في علم الاجتماع على واقع اجتماعي له سماته الخاصة . وأخيراً فإن الأهمية التطبيقية للدراسة تتمثل في استخدام نتائجها كمعطيات يمكن أن تسهم في توجيه التغير الاجتماعي نحو أهداف أكثر رشداً وفعالية .

وخلال السنوات الأخيرة ظهر اهتمام ملحوظ بدراسة بعض المشكلات والقضايا المتعلقة بالأسرة العربية . ويمكننا تصنيف هذا الاهتمام في ثلاث مجالات هي : البناء ، والوظيفة ، والثقافة . على أن القضية التي تعنينا هنا بدرجة أكبر ، تتمثل في القيم والاتجاهات المتعلقة بالاختيار للزواج . فلقد أوضح بيرلسون Berelson وشتاينر Steiner أن الزواج في العالم العربي — شأنه شأن المجتمعات التقليدية — هو من الأعمال التي يسيطر عليها كبار السن (٢) . فثمة شواهد عديدة تشير إلى أن قضية زواج الفتى أو الفتاة قد تكون موضوعاً للمناقشة حتى قبل ولادتهما . وهذا يعني أن الزواج يمثل قدراً محتماً لكل بالغ من الجنسين . ولقد أشار فولر Fuller في دراسته على قرية لبنانية إلى أن كبار السن قد يواجهون مشكلة اختيار القرينات لأبنائهم ، لكن هؤلاء الأبناء يحاولون — في نفس الوقت — التأثير على هذه العملية بإبداء آرائهم (٣) . ويبدو أن عملية الاختيار للزواج تبدو في المدينة أكثر تعقيداً منها في القرية ، وذلك بسبب ضعف الطابع الشخصي للعلاقات الاجتماعية ، فضلاً عن زيادة الفردية بوجه عام . ولقد أوضح هيراباياشي Hirabayashi وإسحاق Ishaq أن عملية الاختيار للزواج في المدن العربية تتميز بقدر من الليبرالية . ففي مدينة عمان اتضح أن خُمس النساء اللائي تزيد أعمارهن عن ٤٠ سنة قد شاركن في عملية اختيار قرنائهن أو بابداء موافقتهن عليهن في مقابل ثلاثة أخماس النساء اللائي تتراوح أعمارهن فيما بين ١٥ سنة و ٣٥ سنة (٤) . وفي مسح أجري على الطلبة الجامعيين في عدة مدن بالشرق الأوسط اتضح أن الفتاة في لبنان لم تحصل فقط على مزيد من الحرية في

اختيار قرينها ، ولكنها تحررت أيضاً ـ وبدرجة كبيرة ـ من كثير من القيود التي كانت تحد من حريتها قبل ارتباطها بالزواج (٥) . وإلى هذه النتيجة توصلت سامية الساعاتي في دراستها على عينة مصرية (٦) . كذلك أوضح إبراهيم عثمان في دراسة حديثة تناولت المناطق الحضرية بالأردن أن الزواج من الأقارب يقل باستمرار . ويفسر ذلك في ضوء عوامل متعددة منها : التعليم ، ونمو المدن الكبرى ، والهجرة الاضطرارية ، فضلاً عن الاستقلال الاقتصادي للشباب من الذكور والإناث . لكن عثمان يتوصل في موضع لاحق من دراسته إلى أن ٢٧ ٪ من الزيجات في مدينة عمان تم من الأقارب و٢٣ ٪ من نفس القرية أو المدينة و٢٢ ٪ من منطقة الجوار و٢٨ ٪ من خارج هذه الفئات . فلو اعتبرنا الفئات الثلاث الأولى مؤشراً على العلاقات بين أفراد الجماعة الواحدة ، أمكننا القول أن زيجات الأقارب أو الجيرة تعد أكثر أنماط الزواج شيوعاً في عمان (٧) . وفي تونس توصل يوراوى في دراسته التي أجراها على ١٠٨٨ أسرة تونسية إلى عدم وجود تماثل كبير فيما يتعلق بالمستوى التعليمي للزوجين وإن كان ذلك يختلف بين المناطق الريفية والحضرية . كذلك فلقد سجلت الدراسة ذاتها أن كثيراً ما ترتفع المرأة اجتماعياً من خلال الزواج إذا ما قورنت بالرجل . فحوالي ثلاثة أرباع بنات أبناء العمال يتزوجن من عمال زراعيين ، أو من مزارعين ، أو من عمال ؛ بينما نجد حالات الزواج في الطبقة الوسطى (الحرفيين والتجار والموظفين) أكثر تنوعاً وتبايناً (٨) . أما جهينة العيسى فقد توصلت إلى نتائج مختلفة إلى حد ما . فلقد أوضحت أن النسق القرابي في قطر يقوم على قواعد حددها العرف والدين ، بمعنى أن النسبة تكون فيها للأب مع الاعتراف بالقرابة من ناحية الأم . أما إذا كان الزواج من خارج نطاق العائلة ، فإنه يتجه إلى عائلة متكافئة من حيث النسب والأصل . وغالباً ما يتم الزواج في داخل أبناء العشيرة الواحدة . والملاحظ أن مركز الشخص الاقتصادي يحتل أهمية أقل من أصله القبلي فيما يتعلق بالزواج ، لأن المجتمع القطري يتكون من عدة قبائل متصلة النسب وترجع جميعها إلى الجزيرة العربية (٩) .

وهناك دراستان حديثتان نسبياً تؤيدان عموماً ما توصلت إليه جهينة العيسى . فلقد أوضح ريتشارد أنطون في دراسة له على قرية أردنية أن الزواج من الدرجة الأولى

(أي بين أبناء العمومة) يؤدي أربعة وظائف ترتبط جميعها بالوحدة البنائية والنسب : اثنتان منهما اقتصاديتان ، بينما الثالثة سياسية والرابعة بنائية ، وأن هذه الوظائف كانت تسهم في المحافظة على الزواج القرابي والداخلي(١٠) . أما الدراسة الثانية فلقد أجراها فؤاد خوري في لبنان حيث كشف عن أن الزواج المفضل هو الزواج الذي يتم بين أبناء العمومة وذلك لتحقيق المحافظة على وحدة العائلة وثروتها . وفي ذلك تأييد لما توصل إليه ليفون مليكيان بصدد تحديد العوامل المحبذة (أو الرافضة) لزواج أبناء العمومة (١١) .

ومن الواضح أن الدراسات الحديثة التي تناولت عملية الاختيار للزواج تميل إلى تأكيد وجود تحولات هامة من بينها زيادة الفردية حتى ولو أن الآباء ما يزالون يلعبون دوراً هاماً في هذا المجال . فلقد سجلت بعض الدراسات انكماش عملية استخدام الأقارب في اختيار القرين أو القرينة . وعلى الرغم من أن بعض الباحثين قد أشاروا إلى الدور الذي يلعبه كبار السن في الاختيار للزواج ، إلا أن ذلك لا يعني – بالضرورة – تجاهل رغبات وآراء الشباب الراغبين والمؤهلين للزواج . ولقد أوضح فولر Fuller في دراسته التي أشرنا إليها قبل قليل أن الشباب القرويين قد يحصلون على بعض الفرص كالأعياد لرؤية الفتيات ، مما قد يعينهم على اختيار أفضل للقرينات(١٢) . وربما شجع ذلك بروثرو Prothro ودياب Diab على القول بأن عملية الاختيار للزواج – فضلاً عن القيم المتعلقة بها – تتعرض في الوقت الراهن لتغيرات هامة أهمها منح القرينين مزيداً من حرية التصرف(١٣) .

ثانياً : المنهج والأدوات

أوضحنا في موضع سابق أن الهدف الأساسي لهذه الدراسة هو التعرف على الاتجاهات والقيم المرتبطة بالزواج لدى الشباب من القطريين والقطريات . وفي ضوء هذا الهدف اختارت الدراسة المنهج المقارن كمنهج أساسي يمكن من خلاله التعرف على الاختلافات بين الجنسين فيما يتعلق بالاتجاهات والقيم المرتبطة بالزواج ، فضلاً عن الاختلافات الأخرى التي تظهر إلى حيز الوجود إذا ما استخدمنا بعض المتغيرات كالسن والحالة الزواجية والجنسية . . . الخ . ومن الواضح أن الدراسة ستستخدم

شكلين من المقارنات : الأولى داخلية تتم داخل الفئة الواحدة ، والثانية خارجية تتم بين الفئات المختلفة . ومن الطبيعي أن تمكننا هذه المقارنات من التعرف على أنماط القيم والاتجاهات المرتبطة بالزواج لدى الجماعات المتماثلة والمتباينة على السواء .

أما الأداة الأساسية لجمع البيانات فتتمثل في استمارة بحث تناولت بنوداً عديدة كالسن ، ومحل الميلاد ، والسنة الدراسية ، والجنسية ، ومهنة الأب ، ومستوى تعليم الأب ، وإمكانية الحصول على الزوجة (أو الزوج) المناسبة ، وإدراك وجود عقبات تحول دون الزواج ، وتفضيل الزواج من العائلة أو من خارجها ، والسن المفضل للزوجة (أو الزوج) ، والموقف من عمل الزوجة ، والمهنة المفضلة للزوج ، وأخيراً معايير اختيار الزوجة (أو الزوج) . ولقد روعي في تصميم استمارة البحث توافر قدر ملحوظ من الاتساق الداخلي والترتيب المنطقي بين بنودها .

ولقد حصلنا على بيانات الدراسة بعد تطبيق استمارة البحث على عينتين من من الطلبة والطالبات بجامعة قطر خلال عام ١٩٧٩ . أما عدد أفراد عينة الطلبة فقد بلغ ٦٠ طالباً ، في حين بلغ عدد أفراد عينة الطالبات ١٠٠ طالبة . ولقد روعي في اختيار العينتين مجموعة من الاعتبارات منها : الجنسية ، والعمر ، والتخصص الدراسي ، والكلية الجامعية ، والفصل الدراسي . أما التفاوت في حجم عينتي الدراسة فنجد له مبرراً في الحجم الأصلي للعينتين . فعدد الطالبات في جامعة قطر يفوق عدد الطلبة بوجه عام .

ثالثاً : الخصائص الاجتماعية لعينتي الدراسة

حصلت الدراسة على متوسطي أعمار كل من العينتين ، فاتضح أن متوسط عمر الطالبات يبلغ ١٩ر٧٣ سنة بانحراف معياري قدره ١ر٦٩ سنة . أما متوسط عمر الطلبة فيبلغ ٢١ر٢٢ سنة بانحراف معياري قدره ٢ر٠٣ سنة . ويبدو أن السبب الرئيسي لهذا التفاوت بين المتوسطين يكمن في اختلاف السنوات الدراسية لكل من العينتين . فلقد لوحظ أن ٥٠ ٪ من عينة الطالبات ينتمين إلى السنة الدراسية الأولى ، بينما لا نجد تمثيلاً للطلبة في هذه السنة الدراسية . وفي حدود التفاوت في الانتماء للسنوات الدراسية يمكننا تفسير ارتفاع متوسط عمر الطالبات إذا ما قورن بمتوسط عمر الطلبة . وربما أمكننا الحصول على صورة أدق لذلك إذا ما ألقينا النظر على جدول رقم (١) .

جدول رقم (١)

السنوات الدراسية التي ينتمي إليها أفراد العينتين

السنة الدراسية	طلبة		طالبات	
	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
الأولى	—	—	٥٠	٥٠
الثانية	٣٢	٥٣ر٣٣	١٨	١٨
الثالثة	٢٤	٤٠ر٠٠	١٢	١٢
الرابعة	٤	٦ر٦٧	٢٠	٢٠
المجموع	٦٠	١٠٠ر٠٠	١٠٠	١٠٠

وفيما يتعلق بالحالة الزواجية ، لوحظ تقارباً ملحوظاً بين أفراد العينتين . فالغالبية العظمى من الطالبات غير متزوجات (٩٤ ٪) في مقابل ٨٥ ٪ بالنسبة للطلبة . أما المتزوجات فقد بلغت نسبتهن ٦ ٪ في مقابل ١٥ ٪ من الطلبة . وبالإمكان تفسير هذا التفاوت الطفيف في ضوء حقيقة انخفاض سن الزواج بالنسبة للمرأة إذا ما قورن بسن الزواج بالنسبة للرجل . كذلك يمكننا أن نلحظ تقارباً ملحوظاً بين أفراد العينتين فيما يتعلق بالحالة المهنية . فلقد أقرت ١٠ ٪ من الطالبات أنهن يعملن ، في مقابل ١٣ر٣٣ ٪ بالنسبة للطلبة . ومن المتوقع أن تكون العاملات من الطالبات غير القطريات طالما أن هناك نسبة ملحوظة منهن ينتمن إلى جنسيات غير قطرية . فلو تأملنا جدول رقم (٢) لاحظنا أن ثلثي عينة الطالبات (٦٧ ٪) ينتمين إلى الجنسية القطرية في مقابل نسبة أقل للذكور (٦١ر٦٧ ٪) . بيد أننا نلحظ ـ مع ذلك ـ تفاوتاً بين المجموعتين فيما يتعلق بنسبة الطلبة والطالبات البحرينيات . فنسبة الطالبات تصل إلى ١٦ر٧٧ ٪ في مقابل ٧ ٪ للطلبة . وبالإمكان تفسير ذلك في ضوء القرب الجغرافي بين دولتي قطر والبحرين ، فضلاً عن أن كلية التربية للمعلمات بجامعة قطر تمثل أقرب كلية جامعية يمكن أن تلائم الطالبات البحرينيات . وكذلك يمكن تفسير ارتفاع نسبة الطالبات

الفلسطينيات (١٠ ٪) والطلبة الفلسطينيين (٦ر٦٧ ٪) في ضوء حجم المجتمع الأصلي للفلسطينيين في قطر ، حيث يشكلون أقلية كبيرة نسبياً ، وأيضاً في ضوء سياسة القبول في الجامعة بالنسبة للجنسيات المختلفة .

ولقد حصلت الدراسة بعد ذلك على توزيع أفراد العينتين طبقاً لمهنة الوالد ، حيث ظهرت تفاوتات ملحوظة في هذا المجال . واستناداً إلى التصنيف المهني المستخدم في هذه الدراسة أقر ٢٢ ٪ من الطالبات أن آبائهن يعملن في التجارة في مقابل ٨ر٣٣ ٪

جدول رقم (٢)

توزيع أفراد العينتين طبقاً للجنسية

طلبة			طالبات		
الجنسية	التكرار	النسبة المئوية	الجنسية	التكرار	النسبة المئوية
قطري	٣٧	٦١ر٦٧	قطرية	٦٧	٦٧
بحريني	١٠	١٦ر٧٧	بحرينية	٧	٧
سعودي	—	—	سعودية	٤	٤
يمني	٥	٨ر٣٣	عمانية	١	١
فلسطيني	٤	٦ر٦٧	فلسطينية	١٠	١٠
أردني	٣	٥ر	أردنية	٣	٣
باكستاني	١	١ر٦٧	مصرية	٦	٦
			أخرى	٢	٢
المجموع	٦٠	١٠٠ر	المجموع	١٠٠	١٠٠

بالنسبة للطلبة . (انظر جدول رقم ٣) . بيد أن التفاوت الأعظم بين العينتين يكمن في وظائف الخدمة المدنية التي يعمل بها الآباء . فلقد أشار ٤٧ ٪ من الطالبات أن آبائهن يعملون في وظائف الخدمة المدنية ، بينما لم يشر إلى ذلك أي من الطلاب .

ويمكننا تفسير هذا الموقف – جزئياً – في ضوء حقيقة التوريث المهني التي تعني ميل بعض الآباء لتوريث مهنهم إلى أبنائهم ، فضلاً عن أن العاملين بالوظائف المدنية يكونون أكثر ميلاً لإكساب أولادهم المؤهلات التعليمية . ويبدو ذلك أوضح ما يكون بالنسبة للإناث .

جدول رقم (٣)

توزيع أفراد العينتين طبقاً لمهنة الآبـاء

مهنة الوالد	طلبة		طالبات	
	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
تاجر	٥	٨ر٣٣	٢٢	٢٢
موظف	–	–	٤٧	٤٧
حرفي	١٦	٦٧ر٢٦	٦	٦
فني	١٧	٣٠ر٢٨	٢	٢
متقاعد	١٠	٦٧ر١٦	١٠	١٠
متوفي	١٢	–ر٢٠	١٣	١٣
المجموع	٦٠	–ر١٠٠	١٠٠	–ر١٠٠

ويمكننا أن نجد تأييداً جزئياً للشواهد السابقة إذا ما تعرفنا على توزيع أفراد المجموعتين طبقاً لمستوى تعليم الأب . (انظر جدول رقم ٤) . فلقد أشار ١٩ ٪ من الطالبات أن آباءهن قد حصلوا على مؤهلات تعليمية جامعية في مقابل ٥ ٪ بالنسبة للطلبة . كذلك فإن ارتفاع المستوى التعليمي لآباء عينة الطالبات يبدو من خلال الانخفاض النسبي للذين لم يحصلوا على أية مؤهلات تعليمية (٤١ ٪ بالنسبة لعينة الطالبات في مقابل ٦٧ر٥٦ ٪ بالنسبة لعينة الطلبة) .

جدول رقم (٤)

توزيع أفراد العينتين طبقاً لمستوى تعليم الآباء

مستوى تعليم الأب	طلبة		طالبات	
	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
ابتدائي	١٥	ـــر٢٥	٢٩	٢٩
ثانوي	٨	٣٣ر١٣	١١	١١
جامعي	٣	ـــر٥	١٩	١٩
بدون	٣٤	٦٧ر٥٦	٤١	٤١
المجموع	٦٠	ـــر١٠٠	١٠٠	١٠٠

وعلى أية حال فإن التوزيع الذي حصلنا عليه يميل إلى إبراز ارتفاع الأصول التعليمية لعينة الطالبات إذا ما قورنت بعينة الطلبة . ويبدو أن عينة الطالبات قد حققت أيضاً ارتفاعاً ملحوظاً على مستوى النشأة الحضرية . فلقد أشارت الغالبية العظمى من عينة الطالبات أنهن قد نشأن في مدينة كبرى (٧٨ ٪) ، بينما لم ينشأ في مدينة كبرى من عينة الطلبة إلا أقل من النصف بقليل (٦٦ر٤٦ ٪) ، وفي نفس الوقت نجد النشأة الريفية (أو البدوية) تمثل خاصية اجتماعية هامة لعينة الطلبة (٦٧ر٥١ ٪) بينما لا تحتل أهمية تذكر بالنسبة للطالبات (١١ ٪) . ولو سلمنا بفكرة اتساق أبعاد المكانة الاجتماعية ، لاحظنا أن الأصول الاجتماعية للطالبات أعلى بشكل واضح إذا ما قورنت بالأصول الاجتماعية للطلبة . ولقد حصلت الدراسة على مزيد من الشواهد التي تؤكد هذا الاتجاه . فعند حساب متوسط دخل أسر الطالبات ، اتضح أنه يبلغ ٤٦ر٤٥٣٨ ريالاً قطرياً شهرياً في مقابل ٢٤ر٣٠٩٥ ريالاً قطرياً شهرياً ، مما يشير عموماً إلى أن أفراد عينة الطالبات قد أتين من أصول إجتماعية ـ اقتصادية أعلى من تلك التي أتى منها أفراد عينة الطلبة .

جدول رقم (٥)
توزيع أفراد العينتين طبقاً لمكان الميلاد

محل الميلاد	طلبة		طالبات	
	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
قرية	٣١	٥١ر٦٧	١١	١١
مركز	١	١ر٦٧	١١	١١
مدينة كبرى	٢٨	٤٦ر٦٦	٧٨	٧٨
المجموع	٦٠	١٠٠ر–	١٠٠	١٠٠ر–

رابعاً : المعايير والقيم المرتبطة بالزواج

حاولت الدراسة في البداية التعرف على آراء أفراد العينتين فيما يتعلق بإمكانية الحصول على الزوج أو الزوجة المناسبة . إن مثل هذه الإ مكانية تعكس لنا مدى الفرص المتاحة للحصول على القرين الملائم والتيسيرات الاجتماعية المصاحبة لذلك . ويوضح لنا جدول رقم (٦) توزيع أفراد العينتين طبقاً لإ مكانية الحصول على الزوج أو الزوجة المناسبة . ومن الواضح أن الغالبية العظمى من الجنسين قد أقروا إمكانية الحصول على القرين أو القرينة المناسبة (٧٤ ٪ عند الطالبات في مقابل ٨٦ر٦٧ ٪ عند الطلبة) ، وإن كنا نلحظ – مع ذلك – أن هذه الإ مكانية أعلى عند الطلبة منها عند الطالبات .

جدول رقم (٦)
توزيع أفراد العينتين طبقاً لإمكانية الحصول على الزوج أو الزوجة المناسبة

الإ مكانية	طلبة		طالبات	
	التكرار	النسبة المئوية	التكرار	النسبة المئوية
نعم	٥٢	٨٦ر٦٧	٧٤	٧٤
لا	٧	١١ر٦٧	٢٤	٢٤
غير مبين	١	١ر٦٦	٢	٢
المجموع	٦٠	١٠٠ر–	١٠٠	١٠٠ر–

ويبدو هذا الموقف أكثر وضوحاً إذا ما قارنا بين الذين نفوا هذه الإمكانية من الطلبة والطالبات (٦٧ر١١ في مقابل ٢٤ ٪ على التوالي) . ومن اليسير تفسير هذا التفاوت في ضوء فكرة المبادرة بالزواج عند الرجل في مجتمع كالمجتمع القطري . إذ نجد تأكيداً ملحوظاً للدور الذي يلعبه الرجل عند الدخول في علاقة زواجية مما قد يخلق لديه إحساساً بإمكانية الحصول على الزوجة المناسبة إذا ما تمكن من الاختيار الناجح بين ممكنات عديدة . ومن خلال هذا التفسير يمكن أيضاً إدراك الدلالة التي تشير إليها نسبة الطالبات اللائي أشرن إلى عدم إمكانية الحصول على الزواج المناسب . فبسبب ضعف المبادءة والقدرة على التحكم في مختلف الظروف المحيطة بمشروع الزواج ، تجد الفتاة نفسها في موقف ضعيف نسبياً إذا ما قورن بموقف الفتى .

وربما أمكننا تفسير التفاوت السابق إذا ما تعرفنا على إدراك كل من أفراد المجموعتين لوجود عقبات تحول دون الزواج (انظر جدول رقم (٧)) .

جدول رقم (٧)

توزيع أفراد العينتين طبقاً لإدراكهم وجود عقبات تحول دون الزواج

العينات	طلبة		طالبات	
	التكرار	٪	التكرار	٪
عدم وجود فرص للتعارف	٢٨	٢٩ر٢٠	٥٨	٧ر٣٤
التكاليف الباهظة للزواج	٤٦	٣٣ر٣٣	٢٩	٤ر١٧
إجبار الآباء على الزواج من الأقارب	٢٧	٥٦ر١٩	٢٣	٨ر١٣
عدم التكافؤ بين الأسر	٢١	٢٣ر١٥	١٩	٤ر١١
عدم التكافؤ بين الفتى والفتاة	١٦	٥٩ر١١	٢٩	٤ر١٧
أسباب أخرى	—		٨	٨ر٤
المجموع	١٣٨	—ر١٠٠	١٦٧	—ر١٠٠

ومن الواضح أن إدراك العقبات التي تحول دون الحصول على الزواج الملائم تختلف باختلاف مجموعتي الدراسة ؛ وإن كنا – مع ذلك – نلحظ قدراً من الاتفاق بينهما حول أهمية بعض العقبات . فعلى مستوى عينة الطلاب لوحظ أن أكبر معوقات الحصول على الزوجة الملائمة تتمثل في التكاليف الباهظة للزواج (٣٣ر٣٣ ٪) وكذلك عدم وجود فرص للتعارف على الفتاة فيما قبل الزواج (٢٩ر٢٠ ٪) . كما أشار حوالي خُمس تكرارات عينة الطلبة (٥٦ر١٩ ٪) إلى مشكلة إجبار الآباء على الزواج من الأقارب . ويبدو أن إدراك الطلبة لأهمية هذه المشكلات يعكس بالفعل وجود واقع اجتماعي لا يتيح فرصاً كافية لاختلاط الجنسين ، فضلاً عن تكفل الشاب الراغب في الزواج بجانب كبير من الالتزامات المالية الضرورية . ومن المألوف في مجتمعات الخليج العربي أن الراغب في الزواج عليه أن يواجه مشكلات مالية عديدة مصدرها ارتفاع المهور ، وتأسيس مسكن الزوجية ، فضلاً عن الضغوط الاجتماعية التي تدفع – بل وتشجع – إلى الزواج في سن مبكرة نسبياً . أما بالنسبة لعينة الطالبات فلقد لوحظ أن أكثر من ثُلث العينة (٧ر٣٤ ٪) قد أشارت إلى عدم وجود فرص للتعارف على الشاب فيما قبل الزواج كأحد العقبات التي تحول دون الحصول على الزواج الملائم ، كما أشارت نسبتان مئويتان متساويتان (٤ر١٧ ٪) إلى عقبتين هما : التكاليف الباهظة للزواج ، وعدم التكافؤ الثقافي بين الفتى والفتاة . ومن الواضح أن النسبة المئوية الأولى تشير إلى إدراك الطالبات – بحكم مستوى ثقافتهن – إلى مشكلة التكاليف الباهظة للزواج باعتبارهن طرفاً واعياً فيها . أما النسبة المئوية الثانية المعبرة عن عدم التكافؤ الثقافي بين الفتى والفتاة فقد تعبر عن ظروف مجتمع متحول بدأت فيه الفتاة تحس بضرورة الحصول على زوج يتمتع بنفس مستواها الثقافي ، خاصة وأن نسبة من راغبي الزواج من الشباب قد لا يعتبرون المؤهل الدراسي أو المستوى الثقافي معياراً أساسياً من معايير المكانة الاجتماعية – الاقتصادية . وهناك اتفاق واضح بين عينتي الدراسة على أهمية الاختيار الحر للقرين أو القرينة . فحوالي خُمس تكرارات الطلبة (٥٦ر١٩ ٪) أشارت إلى أن أحد المشكلات الأساسية التي تواجههم تتمثل في إجبار الآباء على الزواج من الأقارب في مقابل ٨ر١٣ ٪ بالنسبة للطالبات . وقد تبدو هذا التكرارات معبرة عن الواقع إذا ما أخذنا في اعتبارنا طبيعة التركيب الاجتماعي في

المجتمع القطري والذي يستند استناداً أساسياً إلى القبيلة ، وما تعبر عنه من التزامات وواجبات . وهذا يعني أن الزواج لا يعد مشروعاً فردياً بقدر ما يعتبر عملاً اجتماعياً بكل ما تنطوي عليه هذه الكلمة من معان . وعلى أية حال فالتكرارات التي حصلنا عليها في هذه الدراسة تميل إلى إدراك واقعي للمعوقات الفعلية التي تحول دون تحقيق الزواج الملائم وأهمها : التكاليف الباهظة للزواج ، وعدم وجود فرص للتعارف بين الفتى والفتاة ، فضلاً عن عدم التكافؤ الثقافي بينهما ، وأخيراً الزواج الاضطراري الذي يتمثل في إجبار الآباء أبناءهم وبناتهم على الزواج من الأقارب .

ولقد حاولت الدراسة بعد ذلك التعرف على إدراك أفراد العينتين لمدى الاشباعات المختلفة التي يحققها الزواج ، حيث اتضح تشابهاً ملحوظاً بينهم في هذا المجال . فبينما أقر ١٥ ٪ من الطالبات أنه يحقق كل الاشباعات ، أشار إلى ذلك نسبة أعلى بقليل من الطلبة (٦٧ر٢١ ٪) . بيد أن الحقيقة الأهم من ذلك هي رفض معظم أفراد العينتين لأن يكون الزواج محققاً لكل الاشباعات (٨٥ ٪ بالنسبة للطالبات و ٣٣ر٧٨٪ للطلبة) . وأغلب الظن أن أفراد العينتين قد ربطوا بين فكرة عدم تحقيق الزواج لكل الاشباعات بفكرة الالتزامات المختلفة التي يفرضها الزواج والتي قد تكون أحد أسباب التفكك الأُسري . ومن الصعب فهم هذه الاستجابات على أنها تعني تقليلاً لأهمية الزواج كمشروع إجتماعي أو أنها تعكس إتجاهاً سلبياً نحوه . فالشيء الأقرب إلى الفهم هنا هو أن الزواج في نظر أفراد العينتين ــ شأنه شأن أي إنجاز إجتماعي آخر ــ ليس له وجه واحد يمكن النظر إليه من خلاله ، وأن الحكم عليه يتوقف على الخبرات الشخصية أكثر مما يتوقف على التأملات الذاتية .

كذلك حاولت الدراسة التعرف على رغبة أفراد العينتين فيما يتعلق بالزواج من العائلة أو من خارجها . ولقد اتضح أن نسبة مئوية كبيرة من الطالبات (٦٧ ٪) تفضل الزواج من خارج العائلة ، وأن نسبة مئوية مقاربة (٣٣ر٦٣ ٪) من الطلبة تفضل ذلك أيضاً . (انظر جدول رقم ٨) . أما الطالبات اللائي رفضن الزواج من العائلة فقد بلغت نسبتهن ٣٣ ٪ في مقابل ٦٧ر٣٦ بالنسبة للطلبة . وتشير

جدول رقم (٨)

توزيع أفراد العينتين طبقاً لتفضيل الزواج من العائلة أو من خارجها

تفضيل الزواج	طلبة		طالبات	
	التكرار	٪	التكرار	٪
من العائلة	٢٢	٣٦ر٦٧	٣٣	٣٣
من خارج العائلة	٣٨	٦٣ر٣٣	٦٧	٦٧
المجموع	٦٠	١٠٠ر—	١٠٠	١٠٠ر—

هذه النسب المئوية إلى إتجاه سائد لدى أفراد العينتين وهو عدم التقيد بالزواج من داخل العائلة ، وهو إتجاه يتعارض مع النسق القيمي السائد الذي يشتق وجوده من طبيعة التنظيم القبلي في قطر . ونحن لا نزعم أن يكون هذا الاتجاه مميزاً لكل الشباب القطري . إذ من المؤكد أن التعليم الجامعي بما يتيحه من نظرة عالمية ومن إحساس بالنسبية يمثل عاملاً وسيطاً في تشكيل هذا الاتجاه . وعلى الرغم من أن هناك فارقاً كبيراً بين الاتجاه والسلوك ، أو بين ما هو مثالي وما هو واقعي ، فإن الشيء الواضح هنا هو أن ثمة إتجاهاً ملحوظاً لدى الطلبة والطالبات يميل إلى تحبيذ الزواج من خارج العائلة أو بلغة علم الاجتماع الزواج « الاغترابي » . ومن الصعب فهم هذا الاتجاه بمعزل عن التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تشهدها دولة قطر منذ اكتشاف النفط وإنتاجه على نحو تجاري ، وما ترتب على ذلك من مشروعات تنموية كان أحد أبعادها توافر هجرات مكثفة من مختلف الدول العربية والأوربية . ومن الطبيعي أن يصاحب ذلك إحساس ملحوظ بالهوية ورغبة قوية في الاستقلال والتعبير عن الذات .

وإذا كان الطلبة والطالبات قد أبدوا إتجاهات إيجابية نحو الزواج من خارج العائلة ، إلا أنهم — في نفس الوقت — قد أبدوا تحفظات على الزواج من خارج قطر .

فحينما حصلنا على توزيع أفـراد العينتين طبقاً لرغبتهم في الزواج من قطـري أو من قطرية ، وجدنا أن أكثر من نصف الطلبة (٥٥ ٪) قد فضلوا الزواج من قطرية ، بينما فضلت ٥٩ ٪ من الطالبات الزواج من قطـري (انظر جدول رقم ٩) . لـكن البيـانات التي يتضمنها الجـدول تشير بالإ ضافة إلى ذلك إلى موقف كل أفـراد العينة

جدول رقم (٩)

توزيع أفراد العينتين طبقاً لجنسية القرين أو القرينة المفضـلة

جنسية القرينة المفضـلة	طلبة		طالبات	
	التكرار	٪	التكرار	٪
قطـرية	٣٣	٥٥	٥٩	٥٩
خليجيـة	١٧	٢٨ر٣٣	١٧	١٧
عربية غير خليجيـة	٨	١٣ر٣٣	٢٤	٢٤
أجنبيـة	٢	٣ر٣٣	—	—
المجمـوع	٦٠	١٠٠ر–	١٠٠	١٠٠ر–

من جنسية القرين أو القرينة . فلقـد أبدى ٢٨ر٣٣ ٪ من الطلبة رغبتهم في الزواج من خليجيـة في مقابل ١٧ ٪ بالنسبة للطالبات اللائي يرغبن في الزواج من خليجي . أما الطلبة الذين فضلن الزواج من عربية غير خليجية فقد بلغت نسبتهم ١٣ر٣٣ ٪ في مقابل ٢٤ ٪ بالنسبة للطالبات اللائي يفضلن الزواج من عربي غير خليجي . ويتفق الطلبة والطالبات تقريباً على عـدم تفضيل قرينة أو قرين أجنبي . وبنظرة أكثر شمولاً يتضح لنـا تشابهاً كبيراً بين موقف الطلبة والطالبات من الزواج من قرينة أو قـرين قطـري أو خليجي . ففيما تتعلق بالطلبة تصل هذه النسبة إلى ٧٣ر٣٣ ٪ في مقابل ٧٦ ٪ بالنسبة للطالبات .

ولقد حاولت الدراسة بعد ذلك التعرف على سن الزواج المفضل لدى العينتين ، حيث اتضح أن الغالبية العظمى من الطلبة (٧٥ ٪) يفضلون الاقتران من زوجة تصغرهم سناً ، بينما أشار فقط ٢٥ ٪ منهم إلى رغبتهم في الاقتران من زوجة تماثلهم سناً . (انظر الجدول رقم ١٠) . ومن الواضح أن إتجاه الطلبة نحو عمر الزوجة المفضل

جدول رقم (١٠)

السن المفضل للزوج أو للزوجة لدى أفراد العينتين

سن الزوجة المفضل	طلبة		طالبات	
	التكرار	٪	التكرار	٪
أصغر سناً	٤٥	٧٥	—	—
سن مماثل	١٥	٢٥	٦	٦
أكبر سناً	—	—	٩٤	٩٤
المجموع	٦٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

يتسق عموماً مع النظرة العامة الشائعة التي تميل إلى تفضيل أن يكون الزوج أكبر من زوجته بعدة سنوات . ومع ذلك فإن الاستجابات التي عبر عنها ربع أفراد عينة الطلبة (٢٥ ٪) تعكس موقفاً مختلفاً ، حيث فضلوا الزواج من قرينات يماثلنهم في العمر . وليس من المستبعد أن يكون هؤلاء الطلبة قد أبدوا تفهماً للظروف الاجتماعية والتعليمية التي تمر بها المرأة في العالم العربي ، حيث نجد ميلاً متزايداً نحو تعليم الإناث ، مما قد يرفع من سن زواجهن . وفضلاً عن ذلك فإن تفضيل زواج الشاب من فتاة تماثله في العمر قد يعني ضمناً توفير ظروف النضج الشخصي للفتاة ، وزيادة قدرتها على مواجهة ظروف الحياة . وفي الوقت الذي يبدي فيه الطلبة قدراً معيناً من الاهتمام بتقارب عمر كل من الزوجة والزوج ، نجد الطالبات يملن إلى تفضيل الفارق الزمني بينهما ، بمعنى ضرورة أن يكبر الزوج زوجته بعدة سنوات . ولقد أشارت إلى ذلك

٩٦ ٪ من عينة الطالبات . ومن اليسير فهم دلالة هذه النسبة المئوية . ففي مجتمعات الخليج العربي ينظر إلى الشاب من زاوية النضج الشخصي ، وقدرته على مواجهة الحياة الأسرية ، بما يتطلبه ذلك من التزامات اقتصادية واجتماعية . ومع أننا لم نحصل على شواهد إحصائية تعبر عن مدى الفارق الزمني بين سن الزوجين في نظر الطالبات ، إلا أن من المحقق أنهن قد قصدن التعبير عن الالتزامات المختلفة التي يتحملها الشباب والتي قد تؤدي إلى تأخر سن زواجهم إذا ما قورن بسن زواج الفتيات .

وتمثل المهنة المفضلة للزوج والزوجة أحد المعايير الهامة للزواج . فلقد حصلت الدراسة على توزيعين : الأول يعبر عن موقف عينة الطلبة من عمل الزوجة ، والثاني يعبر عن موقف عينة الطالبات من مهنة الزوج المفضلة . ففيما يتعلق بالموقف الأول لوحظ أن ثلثي الطلبة (٦٦ر٦٧ ٪) قد عبروا عن عدم رغبتهم في عمل زوجاتهم حالما يتزوجون . أما الثلث الباقي منهم (٣٣ر٣٣ ٪) فقد أبدوا موافقتهم على التحاق زوجاتهم بإحدى المهن . (انظر جدول رقم ١١) . ومن الواضح أن نسبة كبيرة من الطلاب ما تزال تعتقد أن عمل الزوجة خارج المنزل يتعارض مع الحياة الأسرية المستقرة التي تعني في نظرهم إتجاه طاقات الرجل نحو الخارج (الحياة المهنية) بينما

جدول رقم (١١)

موقف الطلبة من عمل الزوجات

موقف الطلبة	التكرار	٪
تعمل	٢٠	٣٣ر٣٣
لا تعمل	٤٠	٦٦ر٦٧
المجموع	٦٠	١٠٠ر—

تتجه طاقات المرأة نحو الداخل (الحياة الأسرية) . ومن المألوف أن موقف الرجل من عمل المرأة يتوقف على ظروف ومراحل التطور الاجتماعي – الاقتصادي .

ولو تأملنا الإطار البنائي لمجتمعات الخليج العربي نجده لا يزال يؤكد نمطاً من تقسيم العمل بمقتضاه تميل المرأة إلى الاهتمام بالشئون المنزلية كإعداد الطعام ، وتربية الأطفال ، والإشراف على أمور المسكن عموماً ؛ بينما يتجه الرجل إلى الاهتمام بشئون العالم الخارجي وتوفير الشروط أو الظروف المادية اللازمة لاستقرار الأُسرة ودوامها . ويرتبط ذلك بمحددات الدور الوظيفي للزوجة في المجتمع القطري . وعلى الرغم من أن دولة قطر قد شهدت خلال السنوات الماضية تحولات هامة فيما يتعلق بتعليم الإناث والانفتاح على العالم الخارجي نتيجة لمشروعات التنمية الاجتماعية — الاقتصادية ، إلا أن تغير الاتجاهات نحو عمل المرأة لا يحدث — عادة — قبل مرور فترة معينة يمكن خلالها استيعاب المواقف والظروف الجديدة . وبرغم ذلك كله فلقد أقر ثلث أفراد عينة الطلبة أنهم يفضلون الزواج من فتيات عاملات . ولا يعني ذلك — بطبيعة الحال — أن تغيراً كبيراً قد طرأ على دور المرأة وعلاقاتها بالرجل ، بقدر ما يعني توفير ظروف مادية أكثر استقراراً للأُسرة .

أما التوزيع الثاني الذي حصلنا عليه فيتعلق بمهنة الزوج المفضلة لدى عينة الطالبات (انظر جدول رقم ١٢) . وقبل أن نتناول بالتحليل الشواهد الاحصائية المعبرة عن ذلك يتعين الإشارة إلى أننا لم نعتمد على التصنيفات المهنية الشائعة في الكتابات

جدول رقم (١٢)

المهنة المفضلة للزوج كما عبرت عنها عينة الطالبات

المهنة المفضلة	التكرار	٪
فنية عليا	٦١	٦١
إدارية وكتابية	١٥	١٥
التجارة	١٤	١٤
دون تحديد	١٠	١٠
المجموع	١٠٠	١٠٠

السوسيولوجية ، بل حاولنا الحصول على المهن المفضلة للزوج كما عبرت عنها الطالبات ، ثم قمنا بتصنيفها في شكل عائلات أو مجموعات مهنية . وربما كانت هذه الطريقة الامبيريقية أكثر ملاءمة عند دراسة مجتمعات متغيرة تتعرض لمرحلة التكوين والتشكل كالمجتمع القطري . والملاحظ أن نسبة كبيرة من الطالبات (٦١ ٪) قد فضلن الزواج من أصحاب المهن الفنية العليا كالأطباء والمهندسين والمحاسبين . وإذا ما أخذنا في الاعتبار الشروط الضرورية للالتحاق بالمهن الفنية العليا ، وجدنا أن الطالبات قد فضلن شرط التعليم الجامعي والالتحاق بمهنة تلقى قدراً كبيراً من الاعتراف والتقدير عند تحديد نوعية القرين ، ومن ثم لا ترتبط بالنسب أو الأصل الاجتماعي ، وهو من المعايير الأساسية للزواج في المجتمعات التقليدية .

ومن الواضح أن الطالبات قد أردن بذلك التعبير عن الرغبة في الحصول على أزواج يماثلهن في المؤهلات الجامعية على الأقل ، مما يعني توافر التجانس أو التكافؤ الفكري الضروري للحياة الأُسرية . وفضلاً عن ذلك فإن الالتحاق بالمهنة الفنية العليا في قطر يضمن للشخص مستوى معقولاً من الدخل بحكم نظام الأجور السائد . ومن هذه الزاوية يمكن القول إن اختيار الطالبات لأزواج ينتمون إلى المهن الفنية العليا إنما يعني تحقيق أكبر قدر من التجانس الفكري والاستقرار الاقتصادي والاعتراف الاجتماعي . أما اللائي أشرن إلى تفضيل الزواج من ذوي المهن الإدارية والكتابية (١٥ ٪) فلقد عبرن عن مستوى طموح أقل ، وإن كان لا يعني — بالضرورة — التخلي عن المؤهل الجامعي كأحد مواصفات القرين . وفضلاً عن ذلك نجد نسبة مئوية ضئيلة — ولكنها معبرة — من الطالبات تعبر عن رغبتها في اختيار قرين يمارس التجارة . وطالما أن النشاط التجاري في قطر يمثل أحد الأنشطة الاقتصادية التي تضمن تحقيق أرباح عالية ، وبالتالي مستوى معيشي أفضل ، فمن الطبيعي أن تميل بعض الطالبات إلى تفضيل هذا الاختيار . ولا نستطيع أن نستنتج من ذلك استبعاد الطالبات لفكرة المؤهل الدراسي أو الجامعي للقرين الذي يعمل بالتجارة ، إذ ليس هناك تعارضاً بين العمل والتجارة والحصول على المؤهل الدراسي على الأقل من حيث المبدأ .

وتمثل قيم الانجاب أحد المظاهر الأساسية لبناء الأُسرة . ولقد حصلت الدراسة

على متوسطي عدد الأطفال المراد انجابهم ، وكذلك متوسطي عدد الأطفال المتوقع انجابهم وذلك بالنسبة لعينتي الدراسة . ولقد لوحظ أن التفاوت بين أفراد العينتين فيما يتعلق بمتوسط عدد الأطفال المراد انجابهم وكذلك المتوقع انجابهم كان أكثر وضوحاً من التفاوت بينهما فيما يتعلق بكل خاصية على حدة ، أى توقع الانجاب والرغبة في الانجاب . فبالنسبة لعينة الطلبة كان متوسط الأطفال المراد انجابهم ٩٨ر٣ طفلاً بانحراف معياري قدره ٣٩ر١ طفلاً ، في مقابل متوسط قدره ٣٤ر٣ طفلاً بانحراف معياري قدره ٥٦ر١ طفلاً بالنسبة لعينة الطالبات . أما فيما يتعلق بمتوسط عدد الأطفال المتوقع انجابهم بالنسبة لعينة الطلبة فقد بلغ ٤ ر٤ طفلاً بانحراف معياري قدره ٥٥ر١ طفلاً في مقابل متوسط ١ر٤ طفلاً وانحراف معياري قدره ٦ر١ طفلا بالنسبة لعينـــة الطالبات . ومن خلال هذه المتوسطات يمكننا أن نتوصل إلى نتيجتين هامتين : الأولى أن ثمة تفاوتاً ملحوظاً بين الرغبة في الانجاب وتوقع الانجاب ، إذ أن التوقع بالنسبة لأفراد العينتين أعلى من الرغبة الفعلية . أما النتيجة الثانية فهي أن متوسط حجم الأسرة كما عبر عنه أفراد العينتين أقل عموماً من المتوسط العام في دولة قطر ، على الرغم من أننا لا نملك شواهد إحصائية مؤكدة في هذا المجال . وتتسق هذه النتيجة مع الدراسات السكانية المعاصرة التي تميل إلى تأكيد العلاقة السلبية بين حجم الأُسرة وارتفاع مستوى التعليم . ويتعين علينا أن نلاحظ أيضاً الإطار الاجتماعي والثقافي الذي عـــبر من خلاله أفراد العينتين عن إتجاهاتهم نحـــو قضية الانجاب وبالتـــالي حجم الأُسرة . ففـــي قطر نلمس تشجيعاً ـ صريحاً أو ضمنياً ـ على زيادة الانجـــاب بسبب الحاجة المتزايدة إلى السكان لمواجهة متطلبات التنمية الاجتماعية ـ الاقتصادية ، فضلاً عن أن زيادة الانجاب تجد تدعيماً وسنداً من القـــيم الدينية السائدة التي تمثل أحد الجوانب المعيارية الهامة في المجتمع القطري .

ولقد حاولت الدراسة بعد ذلك التعرف على معايير اختيار القرين والقرينة لدى أفراد عينتي الدراسة . والإجراء الذي اتبع في هذا المجال يتمثل في الحصول على تفضيلاتهم النسبية لمعايير اختيار القرين أو القرينة . ومن الطبيعي أن تتشابه معظم هذه المعايير بالنسبة للمجموعتين ، وإن كانت استمارة البحث قد تضمنت بعض المعايير

المميزة لـكل من عينتي الطـلبة والطالبات . فمن معايير الاختيار المشتركة : الأخلاق ، والثقافة ، والتعليم ، والتدين ، والمـال ، والنسب ، والسن . أما بالنسبة لاستمارة الطالبات فقد أضيف إليها بعض المعايير الأخرى كالشخصية ، والوظيفة ، والوسامة . وفيما يتعلق باستمارة الطلبة فقد أضيف إليها إلى جانب المعايير السبع المشتركة السابقة : استقلال الشخصية والجاذبية والجمال . ومن الطبيعي أن تعكس هذه الاختلافات في معايير اختيار القرين الفروق النوعية بين الجنسين . وكان على الطلبة والطالبات عند تقـديم استجاباتهم أن يرتبوا معايير القرين أو القرينة ترتيباً تنازلياً ، بمعنى أن يحصل أهم معيار على رقم (١) وأن يحصل أقـل المعايير أهمية على رقم (١٠) . وفي حدود هذه الملاحظات المنهجية يمكننا تناول أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا المجـال .

فالملاحـظ أن الطلبة يميلون عند تحديد معايير اختيارهم لقريناتهم التأكيد على بعض الصفات أهمها : الأخلاق ، والتدين ، والثقافة ، والتعليم ، والجمـال ، ثم يقل تأكيدهم لصفات أخرى مثل : المـال ، والنسب ، والسن ، واستقلال الشخصية ، والوسامة . فالذين وضعوا معيار التدين في المرتبة الأولى بين معايير اختيار الزوجة تصل نسبتهم إلى ٤٨ ٪ ، وهي نسبة عالية إذا ما قورنت بالنسب الأخرى . أما الذين منحوا معيار الأخلاق المرتبة الثانية فقد بلغوا ٤٠٪ في مقابل معيار الجمال الذي حصل على المرتبة الثالثة لدى ٣٠٪ . أما التعليم فقد حصل على المرتبة الخامسة لدى ٢٣ر٣٣٪ ، ثم نجد الثقـافة تشكل المرتبـة الرابعة كمـا عبر عن ذلك ٣٠ ٪ من أفـراد العينة . وفي مقابل ذلك نجد الطلبة لا يميلون إلى تأكيد معايير معينة عند اختيار قريناتهم . من ذلك المال (المرتبة العاشرة بنسبة ٥٠ ٪) ، والنسب (المرتبة الثامنة بنسبة ٢٠ ٪) ، والسن (المرتبة السادسة بنسبة ٣١ر٦٦٪) واستقلال الشخصية (المرتبة التاسعة بنسبة ٢١ر٦٦ ٪) ، والجاذبية (المرتبة التاسعة بنسبة ٢١ر٦٦ ٪) . ومن الواضح أن الطلاب يميلون في اختياراتهم لقريناتهم تأكيد المعايير المتعلقة بسمات الشخصية المكتسبة أكثر من تأكيدهم لسمات الشخصية الموروثة . وإذا ما استخدمنا المفاهيم الحديثة لعلم الاجتماع قلنا ، أن ثمة تأكيداً لمعايير الانجاز على حساب معايير العزو (تأكيد التدين والتعليم والثقافة والأخلاق في مقابل المـال والنسب والسن والوسامة) ،

ولا شك أن المعايير التي أكدها الطلبة تعكس قدراً كبيراً من الاتساق فيما بينها ، مما يعني تبلور الاتجاهات والقيم المتعلقة بالاختيار الزواجي . بيد أن ذلك لا يمنعنا من الاشارة إلى نقطة أخرى هي أن التأكيد على الجوانب الأخلاقية والدينية والثقافية عند اختيار الزوجة يعكس لدى الشاب معاني محددة . فالتدين والأخلاق هما بمثابة أداتين لضبط السلوك والتنبؤ به ، كما أن التعليم والثقافة هما وسيلتان للاتصال والتفاهم وتحقيق التجانس الفكري .

أما الطالبات فقد عبرن عند اختيارهن لأزواجهن عن اتجاهات قريبة إلى حد ما لتلك التي عبر عنها الطلاب عند تحديدهم لمعايير زوجاتهم . ويمكننا التمييز بين مجموعتين من معايير اختيار الأزواج لدى الطالبات : الأولى ذات أولوية وأهمية خاصة : الأخلاق (المرتبة الثانية بنسبة ٥٢ ٪) ، والتدين (المرتبة الأولى بنسبة ٤٨ ٪) ، والشخصية (المرتبتين الثانية والثالثة بنسبتين متكافئتين هما ٢٤ ٪) ، والثقافة (المرتبة الثالثة بنسبة ٢٨ ٪) ، والسن (المرتبة الخامسة بنسبة ٢٦ ٪) . أما المجموعة الثانية من معايير الزواج لدى الطالبات فهى ذات أهمية ثانوية : المال (المرتبة العاشرة بنسبة ٣٧ ٪ ، والنسب (المرتبة السابعة بنسبة ١٩ ٪) ، ووظيفة الزوج (المرتبة السابعة بنسبة ٢٥ ٪ وكذلك الثامنة بنسبة ٢٢ ٪) ، وأخيراً الوسامة (المرتبة التاسعة بنسبة ٢٢ ٪) . ومرة أخرى نلمس تأكيداً للمعايير الأخلاقية والدينية والثقافية عند اختيار القرين ، كما نلحظ ميلاً لعدم إبراز المعايير المتعلقة بالأصول الاجتماعية أو الطبقية كالمال والنسب أو حتى الرمزية كالوسامة . وإذا كنا نلحظ اختلافاً بين مجموعتي الدراسة في تفاصيل الاختيار للزواج ، إلا أن ذلك لا يتعارض مع النتيجة الأساسية التي تشير إليها هذه الشواهد وهي أن معايير الزواج لدى العينتين تميل إلى الاعتماد على تأكيد الجوانب التي يحققها الشخص أكثر مما تميل إلى تأكيد تلك التي يرثها أو يحصل عليها من خلال انتماءاته الطبقية أو الاجتماعية عموماً . إن مثل هذه النتائج تشير – للوهلة الأولى – أن ثمة تحولات هامة تطرأ على اتجاهات وقيم الشباب القطري على الأقل فيما يتعلق بالزواج . وقد تبدو هذه التحولات هامة إذا ما حللنا النسق القيمي السائد في المجتمع القطري والذي تشكل فيه التنظيمات القبلية أساساً هاماً من أسسه البنائية .

ولا نستطيع أن نعزل هـذه الاتجاهات والقيم التي لمسناها لدى أفـراد العينتين عن التحولات التي يشهدها المجتمع القطري خلال السنوات الأخـيرة . وربما استطعنا إلقـاء الضوء على هــذه النقطـة في مناقشتنا للنتائج .

رابعاً : مناقشــة النتــائج

في ضوء الشواهد الامبيريقية التي توصلت إليها الدراسة يمكننا مناقشة الدلالات النظرية التي تشير إليها . ولعل أول ما يمكن أن يقال في هذا المجال ظهور وعي قوي لـدى أفـراد العينتين بقضية الاختيار للزواج والمشكلات المرتبطة بها . ولقد يبدو هذا الوعي من خلال التساؤلات الأساسية التي طرحتها الدراسة على أفــراد العينتين . ففيما يتعلق بالعقبات التي تحول دون الزواج أشار ٣٣ر٣٣ ٪ من الطلبة و ٤ر١٧ ٪ من الطالبات إلى التكاليف الباهظة للزواج ، كما أشار ٢٩ر٢٠ ٪ من الطلبة و ٧ر٣٤ ٪ من الطالبات إلى عدم وجود فرص للتعارف بين الجنسين . ومن الواضح أن هذه الاستجابات تعني — للوهلة الأولى — ضرورة تخليص عملية الزواج من القيـود المالية المفروضة عليها ، وإتاحة الفرص الاجتماعية التي تساعد على اختيار أفضل للقرناء والقرينات . ومن الشواهد الهامة التي تدعم ذلك موقف أفـراد العينتين من الزواج من العائلة . فلقـد أقـر ٦٧ر٣٦ ٪ من الطلبة الزواج من عائلاتهم في مقابل ٣٣ر٦٣ ٪ من خارج عائلاتهم ، في مقابل ٣٣ ٪ و ٦٧ ٪ بالنسبة للطالبات . إن ذلك يعني إتجاهاً قوياً نحو إحداث تحول هام في معايير الزواج بالنسبة للمجتمع القطـري ، الذي تحتل فيه العائلة أو القبيلة مكانة بارزة داخل البنـاء الاجتماعي ، أو بعبارة أخرى يعني توقع تغير بعيد المدى على مستوى الاتجاهات نحو قضية الزواج . ونحن لا نزعم وجـود هذه الاتجاهات — — وبنفس القوة — لدى مختلف جماعات المجتمع القطـري . إذ أن عينتي الدراسة لهمـا خصائصهما الفـريدة . لـكننا لا نستطيع — في نفس الوقت — تجاهل احتمالات التغيير التي تحملها هـذه الاتجاهـات . ومرة أخرى نلمس هذه الاتجاهات عندما أقـر ٥٥ ٪ من الطلبـة الرغبة في الزواج من قطـرية بينما أقـر ٤٥ ٪ منهم الرغبة في الزواج من غير قطـرية . أما النسبتان المعبرتان عن الطالبات فهما ٥٩ ٪ و ٤١ ٪ على التوالي . إن ذلك يمثل تدعيماً لما أشرنا إليه قبل قليل من أن إتجاهات الطلبة

والطالبات تميل إلى تحرير الزواج من التزامات القبيلة بدرجة كبيرة والحسية بدرجة أقل . إذ أننا نلمس بعد ذلك تفضيلاً – إن لم يكن إجماعاً – على توسيع نطاق الاختيار للزواج ليشمل دول الخليج بأسرها (٣٣ر٧٣ ٪ بالنسبة للطلبة في مقابل ٧٦ ٪ بالنسبة للطالبات) . ومن الطبيعي أن يؤكد ذلك الاستنتاج الذي توصلنا إليه من أن عينتي الدراسة (اللتان يمثلان صفوة في دور التكوين) يميلان إلى تأكيد البعد الفردي أو الشخصي في عملية الاختيار للزواج فضلاً عن توسيع مدى هذا الاختيار .

ولدينا بعد ذلك من الشواهد ما يعبر عن وجود نظرة ليبرالية نامية لدى أفراد الجنسين نحو بعضهما البعض . فلقد أقر ٣٣ر٣٣ ٪ من الطلبة إتجاهاً إيجابياً نحو عمل زوجاتهم . وعلى الرغم من أن هذه النسبة المئوية قد لا تبدو كبيرة في حد ذاتها ، إلا أنها تعكس نظرة ليبرالية في ضوء الدور التقليدي الذي تلعبه المرأة القطرية والمتمثل أساساً في الاهتمام بشئون المنزل وتربية الأبناء . أما الطالبات فقد عبرن بدورهن عن إتجاهات ليبرالية حينما أشرن إلى المهن التي يفضلنها لأزواجهن . فلقد أشارت ٦١ ٪ منهن إلى المهن الفنية العليا في مقابل ١٥ ٪ للمهن الكتابية و ١٤ ٪ للتجارة . ولو أخذنا في إعتبارنا طبيعة المهن الفنية العليا ومتطلباتها ، لاحظنا تأكيداً كبيراً على المعرفة الفنية التي يجب أن يتمتع بها الزوج وما يرتبط بذلك من ثقافة خاصة . ولعل في انخفاض نسبة الطالبات اللائي فضلن أزواجاً يعملن في التجارة (١٤ ٪) ما يدعم ذلك إلى حد كبير . ومن الطبيعي أن تنعكس هذه الاتجاهات على معايير اختيار الزواج لدى الطلبة والطالبات حيث نلمس تقارباً ملحوظاً بينهما . . فثمة تأكيد واضح على الأخلاق والتدين والثقافة والتعليم والجمال ، بينما نجد تأكيداً أقل على المال والنسب والسن واستقلال الشخصية والوسامة . وعلى الرغم من أن هذه المعايير قد لا تشكل نمطاً متميزاً ، إلا أنها تشير – في نفس الوقت – إلى إتجاه واضح نحو تحرير الاختيار للزواج من قيم وتقاليد قد تخضع للمناقشة وإعادة النظر فيها .

ومن الواضح أن نتائج هذه الدراسة تفرض علينا النظر في بعض التصورات الشائعة المتعلقة بالأُسرة والزواج في المجتمعات التقليدية . فإذا كانت هذه النتائج تعني إتجاهات قوية نحو الفردية ، فإن الكتابات التي تؤكد الطابع القوي للاتجاهات الجمعية في المجتمعات التقليدية تصبح عرضة للجدل . والواقع أن تسجيل مظاهر

التحول الاجتماعي فيما يتعلق بقضية الزواج هو ـ بحد ذاته ـ مصدر من مصادر الشك في الدراسات التي تذهب إلى أن الاستاتيكية هي أحد الملامح الهامة للمجتمع التقليدي . ومن هذا المنطلق فإن دراستنا تتفق مع بعض الدراسات المعاصرة التي تؤكد وجود تغيرات هامة تتعرض لها النظم الاجتماعية في دول الشرق الأوسط وعلى الأخص الأُسرة والقرابة والزواج(١٤) .

وفي ختام هذه المناقشة نجد من الضروري الإشارة إلى بعض القضايا النظرية والمنهجية التي يتعين الاهتمام بها عند دراسة الظواهر والمشكلات المتعلقة بالأُسرة في مجتمعات الخليج العربي . فعلى الرغم من أن هناك محاولات حديثة قد بدأت تهتم بالأُسرة في هذه المجتمعات ، إلا أنها لا تزال قليلة للغاية ، كما أنها تعكس اهتماماً فردياً خالصاً . ومن الضروري في دراسة الأُسرة تتبع الظواهر والمشكلات سواء على المستوى التاريخي أو المكاني ، وأن تنطلق هذه الدراسة من منظور أكثر رحابة يأخذ في إعتباره التحولات التاريخية والأوضاع الراهنة والتطورات المستقبلية . أن ذلك يمكننا في المدى القريب من صياغة إطار نظري يمكننا من دراسة الواقع الأُسري في مجتمعات الخليج العربي . ذلك أن الأُسرة في هذه المجتمعات تتعرض لتغيرات سريعة وعميقة : إما آتية من الخارج بفضل الهجرة ووسائل الاتصال المتطورة ، أو صادرة عن الداخل نتيجة للتفاعلات المعقدة الناجمة عن محاولات التكيف مع الواقع الجديد . وتتبقى بعد ذلك عدة تساؤلات يتعين على الدراسات المقبلة الإجابة عليها . من ذلك : كيف تواجه الأُسرة الخليجية التغيرات التي تتعرض لها ؟ ما هي ميكانزمات ووسائل مواجهة هذه التغيرات ؟ ما هي صور التفكك الأُسري وكيفية مواجهتها ؟ وما هو الدور الذي تلعبه الجماعات القرابية في المحافظة على الأُسرة وصيانتها ؟ وكيف تحل تقاليد أُسرية جديدة محل أُخرى قديمة ؟ وما هي التفسيرات المختلفة التي تقدم للتحولات التي تطرأ على الأُسرة ؟ وكيف يمكن التوفيق بين الأجيال المختلفة في النظر إلى المشكلات الأُسرية ؟ وما هو الدور الذي تلعبه القيم الدينية والأخلاقية في مواجهة التغيرات التي تطرأ على الأُسرة ؟ إن الإجابة على مثل هذه التساؤلات تمكننا من صياغة أحكام أكثر صدقاً عن واقع الأُسرة في مجتمعات الخليج العربي والتغيرات المحتملة التي يمكن أن تتعرض لها .

المـــراجـــع

(١) جهينة العيسى ، التحديث في المجتمع القطري المعاصر ، الكويت ، شركة كاظمة للنشر والتوزيع والترجمة ، ١٩٧٩ ، ص ١١٦ وما بعدها .

(٢) Berelson, B., Steiner, G., Human Behavior : An Inventory of Scientific Findings, New York: Harcourt, Brace World, 1964.

(٣) Fuller, A., Buarij : Portrait of a Lebanese Muslim Village : Harvard Middle East Monogaphs, No. 6. Cambridge, Mass : Harvard University Press, 1961.

(٤) Hirabayashi, G., Ishaq, May, "Social Change in Jordan: A Quantitative approach in a non-census area" American Journal of Sociology, Vol. 64, 1958, PP. 36-40.

(٥) Prothro, T., Diab, L., Changing Family Patterns in the Arab East, American University of Beirut, 1974.

(٦) سامية الساعاتي ، الاختيار للزواج والتغير الاجتماعي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٢ .

(٧) إبراهيم عثمان ، البناء الأُسري المتغير في حضر الأردن ، من منشورات الحلقة الدراسية عن الأُسرة والقرابة ، جامعة الكويت ، ١٩٧٦ .

(٨) عبد الحميد يوراوي ، اختيار الزواج : بحث دراسي عن الأصليين الاجتماعي والثقافي للزوجين التونسيين ، من منشورات الحلقة الدراسية عن الأُسرة والقرابة ، جامعة الكويت ، ١٩٧٦ .

(٩) جهينة العيسى ، الالتقاء الحضاري وأثره في تغير البناء الاجتماعي للأُسرة في قطر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٥ ، وانظر كذلك :

Melikian, L., Al-Easa, J., Some Predictions about the Qatari Family, in the Family in the Moslem World, edited by Sing, Forthcoming, 1980.

(10) Antoun, R., Arab Village, Indiana University Press, Bloomington, London, 1972, P. 139.

(11) Khuri, F., Parellel Cousin Marriage Reconsidered: A Middle Eastern Practice that nullifies the Effect of Marriage on the Intensity of the Family Relationships, Man Vol. 5, No. 4. December, 1970, P P. 597, 618.

(12) Fuller, A., op. cit.

(13) Prothro, T., Diab, L., op. Cit; P. 30.

(14) Ibid; P. 41 Passim; Hirabayashi, G. Ishaq, May, op. cit, Melikian, L., Al Easa, J., op. cit.

حركة التحرر الفلسطيني والفكر القومي العربي

الدكتور
عادل غنيم
مدرس بقسم التاريخ

يحسن أولاً أن نحدد منهجنا الذي سنطبقه عند حديثنا عن موضوع « حركة التحرر الفلسطيني والفكر القومي العربي » حتى يمكن لنا دراسة الموضوع على أسس موضوعية وثابتة ، وحتى لا تختل النتائج والمفاهيم نتيجة لتغير الأسس والمعايير .

فللقومية العربية كما نعرف خصائص عديدة يعتقدان أهمها ما يأتي :

أولاً : الشمولية .
ثانياً : الإنسانية .
ثالثاً : توفر الاستراتيجية .
رابعاً : النضالية .
خامساً : التقدمية .
سادساً : العدالة الاجتماعية .

وأود أن أوضح مفهومي لتلك الخصائص حرصاً على تجنب أي لبس أو غموض . فالشمولية تعني أنها قومية لكل العرب وليست قومية لطبقة أو حزب أو مجموعة من الأفراد . كما أنها شمولية في أساليبها وغاياتها ، شمولية في نظرتها التاريخية

والجغرافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ، شمولية في مواجهتها لكل صور الاستعمار والتبعية والاستغلال والرجعية (١) .

وأما الإنسانية فتعني أنها قومية تحترم الإنسان ولا تفرق بين إنسان وآخر أو بين عقيدة وأخرى أو بين عنصر وآخر طالما كان هذا الإنسان غير معاد لمصالحها أو مهدد لحياتها ، كما أن تلك الإنسانية تعني أن يكون الإنسان حراً في فكره وعمله واتجاهاته غير خاضع لضغط أو أرهاب آمن على نفسه وعرضه وماله طالما كان هذا الانسان ملتزماً بالمبادئ العامة لمجتمعه .

وأما توفر الاستراتيجية فيعني أن هناك أهدافاً رئيسية للمجتمع يعرفها الشعب العربي ويعمل على تحقيقها ويغير من أساليبه طبقاً للمتغيرات المختلفة ـ محلية وعربية ودولية ـ من أجل خدمة تلك الأهداف .

وأما النضالية فتعني أن يكون الشعب العربي قادراً على استخدام أساليب النضال المختلفة تحقيقاً لأهدافه ، أي أن يكون الإنسان العربي قادراً على مواجهة التحديات المختلفة ـ سواء كانت داخلية أو خارجية ـ طبقاً لما تتطلبه من أساليب . ولا يعني ذلك بطبيعة الحال أن يكون المدفع وحده هو الذي يتكلم ، ولكن من الممكن أن يلجأ الشعب العربي إلى أسلوب التفاهم أو المباحثات أو المفاوضات مع خصمه بشرط توفر عدة متطلبات هامة أهمها : أن يحدث ذلك في الوقت المناسب ، وأن يكون الطرف الآخر مهيئاً لذلك وطالباً له ، وأن يكون الشعب العربي مستعداً لتغيير أسلوبه أو لاستخدام أساليب مختلفة في وقت واحد ، وأن يكون هناك أمل في تحقيق أهداف هذا النضال .

وأما التقدمية فيقصد بها الدعوة إلى التغيير أو القدرة على إحداثه وعدم الركون إلى الأوضاع التقليدية ، وأن يستفاد من تجارب المجتمعات الأخرى وإنجازاتها وأن تستخدم أفضل الوسائل العلمية والتكنولوجية المتاحة ، وأن يتغلب على الأساليب البيروقراطية والمعوقة لحركة المجتمع ، وأن توضع كل الإمكانات والموارد في خدمة الشعب العربي .

وأما العدالة الاجتماعية فتعني أن تتوفر للشعب العربي في النهاية أوضاع إجتماعية واقتصادية وسياسية مناسبة ، وألا يسمح المجتمع لإنسان أو لطبقة أن تتميز على غيرها ، وأن يكون العمل والإنتاج هو وسيلة التقييم ، وأن يكون الحاكم مسئولاً عن إقامة التوازن الضروري بين القوى الاجتماعية المختلفة مما يحقق للمجتمع كله حياة حرة كريمة .

تلك هي الخصائص الست الرئيسية التي سنتابع دراسة الموضوع على هديها محاولين في كل مرحلة تاريخية متميزة أن نراجع ظروف تلك المرحلة على ضوء تلك الخصائص الأساسية .

وسوف نقسم الموضوع إلى ثلاث مراحل تاريخية محددة حتى يسهل علينا التوقف في نهاية كل مرحلة لإلقاء نظرة موضوعية عليها ، وحتى يمكننا أن نعقد المقارنات بين المراحل المختلفة وأن تكون لدينا في النهاية نظرة شاملة للموضوع .

أولاً : حركة التحرر الفلسطيني والفكر القومي العربي قبل الحرب العالمية الأولى وخلالها .

ثانياً : حركة التحرر الفلسطيني والفكر القومي العربي فيما بين الحربين العالميتين .

ثالثاً : حركة التحرر الفلسطيني والفكر القومي العربي منذ الحرب العالمية الثانية .

أولا : حركة التحرر الفلسطيني والفكر القومي العربي
قبل الحرب العالمية الاولى وخلالها

كانت فلسطين بسبب موقعها الجغرافي ومكانتها الدينية والتاريخية تابعة في الشطر الأكبر من تاريخها لإحدى الممالك المجاورة القوية ، وعلى مدى عدة آلاف من السنين ونتيجة لذلك الوضع المتميز فقد جردت عليها حملات عديدة ودارت في رحابها رحى معارك كثيرة وتعاقبت عليها مدنيات مختلفة وشهدت فتوحات متتالية (٢). وما تزال حتى اليوم عرضة لشتى الاحتمالات والتوقعات .

لكن فلسطين ظلت منذ فتحها على أيدي العرب عام ٦٣٨ ميلادية عربية الصبغة ، ولم تكن الفترة التي ساد فيها حكم الصليبيين في القرنين الحادي عشر والثاني عشر لتؤثر على صبغة البلاد تأثيراً بارزاً ، وعادت تلك الصبغة إلى قوتها بعد زوال ذلك الحكم ، واحتفظت فلسطين خلال الحكم العثماني بصبغتها العربية ، وكانت تدار معظم فترات ذلك الحكم بواسطة أمرائها وحكامها الوطنيين العرب (٣) .

وكانت فلسطين خلال الحكم العثماني مقسمة إلى عدة وحدات ، فقبيل الحرب العالمية الأولى كانت فلسطين من الناحية الإدارية مقسمة إلى قسمين : القسم الأول ويشمل المناطق الشمالية ويتبع ولاية بيروت ، والقسم الثاني الذي يشمل المناطق الجنوبية ويتألف من لواء القدس المستقل الذي يتبع الآستانة مباشرة (٤) . ولم يكن هناك قبل الحرب العالمية الأولى وحدة سياسية وجغرافية تسمى « فلسطين » فكلمة فلسطين كمعنى سياسي وإداري وجغرافي هي نتيجة من نتائج الحرب العالمية الأولى (٥) .

ونتيجة لتلك الأوضاع السياسية والجغرافية فقد تأثرت فلسطين خلال القرون السابقة بتلك المؤثرات الفكرية التي تأثرت بها منطقة الشام إن سلباً وإيجاباً ، وكانت هناك عوامل عدة ساهمت في تكوين تلك اليقظة الفكرية التي سادت أنحاء الشام حتى الحرب العالمية الأولى وتمثلت فيها بذور الفكرة العربية :

أولا :

تلك اليقظة التي اجتاحت أوروبا خاصة بعد قيام الثورة الفرنسية وأدت إلى استقلال عدد من البلدان الأوروبية وإلى تكوين الوحدة الإيطالية والألمانية مما كان له صداه في البلدان العربية حيث قامت بعض الحركات الاستقلالية وتكونت بعض الأنظمة العربية الحديثة التي اهتمت ببناء حديث للدولة ، كما تمردت حركات عربية أخرى على كيان الدولة العثمانية (٦) . واهتمت بلدان عربية مختلفة بنشر التعليم .

ثانياً :

محاولة محمد على إقامة امبراطورية عربية مستقلة وما ترتب على زحف إبراهيم باشا على الشام من وضع برنامج شامل لتأسيس المدارس الحكومية وتشجيع انتشار المدارس الأجنبية والاهتمام ببذر بذور الوعي القومي في نفوس الطلاب وإنشاء كليات عالية في بعض مدن المشرق مثل دمشق وحلب .

ثالثاً :

تلك الحركة الأدبية والعلمية التي ظهرت في سوريا خلال النصف الثاني القرن التاسع عشر ، وكان من مظاهرها حركة شباب الجامعة الأميريكية العرب وجمعية النهضة العربية والجمعية العربية في بيروت وصيدا والجمعية العربية الوطنية في دمشق ورابطة الوطن العربي في باريس . وكان بعض تلك الجمعيات علنياً وبعضها الآخر سرياً ، لكن هدفها الأساسي كان يدور حول إيقاظ الروح العربية ودعوة العرب إلى استعادة مجدهم القديم والاهتمام باللغة العربية (٧) .

رابعاً :

استبداد السلطان عبد الحميد بأمور الحكم وتوالي النكبات والقلاقل على الدولة العثمانية خاصة في البلدان العربية والبلقان ، وازدياد ضعف الدولة يوماً بعد يوم وتراكم ديونها عاماً بعد عام . كل ذلك وغيره دفع السياسيين والمصلحين إلى الدعوة إلى الإصلاح ، واقتنع الشباب المثقف بضرورة قيام حركة قومية تزيل ذلك الاستبداد أولاً حتى يمكن الشروع في الإصلاح .

خامساً :

كان إعلان الدستور العثماني بشيراً بتحرير الجماهير من قيود الاستبداد ، وبدت الفكرة العربية أكثر وضوحاً عن ذي قبل ، وكان للانقلاب الدستوري رنة فرح في نفوس العرب الذين ظنوه بداية عصر جديد من الحرية سيسود الدولة كلها (٨) .

ويشير تقرير رسمي رفعته لجنة حكومية إلى المندوب السامي في فلسطين في ٢ يونيه ١٩٢٤ إلى أثر ثورة ١٩٠٨ ومنح الدستور في فلسطين فيقول : « إن الدستور العثماني الذي صدر في سنة ١٩٠٨ أثار آمالاً جديدة في نفوس رعايا المملكة العثمانية ، ففي مختلف الولايات وفي سوريا وفلسطين على الأخص انتشرت حركة واسعة النطاق تحبذ « اللامركزية » بلغت في سنة ١٩١٢ حدا كان يخشى معه أن تصبح حركة انفصال خطرة . ورأت الحكومة العثمانية أن من الحكمة وضع قانون الولايات المؤقت الذي تلقاه الأهلون بنوع خاص من الارتياح والأنفة . وقد جاء هذا القانون لأهالي سورية وفلسطين ليس كمنة جادت بها حكومة سخية بل كاعتراف عادل بحقوقهم وأمانيهم » (٩) .

ونتيجة لتلك العوامل وغيرها بدأ العرب يوجهون نشاطهم توجيهاً قومياً ووجدوا مستقبلهم واستقلالهم وحريتهم في إقامة كيان عربي خاص فبدءوا منذ عام ١٩٠٩ يؤلفون الجمعيات السرية في باريس واستانبول ودمشق وبيروت ومصر وتبلور ذلك النشاط في المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس عام ١٩١٣ .

ولم يكن هناك نشاط فلسطيني عربي منفصل في تلك الفترة فقد كانت فلسطين الحالية جزءاً لا ينفصل عن الشام وكان رجالها يشاركون في ذلك النشاط العربي القومي الذي ظهر في تلك السنوات السابقة للحرب العالمية الأولى والذي تمثل في تلك الجمعيات والمنتديات الثقافية التي تكونت في تلك السنوات .

ومن يتابع الجمعيات الرئيسية التي شكلت في البلاد العربية والتركية أو يرصد ارهاصات الاتجاه العربي في تلك الفترة يلاحظ وجود شخصيات فلسطينية في تلك الجمعيات . فجمعية الإخاء العربي العثماني التي تكونت عام ١٩٠٨ في أعقاب إعلان

الدستور وكان من أهـدافها التعاون مع جمعية الاتحـاد والترقي والسعي لإعـلاء شأن الأمة العربية كان من رجالاتها شكري الحسيني(١٠) . والمنتدى الأدبي الذي أُنشيءُ في الآستانة عـام ١٩٠٩ وحل محل جمعية الإخـاء العربي العثماني وكانت غايته تحرير البـلاد العربية وظل يمارس نشاطه حتى أغلقته الحكومة التركية عـام ١٩١٥ (١١) كان من أعضائه رشدي الشوا وعاصم بسيسو(١٢) وجميل الحسيني(١٣) ، والدكتور حسام الدين أبو السعود(١٤) . وجمعية الفتاة السرية التي أسسها في باريس عام ١٩١١ بعض الشبان العرب الذين كانوا يطلبون العلم في معاهد باريس وكانت غايتها العمل على استقلال البلاد العربية وتحريرها (١٥) كان من رجالاتها المؤسسين عوني عبد الهادي ورفيق التميمي(١٦) . والكتلة النيابية العربية التي ألفت في شهر مارس ١٩١١ حزباً نيابياً عربياً للدفاع عن حقوق العرب في أنحاء الدولة العثمانية كان من أبرز رجالاتها روحي الخـالدي ، وسعيد الحسيني(١٧) . وجمعية العهـد التي أسسها عزيز المصري بالآستانة عـام ١٩١٣ وكانت أهدافها ترمي إلى الاستقلال الداخلي للبلاد العربية مع بقائها متحـدة مع حكومة الآستانة(١٨) ، وأنشئت لها فروع في بيروت ودمشق وحلب والموصل والبصرة وكانت مقتصرة على الضباط العرب كان من أعضائها على النشاشيبي(١٩) وعلي رضا جماعة الكنـاني . والجمعية اللامركزية التي أسسها في القاهرة عـدد من كبار رجالات العرب السوريين واللبنانيين وكانت تطالب بشكل من الحكم الذاتي للبـلاد العربية ضمن الدولة العثمانية كان من أعضائها من أبناء فلسطين حافظ السعيد والشيخ سعيد الكرمي وحسن حمـاد وحافظ عبد الهـادي(٢٠) .

وأما المؤتمر العربي الأول الذي تمخض عن نشاط تلك الجمعيات وعقد في باريس في ١٨ يونيه عام ١٩١٣ وكان من أهم قراراته المطالبة بحقوق العرب السياسية وإدارة البلاد العربية على قاعدة اللامركزية فقـد كان عوني عبد الهـادي أحـد أعضاء لجنته التحضيرية التي نظمت عـقد المؤتمر(٢١) .

ويلاحظ منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى وجـود أنماط مختلفة من الاتجاهات العربية داخل الوطن العربي يمـكن إجمالهـا فيما يلي :

أولاً :

إتجاه يدعو إلى إيجاد خلافة عربية تحل محل الخلافة التركية ، ويمثل هذا الاتجاه عبد الرحمن الكواكبي .

ثانياً :

إتجاه يدعو إلى إبقاء الخلافة في آل عثمان وإقامة وحدة إسلامية شاملة ، ويمثل هذا الاتجاه جمال الدين الأفغاني .

ثالثاً :

إتجاه يدعو إلى استقلال البلاد العربية عن الحكم التركي وعن أية سلطة أجنبية ، ويمثل هذا الاتجاه جمعية العربية الفتاة .

رابعاً :

إتجاه يدعو إلى حكم البلاد العربية بنظام اللامركزية في إطار الدولة العثمانية ، ويمثل هذا الاتجاه مجموعات من المسلمين والمسيحيين .

خامساً :

إتجاه يدعو إلى وضع البلاد العربية تحت حماية أجنبية ، ويمثل هذا الاتجاه فريق من المارونيين وبعض مسيحي لبنان وسوريا (٢٢) ، وحين دخلت تركيا الحرب إلى جانب المانيا ظن العرب أن تركيا ستفكر في منح العرب استقلالاً داخلياً ، لكن ذلك الأمل لم يتحقق وخشى الاتراك أن يقوم العرب خلال الحرب بثورة ضد الحكم التركي فأخذوا العرب بالشدة وسجنوا ونفوا مئات من العرب وأعدموا عدداً من زعماء الحركة العربية ، وكانت تلك الإجراءات دافعاً إلى ازدياد اقتناع العرب بأن مصلحتهم أصبحت تقتضي الاتجاه وجهة قومية عربية (٢٣) . ولعلنا نجد خير تعبير عن ذلك ما أعلنه محمد المحمصاني ـ أحد الشهداء الذين أعدمهم جمال باشا ـ ويد الجلاد تطوق عنقه بالحبل « لا فائدة لهم من قتلنا . إن الفكرة التي عملنا من أجلها ستبقى بعدنا » (٢٤) .

وإذا استعرضنا قافلة الشهداء العرب الذين أعدمهم جمال باشا خلال الحرب العالمية الأولى نجد بينهم عدداً من الفلسطينيين الذين كان لهم دورهم في الحركة العربية ، ومن بين هؤلاء حسن حماد والدكتور علي النشاشيبي وحافظ عبد الهادي ، فلم تكن فلسطين مجرد قطعة من الوطن العربي وإنما كانت جزءاً مناضلاً يعمل ويكافح بهدف تحقيق الحرية والوحدة العربية (٢٥) .

وإضافة إلى هؤلاء الفلسطينيين الذين أعدمتهم المحكمة العسكرية فقد كان هناك فلسطينيون آخرون حوكموا أمام المحكمة أو طلبوا للمحاكمة مثل حافظ السعيد والشيخ سعيد الكرمي اللذين حكم عليهما بالإعدام وخفف إلى السجن المؤبد لكبر سنيهما ، وشكري الحسيني الذي أحضروه من استانبول للمحاكمة ومات في السجن قبل المحاكمة . وعلي رضا جماعة الكناني الذي توفي بعد أن طلب للمجلس العرفي بعاليه (٢٦) .

ومع ازدياد عمق الهوة بين العرب والأتراك أخذ أعضاء الجمعيات العربية الذين لم يكشف أمرهم أو الذين أفلتوا من هذا الحكم يتصلون بالشريف حسين يتداولون أمر احتمالات المستقبل ويعدون العدة لثورة ينقضون فيها على الحكم التركي(٢٧) .

ومع أن الثورة العربية قامت في الحجاز في يونيه ١٩١٦ لكنها كانت ثورة العرب جميعهم خاصة في سوريا والعراق وفلسطين(٢٨) . فلقد ساهم أهل فلسطين في جيش الثورة العربية لكنهم فعلوا ذلك ضمن الحركة العربية العامة ، فقد انضم جنود وضباط فلسطينيون كانوا يعملون في الجيش التركي إلى قوات الثورة العربية وكان من بينهم صبحي بك الخضرا الذي كان ضابطاً في الجيش التركي(٢٩) . ووقع بعضهم أثناء تلك المحاولة في أسر الأتراك كما حدث لمفتي غزة أحمد عارف الحسيني وولده مصطفى ـ الضابط بالجيش التركي ـ اللذين حاولا الوصول إلى القاهرة لكنهما وقعا في أيدي الأتراك الذين قدموهما إلى المحكمة العسكرية التي قضت بإعدامهما : أحمد عارف الحسيني شنقاً ومصطفى أحمد عارف الحسيني رمياً بالرصاص (٣٠) .

وكان وفد من قبل الأمير فيصل قد ذهب إلى القدس بعد احتلالها في أوائل

ديسمبر ١٩١٧ لدعوة الناس إلى التطوع فلبى الدعوة عدد كبير من عرب فلسطين(٣١). وتكرر نفس الشيء عندما ذهب الشريف عبد الله حمزة إلى فلسطين في أوائل سبتمبر ١٩١٨ (٣٢) . وقد كان مفهوماً لأبناء فلسطين ممن شاركوا في الثورة العربية أن الهدف من ذلك كله هو تحرير البلاد العربية وتحقيق سيادتها (٣٣) .

وخلال فترة الحرب العالمية الأولى لم تشكل تنظيمات سياسية خاصة بفلسطين لأن النشاط الفلسطيني كان جزءاً من الحركة العربية العامة ، ولم تحدث مقاومة للاحتلال البريطاني للبلاد لأن بريطانيا كانت متحالفة مع الشريف حسين .

وإذا تابعنا النشاط الوطني في فلسطين خلال تلك الفترة نلاحظ ارتباطاً بفكرة الوحدة العربية ، لكن هذا الارتباط لم يكن ارتباطاً عاماً بطبيعة الحال بل كانت تغلب عليه فكرة الوحدة مع سوريا وليس فكرة القومية الشاملة . ففي أول مؤتمر عقدته الجمعيات الإسلامية في ١٢ فبراير ١٩١٩ استقر رأي المجتمعين على عدم فصل فلسطين عن سوريا وأن يكون مصيرهما واحداً لأن فلسطين جزء من سوريا بل هي سوريا الجنوبية (٣٤) . وفي المؤتمر الفلسطيني الأول الذي عقد عام ١٩١٩ أقر المؤتمرون ميثاق فلسطين الشهير الذي تضمن ثلاث نقاط هامة :

أولاً : فلسطين جزء من سوريا .

ثانياً : استقلال سوريا ضمن الوحدة العربية .

ثالثاً : رفض وعد بلفور والهجرة اليهودية والوصاية والحماية البريطانية .

وكان من قرارات المؤتمر إرسال وفد إلى دمشق لربط قضية فلسطين بالقضية العربية وضمان ارتباط فلسطين بسوريا (٣٥) . وقد حاولت الإدارة العسكرية في فلسطين أن تصرف المؤتمر عن قرار الوحدة واقنعت رئيس المؤتمر وبعض أعضائه بذلك ، لكن الأغلبية الساحقة للمؤتمر رفضت إعادة النظر فيه (٣٦) .

وعندما ذهبت لجنة كنج كرين إلى سوريا في الفترة من ١٠ يونيه ١٩١٩ إلى ٢١ يوليو ١٩١٩ (٣٧) . بناءً على قرار مجلس الحلفاء لدراسة الحالة في الأملاك التركية

السابقة والتعرف على رغبات السكان قدم عرب فلسطين رسائل عديدة إليها متضمنة مطالبهم التي تركزت في عدم تجزئة البلاد السورية وعدم الهجرة الصهيونية إلى فلسطين وطلب الاستقلال التام دون حماية أو وصاية (٣٨) .

وإذا استعرضنا النشاط السوري العام في تلك الفترة نلاحظ مشاركة فلسطينية فعالة في ذلك النشاط ، ففي المؤتمر السوري العام الذي عقده العرب في دمشق في ٨ يونيه ١٩١٩ – وكان أول مؤتمر يعقده العرب بعد الحرب العالمية الأولى (٣٩) – شارك في أعماله عدد من الشخصيات الفلسطينية البارزة ، وانتخب أحدهم وهو محمد عزة دروزة سكرتيراً للمؤتمر وسكرتيراً للجنة التي ألفها المؤتمر لوضع دستور الدولة السورية الموحدة المستقلة (٤٠) . وعندما عقد عرب الشام مؤتمرهم العام في ٦ مارس ١٩٢٠ الذي نادى باستقلال سوريا ولبنان وفلسطين ونصب فيصلاً ملكاً على تلك البلدان (٤١) . وأصدر قراره التاريخي الذي يعتبر وثيقة من أشرف الوثائق في تاريخ الأُمة العربية والذي أكد فيه « استقلال بلادنا السورية بحدودها الطبيعية ومن ضمنها فلسطين استقلالاً تاما لا شائبة فيه على الأساس المدني النيابي وحفظ حقوق الأقلية ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود أو محل هجرة لهم » (٤٢) كان المؤتمر يضم مندوبين عن مناطق فلسطين المختلفة ، وكان محمد عزة دروزة هو الذي قرأ قرار المؤتمر على الألوف المحتشدة في ساحة المرجة ، كما كان سعيد الحسيني هو وزير الخارجية في أول وزارة دستورية تشكلت (٤٣) .

وكان إعلان استقلال سوريا في هذا المؤتمر يعني في حقيقة الأمر ترك سياسة الدولة العربية التي كانت غاية الثورة العربية والأخذ بسياسة الدولة السورية المتحدة التي كانت تبدو أكثر ملائمة للأوضاع الدولية حينذاك ، ومع ذلك فإن فكرة الوحدة العربية لأقطار أسيا العربية لم تهمل تماماً (٤٤) .

وعندما قرر المجلس الأعلى للحلفاء في ٢٥ أبريل ١٩٢٠ وضع فلسطين والعراق تحت الانتداب البريطاني ووضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي وأعلن القرار في فلسطين بعد ذلك بعدة أيام احتجت الجمعيات الإسلامية المسيحية على هذا

القرار (٤٥) ، وأرسلت عشرات الاحتجاجات إلى الجهات الرسمية ، ويتضح من مراجعة بعض الاحتجاجات أن عرب فلسطين كان لديهم إدراك واع لحقيقة الوحدة مع سوريا « لأن فصل فلسطين عن سوريا يضر بمصالح البلاد الاقتصادية والعمرانية ومصالح الوطنيين القومية والمحلية » (٤٦) .

ولا شك أن قرارات مؤتمر سان ريمو قد انزلت بالفكرة القومية ضربات قاسية لكنها لم تقض عليها . فلقد ترتب على تقسيم المشرق العربي إلى دول عديدة ظهور النزعات الإقليمية التي أخذت خطاً مغايراً للفكرة القومية ، لكن الفكرة القومية رغم ما صادفته من عقبات حافظت على حيويتها وصارت الدافع الأساسي لروح المقاومة التي أخذت فيما بعد شكل اضطرابات أو انتقاضات أو ثورات في فلسطين وسوريا والعراق (٤٧) .

ونتيجة لقرارات مؤتمر سان ريمو فقد انهت بريطانيا عهد الإدارة العسكرية في فلسطين وبدأ عهد الإدارة المدنية ابتداء من يوليو ١٩٢٠ وعينت الحكومة البريطاية هربرت صموئيل أول مندوب سام في فلسطين ، وقد وضع البلاد في حالات سياسية واقتصادية تسمح بإقامة الوطن القومي اليهودي ، وكان له من قدراته الشخصية والعقلية ما ساعده على تسخير كل الإمكانات والوسائل لوضع أساس راسخ للوطن القومي اليهودي .

وقد وجد عرب فلسطين أنفسهم مع بداية عهد الإدارة المدنية وانهيار العهد الفيصلي وجهاً لوجه أمام الاستعمار البريطاني والسياسة الصهيونية مجردين إلى حد كبير من ذلك الارتباط القومي مع سوريا . ومن هنا فقد بدأت تتكون لدى الفلسطينيين سياسة محلية خاصة بهم . لكن تلك السياسة كانت ترتبط بشكل أو آخر بالفكرة العربية .

وكان من أخطر ما تعرضت له حركة التحرر الفلسطيني في ذلك الوقت اعتقاد قيادة تلك الحركة أن الحركة الصهيونية هي الخطر الأساسي الذي تواجهه فلسطين وأن الانتداب البريطاني لم يكن سوى خطر ثانوي . وقد استمر هذا الاعتقاد سائداً

حتى أوائل الثلاثينيات مما كان له أثره على مسار حركة التحرر الفلسطيني وارتباطها بالفكرة العربية في تلك المرحلة .

ويرجع ذلك الفهم الخاطئ لإ عتبار الحركة الصهيونية هي الخطر الأساسي وليس الثانوي في فلسطين إلى عدة أسباب أهمها أن تجربة الفلسطينيين مع البريطانيين كانت تجربة جديدة وأنه كان لدى القيادة العربية في فلسطين أمل في إقناع الحكومة البريطانية بتغيير سياستها ، ومنها أن هناك خلفية تاريخية ترسبت في سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى جعلت عرب فلسطين في حذر من الصهيونية نتيجة لتنبه بعض المتنورين والفلاحين إلى خطر النشاط الصهيوني على كيان البلاد .

فإذا بحثنا عن الخصائص الرئيسية للقومية العربية ـ التي تحدثنا عنها في بداية هذا البحث ـ خلال المرحلة الأولى التي انتهت مع قرارات مؤتمر سان ريمو ـ وجدنا توفر خصائص الشمولية والإ نسانية والاستراتيجية والنضالية خلال تلك المرحلة وعدم توفر خاصيتي التقدمية والعدالة الاجتماعية . ولا يعني ذلك بطبيعة الحال أن تلك الخصائص كانت متوفرة تماماً أو حتى بشكل كبير ، وإنما يعني أنها كانت موجودة ومؤثرة وإن كان ذلك بشكل نسبي .

فبالنسبة للناحية الشمولية نجد أن الفكرة القومية كانت قبل الدستور العثماني عاطفة قومية تظهر في الأدب العربي وترمى إلى التذكير بماضي العرب والدعوة إلى تقدمهم ، فلما جاء العهد الدستوري أخذتهم الغيرة القومية فبدءوا يلهجون بها وازدادوا تعلقاً بفكرتها عندما رأوا الأتراك يقاومونها ، ولم يلبثوا أن نظموا جمعياتهم وتشكيلاتهم السياسية بهدف استقلال الأقطار العربية الإ داري (٤٨) .

ولم يكن الشعب العربي في المشرق يتحسس الفكرة القومية تحسساً قوياً ، فقد كان المتنورون العرب وحدهم هم الذين يضطلعون بهذه الفكرة ويعملون لها ، وحتى بالنسبة لهؤلاء المتنورين فقد اختلفت نظرتهم إلى الفكرة القومية ، فبينما اعتبرها فريق منهم عقيدة تستحق التضحية من أجلها كانت عند فريق آخر مجرد شعار مرفوع وكانت عند فريق ثالث وسيلة حياة وتفاخر بينما نظر إليها فريق رابع نظرة تحفظ

وتجهم (٤٩) . فالفكرة العربية رغم تكونها كانت فكرة عامة غير محددة أكثر من كونها فكرة واضحة المعالم محددة الاتجاهات . وحتى كلمة الوحدة تطور مدلولها من فترة إلى أخرى داخل نفس المرحلة . فقد كان المقصود منها في أول الأمر أن تكون شاملة للشام والحجاز والعراق وسائر مناطق شبه الجزيرة العربية ، وما لبثت الدائرة أن ضاقت واصبحت مقتصرة على الشام بحدوده الطبيعية ، ثم غضوا الطرف عن فلسطين بعد أن رأوا تمسك البريطانيين بها ، ثم اكتفوا باستقلال سوريا ثم تخلوا عن لبنان وتقلص مدلول الوحدة في النهاية إلى عدد من المدن السورية (٥٠) .

وكانت فكرة الوحدة مع سوريا تنبع لدى الفلسطينيين العرب من حقيقتين أساسيتين :

الأولى : الارتباط التاريخي والجغرافي مع سوريا معظم مراحل التاريخ .

الثانية : الخوف من احتمالات المستقبل والحاجة إلى مزيد من التضامن من أجل مواجهة الخطر الصهيوني المتمثل في إقامة الوطن القومي اليهودي .

وأما عن الخاصية الإنسانية فنراها متمثلة في رفض العرب ذلك التمييز الذي اتضح بعد محاولات التريك التي مارسها الأتراك مع العرب ، وتمثلت في عدد من المظاهر مثل اضطهاد العرب وعدم احترام حقوقهم السياسية ومحاربة اللغة العربية وبشكل عام معاملة العرب معاملة أدنى من تلك التي كان الأتراك يعاملون بها .

وأما عن توفر الاستراتيجية فنراها ممثلة في حقيقتين :

الأولى هي : استقلال البلاد العربية ووحدتها والذي كان هدفاً للعرب خلال قيامهم بثورتهم على الأتراك في يونيه ١٩١٦ .

وأما الحقيقة الثانية : فنراها لدى عرب فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى — وما بعدها — متبلورة في إعتبار الحركة الصهيونية هي الخصم الأول للعرب . واعتبار البريطانيين أصدقاء لهم أو خصوماً من الدرجة الثانية . ومع أن هذه

الاستراتيجية معكوسة أو غير سليمة لكنها كانت تعبيراً عن الظروف التاريخية لتلك المرحــلة .

وأما النضالية ـ فتتمثل في تلك الجمعيات التي تكونت قبل الحرب العالمية الأولى ، كما تتمثل في الثورة العربية وفي تضحية مئات من العرب بأرواحهم فداء لوطنهم وعروبتهم .

وأما عن التقدمية والعدالة الاجتماعية فلم تكونا قائمتين في تلك المرحلة وإن كنا نرى فكرة العدالة بشكل نظري في كتابات بعض المفكرين العرب مثل عبد الرحمن الكواكبي في كتابه « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » (٥١) .

ثانياً : حركة التحرر الفلسطيني والفكر القومي العربي

فيما بين الحربين العالميتين

في تلك المرحلة التي بدأت فلسطين فيها تواجه الاستعمار والحركة الصهيونية والتجزئة كانت وحدة البلدان العربية في المشرق تتمزق هي الأُخرى ، فأصبحت لكل قطر عربي مشكلته المحلية في مقاومة الاستعمارين البريطاني والفرنسي ، فانصرفت جهود أبنائه إلى مقاومة ذلك الخطر كل في قطرهم الخاص ، واستنفدت مقاومة تلك الأخطار الجزء الأكبر من جهودهم (٥٢) .

ونظرة على خريطة المشرق العربي في ذلك الوقت توضح لنا حقيقة الموقف في أقطاره . فالإنجليز يحتلون العراق ويحكمونه حكماً عسكرياً مباشراً ، وفرنسا تسيطر على سوريا ولبنان بعد تقويض دعائم الدولة العربية في دمشق ، والحجاز مشغول بمنازعاته بين الأُسرتين الهاشمية والسعودية ، وليست هناك حكومة عربية مستقلة تدافع عن مصالح العرب وتعمل على تقوية العلاقات وتدعيمها بين أنحاء العالم العربي .

ولقد ساهم ذلك كله في قطع صلة البلاد العربية ببعضها أو على الأقل في إضعافها ، لكن البلاد العربية لم يكن لها بد من الاقتراب من بعضها رغم انفصال كياناتها ، وكانت هناك عوامل عدة تربط بين تلك البلدان ، منها أن الأنظمة التعليمية الحكومية قوت من مشاعر التضامن العربي رغم أن ذلك لم يكن هدفاً من أهداف تلك الأنظمة ، ومنها أن الصحف تعددت ووصلت إلى القرى البعيدة ونقلت الأخبار إلى أعداد متزايدة من الناس ، وفوق كل ذلك فإن فكرة الأُمة العربية الواحدة كانت في معظم أقطار العروبة أكثر الهاماً وأبعث على الرضى من أية قومية محلية (٥٣) .

وتشهد سنوات العشرينيات نضالاً محلياً من أجل الاستقلال في معظم بلدان العالم العربي . فكانت مصر أول دولة عربية تثور على الاستعمار الغربي في مرحلة ما بعد

الحرب العالمية الأولى . وفي العام التالي (١٩٢٠) تقوم ثورة العشرين في العراق وتحدث اضطرابات القدس . وفي عام (١٩٢١) تحدث اضطرابات يافا ، وفي عام ١٩٢٥ تحدث ثورة دامية في سوريا . ويتحرك التونسيون مطالبين باستقلالهم ، ويناضل أبناء طرابلس الغرب وبرقة ، وفي عام ١٩٢٩ تحدث اضطرابات البراق في فلسطين . فسنوات العشرينات هي سنوات النضال المحلي من أجل الاستقلال ، لكن البلاد العربية في تلك الفترة لم تكن تحس إحساساً حقيقياً بما يحدث في فلسطين ولم تكن تدرك إدراكاً واعياً أبعاد الخطر ولا تلك العلاقة العضوية القائمة بين الاستعمار والحركة الصهيونية ، وحتى البلدان العربية المجاورة لفلسطين مثل سوريا وشرق الأردن والعراق لم تكن شعوبها تستطيع تقديم مساعدات فعالة لعرب فلسطين .

هذا النضال المحلي في البلدان العربية من أجل تحقيق الاستقلال رغم أنه كان يشغل كل بلد عربي بقضيته الوطنية لكنه كان عامل توحيد ضد عدو أساسي هو الاستعمار العالمي ، كما أن البلدان العربية كانت تستفيد من تجارب شقيقاتها في النضال وتحظى أحياناً بشيء من التأييد لمواقفها . لكن الأمر في النهاية كان مجرد إحساس بالخطر المشترك وإدراك لأهمية التضامن والحاجة إليه أكثر من كونه هدفاً قومياً يعمل الجميع على تحقيقه والنضال من أجله .

ومن هنا فإن الإطار العام لقضية النضال المحلي من أجل تحقيق الاستقلال الوطني في البلدان العربية قد ترك أثره في فلسطين التي وجد أهلها أنفسهم منذ بداية العشرينيات لا يتمتعون بأية حقوق سياسية أو تنفيذية أو تشريعية ذات قيمة . فمن الناحية السياسية لا يستطيعون وهم أغلبية البلاد أن يلزموا الإدارة المنتدبة باحترام حقوقهم وليس بإمكانهم أن يشاركوا في إتخاذ القرارات الهامة المتعلقة بمصالحهم . ومن الناحية التنفيذية كان البريطانيون أو الصهيونيون يسيطرون على كل المراكز الرئيسية في الإدارة ، ولم يكن هناك عربي واحد يتولى الإشراف على إحدى الإدارات التنفيذية ، ومن الناحية التشريعية عرضت الإدارة المنتدبة عليهم أشكالاً من مجالس تشريعية صورية ممثلة في المجلس التشريعي والمجلس الاستشاري والوكالة اليهودية ، لكنهم رفضوا تلك المشروعات التي لم تكن سوى مشروعات هزيلة لا تحفظ أرضاً

ولا تمنع هجرة مما جعلهم يصرفون جزءاً هاماً من نشاطهم في محاربة تلك المشروعات .

ويلاحظ أن نشاط العرب في فلسطين خلال العشرينيات كان يجري في قنوات رئيسية عدة ، فهناك المؤتمرات والوفود والأحزاب والاضطرابات . ومن يتابع تلك الأنشطة يجد أن الاتجاه القومي يتوارى بينما تظهر ملامح الإقليمية . ففي المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث الذي عقد في ديسمبر ١٩٢٠ وجدت الحركة الوطنية المحلية وأصبح لعرب فلسطين هدفهم الخاص ، فقد طالب الوطنيون المحليون لأول مرة بعد الاحتلال بتأسيس حكومة وطنية في فلسطين تكون مسئولة أمام مجلس نيابي (٥٤) . ولا نرى في قرارات المؤتمر شيئاً متعلقاً بالفكرة العربية سوى قرار قومي غير مباشر « عدم فصل فلسطين عن أخواتها البلاد العربية المجاورة لها » (٥٥) مما يوضح حرص المؤتمرين على التعلق بفكرة الوحدة العربية لا على المطالبة بتحقيقها .

ونرى في المؤتمر الفلسطيني الرابع (٢٥ يونيه ١٩٢١) اشارة في الموضوعات المطروحة على المؤتمر إلى « مطالبة عصبة الأمم بالوحدة السورية » لا الوحدة العربية (٥٦) . كما نجد اشارة في قرارات المؤتمر الفلسطيني الخامس (٢٢ أغسطس ١٩٢٢) إلى تأسيس مكتب عربي فلسطيني في لندن .. ونرى في الميثاق الوطني الذي وضعه المؤتمر عوداً إلى الفكرة العربية ، ولعل ذلك كان نتيجة لأن هذا المؤتمر كان أول مؤتمر فلسطيني يعقد بعد موافقة عصبة الأمم على الانتداب « نحن نواب الشعب العربي الفلسطيني في المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس المنعقد في نابلس نعاهد الله والتاريخ والأُمة على أن نواصل السعي في سبيل استقلال بلادنا وتحقيق الوحدة العربية بالذرائع المشروعة القانونية وأن لا نرضى بالوطن القومي اليهودي والهجرة الصهيونية » (٥٧) .

لكننا لا نجد في المؤتمر الفلسطيني السادس الذي عقد في يافا (١٦ يونيه ١٩٢٣) قرارات صريحة عن استقلال فلسطين أو رفض الانتداب أو عن ارتباط فلسطين بالفكرة العربية ، بل نجد تأييداً من المؤتمر للنضال السوري ومطالبة باستقلال سوريا (٥٨) دون ربط فلسطين بها ، ولعل أهم ما أنجزه المؤتمر هو رفضه لمشروع المعاهدة العربية البريطانية التي كان مزمعاً عقدها بين الملك حسين وحكومة بريطانيا على أساس « مخالفته للعهود المقطوعة للعرب ولحقوق الشعب الفلسطيني » (٥٩) . ويرجع ذلك

الضعف الذي تميزت به قرارات المؤتمر إلى عدد من العوامل أبرزها ذلك الصراع الحزبي الذي كان دائراً بين القوى المختلفة قبيل انعقاد المؤتمر والذي انعكست آثاره على قرارات المؤتمر .

ونجد في المؤتمر الفلسطيني السابع (٢٠ يونيه ١٩٢٨) صورة مماثلة لما حدث في المؤتمر السادس حتى أن المؤتمر لم يتعرض في قراراته لتصريح بالفور أو للهجرة اليهودية إلى فلسطين أو لقضية انتقال الأراضي من العرب بل ركز على المطالبة بتأسيس حكومة وطنية ديمقراطية (٦٠) . ولقد حدث أن اقترح بعض أعضاء المؤتمر وقف أعماله ثلاث دقائق حداداً على سعد زغلول وعلى زعماء الثورة السورية الذين قضوا مجاهدين في سبيل الاستقلال فلم يوافق المؤتمر على هذا الاقتراح حتى لا تغضب الحكومة من ذلك لما فيه من ربط البلاد العربية بأواصر الوحدة والقومية ، واكتفى بتحية المجلس التأسيسي بسورية وشكر الوفد السوري في أوروبا (٦١) .

فإذا انتقلنا من متابعة المؤتمرات الفلسطينية خلال العشرينيات إلى الوفود الفلسطينية التي أرسلت إلى خارج البلاد خلال نفس المرحلة وجدنا أربعة وفود فلسطينية : الأول إلى لندن في يوليو ١٩٢١ وقد جرت بين هذا الوفد وبين وزارة المستعمرات البريطانية مراسلات كان موضوعها الأساسي هو الاتفاق على دستور لفلسطين ومشروع تأسيس حكومة فلسطينية يشترك فيها العرب . ولا نجد في تلك المراسلات (٦٢) أي مطالبة بالوحدة السورية أو العربية أو حتى تعلق بهما ، لكننا نجد اشارات إلى وعود بريطانيا للعرب خلال الحرب العالمية الأولى ، كما نجد في توصيات الوفد – بعد عودته – إلى المؤتمر الفلسطيني الخامس اقتراحات بتنمية التضامن بين العرب وتوطيده وارسال وفد إلى ملوك العرب وأمرائهم لايقافهم على الظلم الواقع على عرب فلسطين(٦٣) .

وأما الوفد الفلسطيني الثاني فقد أرسل إلى لوزان في نوفمبر ١٩٢٢ ، وكان القصد من ارساله بذل الجهد لحمل مفاوضي الترك في مؤتمر لوزان على الإصرار على ما جاء في ميثاقهم بشأن البلاد العربية من تقرير مصيرها وفقاً لتصويت سكانها

الحر وإسماع صوت فلسطين لأعضاء ذلك المؤتمر(٦٤) . لكن مؤتمر لوزان لم يتمخض عن أي كسب للقضية العربية فقد تخلى الأتراك عما جاء في ميثاقهم بشأن البلاد العربية حرصاً منهم على تحقيق مطالبهم الخاصة مثل إلغاء الامتيازات الأجنبية والتسويف في دفع الديون العثمانية ثم الامتناع عن دفعها (٦٥) .

وأما الوفد الفلسطيني الثالث فقد سافر إلى لندن في ١٥ يوليو ١٩٢٣ ، وكان هدفه الدفاع عن قضية فلسطين في المفاوضات التي كانت دائرة بين الدكتور ناجي الأصيل مندوب الملك حسين وبين وزارة الخارجية البريطانية لعقد المعاهدة العربية البريطانية (٦٦) . « وتنوير الحكومة البريطانية والشعب البريطاني عن حقائق الحال في فلسطين والدفاع عن مصالح شعبنا وحقوقه ورفض كل مشروع غير متفق مع تلك الحقوق والمصالح التي قطعت العهود للاعتراف بها ولتأييدها من قبل بريطانيا العظمى » (٦٧) .

وأما الوفد الفلسطيني الرابع فقد سافر إلى لندن في ٢١ مارس ١٩٣٠ م – بعد نشر تقرير لجنة شو الخاصة بالتحقيق في أسباب اضطرابات البراق عام ١٩٢٩ والذي اعتبره العرب في صالحهم – بهدف « استعمال ما يراه من الوسائل لنيل العرب في في فلسطين حقوقهم السياسية والقومية والاقتصادية » وأجرى الوفد مباحثات في لندن كانت متعلقة أساساً بإيقاف الهجرة وسن تشريع خاص لمنع بيع الأراضي لليهود وتأسيس حكومة وطنية مسئولة أمام مجلس نيابي(٦٨) .

تلك هي الوفود الفلسطينية العربية التي سافرت خارج فلسطين خلال السنوات العشر الأولى من الإدارة المدنية والتي نجد في مطالبها أحياناً إشارة غير مباشرة إلى الوحدة العربية ، لكننا نجد في أكثرها تراجعاً عن الفكرة العربية وإتجاهاً واضحاً نحو الإقليمية .

وهناك ملاحظة تستلفت النظر وهي أن بعض المؤتمرات المحدودة التي عقدها عرب فلسطين مع عرب سوريا خلال تلك المرحلة كان يبرز فيها إتجاه قومي واضح ، مما يفهم منه أن رجالات سوريا كانوا أكثر اهتماماً بالفكرة القومية من القيادات العربية في فلسطين . ولعل ذلك يرجع إلى تحملهم مسئولية قيادة العمل القومي قبيل

سنوات الحرب العالمية الأولى وفي أعقابها بالإضافة إلى تنقلهم وتجوالهم في بلدان عربية وأجنبية مختلفة مما أعطاهم خبرة وفهماً لأساليب الاستعمار وجعلهم أقدر من غيرهم على تبني الاتجاه القومي والتأكيد على فكرة الوحدة العربية .

وهناك أكثر من مثل لإيضاح تلك الحقيقة اكتفي بنموذج واحد منها ، فلقد حدث عندما سافر الوفد الفلسطيني الأول إلى لندن ووجد الوفد معظم النواب البريطانيين يقضون أجازات الصيف اتجه رجال الوفد إلى جنيف واتصلوا برجال الاتحاد السوري وعقدوا بالاشتراك معهم المؤتمر العربي الفلسطيني في ٢٥ أغسطس ١٩٢١ (٦٩) . بحضور الأمير شكيب أرسلان والأمير ميشيل لطف الله وإحسان الجابري والشيخ رشيد رضا وغيرهم . واتخذ المؤتمر عدة قرارات من أهمها : الاعتراف لسوريا ولبنان وفلسطين بحق الاتحاد وتأليف حكومة مدنية مشتركة مسئولة أمام مجلس نيابي ينتخبه الشعب واتحاد هذه البلدان مع الأقطار العربية الأخرى(٧٠) .

فإذا انتقلنا من الوفود الفلسطينية إلى الاضطرابات التي قام بها عرب فلسطين نجد ثلاث اضطرابات محددة خلال العشرينيات هي اضطرابات القدس (٤ أبريل ١٩٢٠) واضطرابات يافا (مايو ١٩٢١) واضطرابات البراق (٥ أغسطس ١٩٢٩) . فإذا تابعنا أحداث تلك الاضطرابات لنرى مدى ارتباطها بالفكرة العربية نجد أنها قامت جميعهما كرد فعل لاستفزازات الصهيونيين للعرب وكانت موجهة إلى الصهيونيين بشكل مباشر ، لكننا نلاحظ أن شعار الوحدة العربية كان أحد الشعارات التي رفعها عرب فلسطين أثناء احتفالهم بعيد النبي موسى الذي كان فرصة مناسبة لحدوث اضطرابات ١٩٢٠ (٧١) كما نرى شيئاً من التضامن العربي المحدود خلال تلك الاضطرابات حيث ظهرت بعض حركات مسلحة على الحدود الفلسطينية السورية بهدف الكفاح المسلح ضد المؤامرة (٧٢) . وأغارت بعض العصابات المسلحة على اليهود في التلال الشمالية (٧٣) . كما أن اللجنة التي شكلت للتحقيق في أسباب الاضطرابات (لجنة بالين) ارجعت أحد أسباب الاضطرابات إلى الدعاية التي صاحبت إعلان الأمير فيصل ملكاً على سوريا المتحدة وإلى نمو أفكار الوحدة العربية والإسلامية (٧٤) .

فإذا بحثنا في اضطرابات يافا ١٩٢١ لا نجد أية إشارة إلى إتجاه قومي ، بل نجد الإ قليمية تغلف تلك الاضطرابات . وأما اضطرابات البراق عام ١٩٢٩ والتي حدثت نتيجة للخلاف حول حقوق العرب واليهود حول الحائط فقد أثارت نفوس العرب والمسلمين لكن رد الفعل كان خوفاً على مقدسات المسلمين أكثر منه عملاً على إنقاذ فلسطين وتحريرها من براثن الاستعمار والصهيونية . وليس هناك شك في أن القيادات الفلسطينية – خاصة الإ سلامية منها – تتحمل مسئولية كبرى في هذا الصدد ، فلقد نجحت فعلاً في خلق جو إسلامي عام يهتم بالمقدسات الإ سلامية لكنها لم توجه اهتماماً حقيقياً إلى تنبيه العالم العربي بشكل خاص إلى أن الخطر الصهيوني لا يهدد المقدسات الإ سلامية فقط ولا يهدد الشعب العربي في فلسطين فقط بل يهدد العالم العربي بأسره ، وأن المسألة ليست مسألة حائط مقدس ينبغي الحفاظ عليه فقط بل هي في حقيقتها مسألة بلد عربي – يضم بطبيعة الحال تلك الأماكن المقدسة – مهدد في جزء منه بالضياع والاضمحلال .

وأما عن الأحزاب الفلسطينية خلال العشرينيات فقد كان أبرزها الحزب الوطني والأحزاب الزراعية وحزب الأهالي . فالحزب الوطني هو أول حزب عربي يتشكل خلال الانتداب البريطاني وقد كونته جماعة النشاشيبي في نوفمبر ١٩٢٣ ، وهي الجماعة التي قادت ذلك الاتجاه المناوئ للحركة الوطنية والمتعاون مع الإ دارة المنتدبة . وأما الأحزاب الزراعية فقد تأسست عام ١٩٢٤ بتوجيه من الإ دارة المنتدبة بهدف مقاومة قيادة الحركة الوطنية ، وكانت تضم في عضويتها الوجهاء ومشايخ القرى . وأما حزب الأهالي فقد تكون أواخر أبريل ١٩٢٥ (٧٥) . وكان عبد اللطيف صلاح أبرز أعضائه ، وكانت الغاية من انشائه نشر المبادئ الديمقراطية بين الأهالي واتخاذ التدابير العملية لتحقيق الاستقلال السياسي التام (٧٦) .

ولا نجد في مبادئ تلك الأحزاب أية بنود متعلقة بالفكرة العربية ، ولعل ذلك كان أمراً طبيعياً – فالحزب الأول كان مسايراً لسياسة الانتداب ، والأحزاب الزراعية كانت مكونة بتوجيه من الإ دارة المنتدبة ، والحزب الثالث كان يهدف إلى الحفاظ على المصالح العائلية بالدرجة الأولى .

ولعل ذلك العرض لمؤتمرات عرب فلسطين ووفودهم إلى الخارج واضطراباتهم وأحزابهم يوصلنا إلى معادلة هامة وهي أن الوحدة أو الاتحاد تقويان من علاقة الوطني بالفكرة القومية ، بينما التفتت والتجزئة تضعفان من علاقة التحرر الوطني بالفكرة القومية .

وتشهد بلدان المشرق العربي في السنوات الأولى من الثلاثينيات تقدماً نحو تحقيق الاستقلال والسيادة . فقد وقعت العراق معاهدة تحالف مع بريطانيا ودخلت عصبة الأمم عام ١٩٣٢ ، ونصب عبد العزيز آل سعود نفسه ملكاً على المملكة العربية السعودية في نفس العام بعد انتصاره في نجد والحجاز ، ووقعت اليمن مع بريطانيا معاهدة صداقة وتعاون مشترك عام ١٩٣٤ ، واستمر تيار التحرر السياسي في النمو في بلدان عربية مختلفة مصحوباً بشعور متزايد نحو التضامن بين الأقطار العربية والإسلامية (٧٧) وأما في فلسطين فقد حدث تغير هام في استراتيجية الحركة الوطنية خلال السنوات الأولى من الثلاثينيات . فمع ازدياد أعداد الهجرة اليهودية إلى فلسطين – بعد وصول النازية إلى الحكم في ألمانيا – بشكل تجاوز كل الحدود . ومع ازدياد انتقال مساحات من الأراضي إلى اليهود ،وعدم السماح بإقامة أية مؤسسات تشريعية حقيقية في البلاد اقتنع عرب فلسطين بأن الخطر الأساسي لا يتمثل في ذلك الكيان الصيهوني وانما في الاستعمار البريطاني الذي يمد الكيان الصهيوني بكل مقومات الحياة ويوفر له الظروف المناسبة للنمو . ونتيجة لذلك فقد استقامت استراتيجية الحركة الوطنية في فلسطين في تلك السنوات وتمثل ذلك في أنواع مختلفة من النضال والتضامن العربي شهدته سنوات الثلاثينيات في فلسطين وخارجها . فالاجتماع العربي القومي الذي عقد في ١٣ ديسمبر ١٩٣١ بالقدس وحضره عدد من رجال العربية الفتاة والعهد الفيصلي بهدف تدارس الأوضاع العربية وتجديد عهد الحركة العربية وأهدافها (٧٨) ووضعهم ميثاقاً يستأنفون جهادهم على أساسه هو مظهر من مظاهر ذلك التحول ، وتشكيل أحزاب عربية جديدة في فلسطين وعقد مؤتمرات تقوم مبادئها على فكرة الاستقلال التام للبلاد ووحدتها وحدة تامة لا تقبل التجزئة هو مظهر من مظاهر ذلك التحول (٧٩) . ومظاهرات عام ١٩٣٣ التي نظمتها القيادة العربية في فلسطين بهدف تحدي السلطة والتي شاركت فيها مجموعات من عرب

سوريا وشرقي الأردن مظهر من مظاهر التحول . وحركة الشيخ عز الدين القسام التي رفعت راية الكفاح المسلح في فلسطين وخاضت أول معركة مسلحة ضد القوات البريطانية في ٢٠ نوفمبر ١٩٣٥ كانت مظهراً آخر من مظاهر ذلك التحول . وثورة ٣٦ / ١٩٣٩ الفلسطينية التي تعتبر من أعظم الثورات العربية وأشرفها هي قمة ذلك التحول الذي شهدته الثلاثينيات في فلسطين .

وعندما حمل عرب فلسطين سلاحهم انضم إليهم مجاهدون من أنحاء العالم العربي خاصة من سوريا والعراق وشرقي الأردن ، وكانت حملة القاوقجي خلال المرحلة الأولى من ثورة ٣٦ / ١٩٣٩ تعبيراً عملياً عن وحدة النضال والهدف المشترك .

وبانتهاء المرحلة الأولى من ثورة ٣٦ / ١٩٣٩ تصبح القضية الفلسطينية قضية عربية لا تهم دول الشام وحدها بل تهم العالم العربي كله وإن كانت نوعية الاهتمام ونظرته تختلف من بلد إلى آخر أو من منطقة إلى أخرى ، فبينما نظر عرب الشام إلى القضية باعتبارها قضية عربية ونظر المصريون إليها بإعتبارها قضية عربية إسلامية فإن أهل المغرب قد اعتبروها قضية إسلامية . وانتقل هذا الاهتمام إلى الحكومات العربية نفسها فكان عليها أن تعكس وجهة نظر الرأي العام حتى وإن كانت مخالفة لما تعتقده ، وسارت بعض الحكومات في موكب الدفاع عن فلسطين . لكن التطور الكبير الذي حدث في أعقاب الثورة العربية في فلسطين في تلك المرحلة هو أنه لم يعد في قدرة أية حكومة عربية من حكومات المشرق العربي ومصر أن تهمل أو تتجاهل أمور القضية الفلسطينية (٨٠) .

وعندما قدمت اللجنة الملكية إلى فلسطين تقريرها الذي اقترحت فيه تقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق إحداها عربية والثانية يهودية والثالثة منطقة انتداب دائم هب الشعب العربي في مختلف الأقطار العربية يعترض على مشروع التقسيم ويعلن وقوفه ضده مما زاد من ارتباط الشعب العربي بقضية فلسطين وجعله أكثر إدراكاً لخطورة التحالف القائم بين الاستعمار والصهيونية . وإذا كانت الثورة قد شدت اهتمام الشعب العربي نحو القضية فقد استقطب الصراع ضد التقسيم تلك الاهتمامات . وشغلت البلدان

العربية بالقضية منذ تلك المرحلة وأصبحت ـ وما تزال ـ هي القضية الرئيسية المطروحة على الساحة العربية .

وتستأنف الثورة في منتصف اكتوبر ١٩٣٧ بعد إذاعة مشروع التقسيم ، وتظل المرحلة الثانية من الثورة قائمة حتى قبيل الحرب العالمية الثانية ، وتذهب اللجنة الفنية إلى فلسطين وتقدم تقريرها الذي أوصت فيه برفض مشروع التقسيم .

ويتبين لنا أهمية ذلك التأثير الذي أحدثته حركة التحرر الفلسطيني في الفكر القومي العربي وتحولها عن طريق نضال عرب فلسطين من قضية محلية إلى قضية عربية في نظرة البريطانيين أيضاً إلى المشكلة . ففي مذكرة قدمها وزير الخارجية البريطانية إلى مجلس الوزراء البريطاني في ١٩ نوفمبر ١٩٣٧ أوضح أن معارضة العرب في الأقطار المجاورة أكثر خطورة مما في فلسطين وإنه لافتراض خاطئ أن يتصور أنه يمكن التعامل مع القضية الفلسطينية في عزلة عن الأقطار العربية ، وإن الشرق الأوسط وحدة عضوية واحدة ، كما أن الحدود بين الدول العربية هي حدود صناعية إلى حد كبير ولا تعتمد على أسس قومية أو جغرافية أو اثنوجرافية (٨١) .

وفي مجال مساهمة حركة التحرر الفلسطيني في تعميق الفكرة العربية خلال مرحلة الثورة فقد عقدت عدة مؤتمرات عربية ناقشت القضية أو تعرضت لها . وكان أهم تلك المؤتمرات مؤتمر بلودان بسوريا الذي عقد في ٨ سبتمبر ١٩٣٧ والذي حضره ٤٥٠ عضواً من الشخصيات السياسية العامة في مصر وسوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية وشرقي الأردن وفلسطين (٨٢) . وكان الهدف منه « البحث في الواجبات المترتبة على العرب في مختلف أقطارهم واتخاذ التدابير الفعالة لمقاومة أخطار الصهيونية التي تهدد الوطن العربي وإنشاء دولة يهودية في جزء من أجزائه ـ فلسطين » (٨٣) .

وتبرز في كلمات افتتاح المؤتمر معاني الإحساس بالقضية المشتركة . فرئيس المؤتمر يقول : « إن من واجب الأمة العربية أن تستأصل هذا الخراج الموجود في جزء من الجسم العربي » ونبيه العظمة يعلن « أن فلسطين للعرب جميعهم وليست لأهلها فقط . وليس لأهل فلسطين أن ينفردوا بالدفاع عنها أو تقرير مصيرها » ومحمد على

علوبة يقول : « وإني كمصري أقول أن وجود أمة غريبة في فلسطين يهدد كيان العرب أجمعين » (٨٤) كما تتضح من قرارات المؤتمر ومن الميثاق الذي أقسم عليه المؤتمرون مدى ما أحدثته حركة التحرر الفلسطيني متوجة بثورة ٣٦ / ٣٩ من تجديد للفكرة العربية وتأكيد لمعاني التضامن العربي واستعداد لتبني إتجاهات جديدة إذا ما أصرت بريطانيا على سياستها .

ويعقد في بغداد في ٩ فبراير ١٩٣٨ المؤتمر الطبي العربي العاشر الذي اشترك فيه مصر وسورية ولبنان والعراق وحضره أكثر من أربعمائة طبيب وعالم وأديب(٨٥) . ومع أن المؤتمر كان يستهدف البحث في النواحي الطبية وربط النشاط العلمي العربي بألوان النشاط العلمي العالمي قديمه وحديثه (٨٦) . ومع أن هذا الهدف في حد ذاته هدف قومي هام ، لكن المؤتمر لم يفته أن يصدر في نهاية عمله بياناً متعلقاً بفلسطين يطالب بالاعتراف بحق أهلها في الاستقلال والحرية (٨٧) .

وكان ثالث تلك المؤتمرات الهامة المؤتمر البرلماني العربي الذي عقد في القاهرة في الفترة من ٧ إلى ١١ اكتوبر ١٩٣٨ وحضره ممثلون عن مصر وسوريا ولبنان والعراق وشرقي الأردن واشترك فيه مندوبون عن المغرب واليمن والهند والصين (٨٨) . وكان من قراراته صون فلسطين كبلد عربي (٨٩) .

وأما المؤتمر الرابع فهو المؤتمر النسائي العربي الذي عقد في الفترة من ١٥ إلى ٢٠ اكتوبر ١٩٣٨ وكان أول مؤتمر نسائي يعقد في العالم العربي لبحث قضية فلسطين ، وحضرت المؤتمر شخصيات نسائية بارزة من مصر وسوريا ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن والعراق . وقد أيد المؤتمر ميثاق فلسطين واستنكر المظالم البريطانية (٩٠) .

تلك هي المؤتمرات العربية التي عقدت في تلك الفترة لتأييد النضال الفلسطيني العربي . ومع أن بعض قرارات تلك المؤتمرات كان قرارات نظرية لم تجد طريقها إلى التطبيق ، ومع أن شعار الوحدة كان شعاراً عاماً غير محدد المضمون ، لكن الأمر الجدير بالاهتمام هو أن إحساساً بالخطر المشترك بدأ يجمع بين مختلف الأقطار العربية وشعوراً بضرورة التجمع كان يتزايد لدى العرب مما يوضح ذلك الأثر الهام الذي

أحدثته حركة التحرر الفلسطيني من ربط للمشاعر العربية العامة أسهم مع الوقت في بروز الفكرة القومية ونضوجها .

ومع توتر الموقف الدولي وظهور نذر الحرب العالمية الثانية أدركت بريطانيا أن الوضع في منطقة الشرق الأوسط يحتاج إلى مزيد من التوازن بين العرب واليهود بحيث تستطيع أن تحافظ على المصالح اليهودية من ناحية وتمتص جانباً من غضب العرب بعد مشروع التقسيم من ناحية أخرى ، وتهيئ الجو المناسب للحكومات العربية لتبني سياسة موالية للسياسة البريطانية عندما تضطرب الأحوال وينفجر الموقف الدولي ، أو على الأقل لإيقاف انتشار التعاطف مع دول المحور من أجل ضمان البترول العربي وحماية خطوط وسائل الاتصال الامبراطورية (٩١) .

ومن هنا فقد نشأت فكرة الدعوة إلى مؤتمر لندن الذي عقد في ٧ فبراير ١٩٣٩ وحضره ممثلون لعرب فلسطين واليهود ومندوبون عن حكومات مصر والعراق والمملكة العربية السعودية وشرقي الأردن واليمن واستمرت جلساته حتى ١٧ مارس ١٩٣٩ . ومع أن هذا المؤتمر لم يحقق أية نتائج إيجابية لقضية فلسطين وكان مجرد مسرحية أحسن البريطانيون إخراجها ، ومع أن الكلمات الافتتاحية لرؤساء الوفود العربية في المؤتمر تراوحت بين الاتزان أو المجاملة للبريطانيين أو الصراحة المقبولة حيث طالب هؤلاء الرؤساء بحقوق عرب فلسطين بطريقتهم الخاصة وعبر أكثرهم عنها على استحياء (٩٢) . رغم ذلك كله فإن مجرد دعوة بعض الدول العربية لحضور هذا المؤتمر – رغم ما حققه للسياسة البريطانية من فوائد – كان تعبيراً عما أحدثته حركة التحرر الفلسطيني من آثار إيجابية في الفكر القومي تمثلت في زيادة التضامن بين الدول العربية ، واعتبار القضية الفلسطينية قضية قومية، وفي تجمع العرب حول قضية مشتركة .

فإذا بحثنا عن خصائص القومية العربية في فترة ما بين الحربين العالميتين وجدنا توفر خصائص الشمولية والإنسانية والاستراتيجية والنضالية وعدم توفر خاصيتي التقدمية والعدالة الاجتماعية .

فخاصية الشمولية قائمة وإن كانت قد ضعفت خلال العشرينيات لكنها تستعيد

قوتها خلال الثلاثينيات وتصبح أكثر شمولاً عن ذي قبل ، فلم تعد كلمة الوحدة العربية تعني وحدة سوريا فقط بل أصبحت تعني بشكل محدد المشرق العربي ومصر ، كما ارتفعت راية القومية خلال الثلاثينيات ولم تعد النظرة مقتصرة على الأوضاع السياسية بل أصبحت شاملة لجميع جوانب الحياة المختلفة سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية.

وأما الجانب الإنساني فنراه واضحاً في مواجهة الجماهير لبعض الأنظمة البوليسية في بعض بلدان العالم العربي ، وفي العمل من أجل إنهاء الامتيازات الأجنبية ، وفي مقاومة فرنسة الجزائر ، ثم في نضال كثير من البلدان العربية من أجل الحصول على مزيد من الحقوق السياسية أو الدستورية .

وأما عن توفر الاستراتيجية فنراها واضحة في استقامة الاستراتيجية الوطنية في فلسطين باعتبار الاستعمار البريطاني هو أصل الداء وأس البلاء ، والنظرة إلى الخطر الصهيوني باعتباره هو العدو الثانوي بعد الاستعمار .

وأما خاصية النضالية فنراها أكثر وضوحاً وبروزاً وتطبيقاً في تلك المرحلة ممثلة في الاضطرابات والانتفاضات والثورات التي حفلت بها فترة ما بين الحربين العالميتين خاصة في مصر وسوريا والعراق وفلسطين ، ونرى استخداماً لأساليب مختلفة من النضال وإن كان النضال مركزاً ضد القوى الخارجية لا التحديات الداخلية بسبب طبيعة تلك المرحلة والحاجة إلى تحقيق الاستقلال الوطني قبل مواجهة تلك التحديات الداخلية .

وأما عن التقدمية والعدالة الاجتماعية فهما غير موجودتين من الناحية العملية ، لكننا نراهما أكثر بروزاً من الناحية النظرية ممثلة في دعوات الإصلاح الاجتماعي والاتجاهات الاشتراكية في بعض البلدان العربية .

ثالثاً : حركة التحرر الفلسطيني والفكر القومي العربي

منــذ الحــرب العالميــة الثــانية

شهدت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية مزيداً من التقدم نحو الاستقلال في عدد من البلدان العربية فتحقق الاستقلال السياسي في بعض البلدان العربية وكانت أخرى تكافح من أجل تحقيق الاستقلال ، كما شهدت تلك المرحلة من الناحية الدولية نشأة الأمم المتحدة وبروز الولايات المتحدة الأمريكية على مسرح السياسة العالمية بإعتبارها الدولة الأولى في العالم ، ومن الناحية العربية نشأة جامعة الدول العربية .

وكانت فكرة الجامعة العربية في بدايتها فكرة بريطانية تهدف إلى احتواء هذه البلدان وضمان وقوفها إلى جانب بريطانيا عند اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وقد استمرت هذه السياسة بعد الحرب بهدف « إلهاء الأمة العربية بنظام صوري عن الوحدة الحقة التي تتطلع إليها وعلى تسيير الحكومات العربية مجتمعة وفق الخطة البريطانية التي ترسم » (٩٣) .

ولم يكن من الممكن لميثاق الجامعة العربية أن يحقق فكرة الوحدة العربية لأن العوامل الانفصالية التي كانت قائمة بعد الحرب العالمية الثانية جعلت الدول الأعضاء تتمسك بسيادتها واستقلالها في علاقاتها مع باقي الدول العربية وترفض تكوين دولة عربية موحدة يلتزم الأعضاء بسياستها وقراراتها . فالجامعة العربية — في حقيقة الأمر — هي منظمة إقليمية تقوم على التعاون الاختياري بين الدول الأعضاء ، وليست هناك سلطة سياسية للجامعة العربية تلتزم بها الحكومات العربية ، كما أن الإجماع ضروري لالتزام أعضاء الجامعة بقراراتها (٩٤) .

ورغم ذلك التقدم الذي حققته بعض الدول العربية بعد الحرب العالمية الثانية فقد كان الاستعمار العالمي ما يزال متحكماً في شئون البلاد العربية ، ولم تكن الدول

العربية تملك حرية الحركة أو اتخاذ القرار السياسي ، وكانت العلاقات بين البلدان العربية متأثرة بالصراع بين بعض المحاور العربية ، وكان هناك تناقض كبير بين كثير من الأنظمة العربية وبين الشعب العربي .

في تلك الظروف المشار إليها أنهت بريطانيا انتدابها في فلسطين ، وأقيمت دولة إسرائيل وحدثت الجولة العربية الإسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨ والتي تمخضت عن هزيمة الجيوش العربية المشتركة في الحرب .

ومع أن حركة التحرر الفلسطيني كانت عملية جذب وتوحيد تمثلت في مشاركة عدد من الدول العربية في تلك الحرب ، لكنها كانت أيضاً عملية طرد . فقد كانت نتائج الحرب وما أبرزته من تخلف كبير في البلدان العربية وانخفاض في معدل استعدادداتها العسكرية عاملاً هاماً في تفجير الخلافات والصراعات العربية وفي الدعوة في مصر إلى العودة إلى الانشغال بنضالها المحلي وعدم الاهتمام بالقضايا العربية .

لكن العروبة في مصر كانت أقوى من الإقليمية أو الانعزالية ، فسرعان ما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ التي كانت ثورة عربية كبيرة ، فقد استطاعت أن تحول الشعب العربي في مصر إلى إطار الحركة العربية العامة وأن تدعم أركان العروبة في مصر .

ونجد منذ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ علامات بارزة في الطريق إلى تبلور الفكرة القومية ونضوجها : صفقة الأسلحة التشيكية مع مصر عام ١٩٥٥ ، تأميم قناة السويس ، سقوط المشروعات الغربية في المنطقة مثل مشروع ايزنهاور ، قيام الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨ ، تجدد حركة النضال الفلسطيني مع مطلع ١٩٦٥ ، تحرر جنوب الجزيرة العربية ، حرب اكتوبر ١٩٧٣ . وفي مقابل تلك العلامات البارزة فإننا نجد علامات مظلمة أخرى : النزاع العراقي الكويتي عام ١٩٦١ ، انفصال سوريا عن مصر في نفس العام ، هزيمة ١٩٦٧ ، انحراف بعض الثورات العربية ، الأزمة اللبنـــانية .

وإذا بحثنا عن علاقة حركة التحرر الفلسطيني بالفكرة القومية العربية فإننا نجد

العمل العربي المشترك خلال الستينيات والسبعينيات ممثلاً إلى درجة كبيرة في مؤتمرات القمة العربية . فمؤتمرات القمة العربية الثلاث الأولى ـ التي عقدت في يناير ١٩٦٤ بالقاهرة وسبتمبر ١٩٦٤ بالإسكندرية وسبتمبر ١٩٦٥ بالدار البيضاء ـ يمكن أن نعتبرها مؤتمرات الانطلاق نحو العمل العربي المشترك ، وأما مؤتمري القمة العربيين الرابع في الخرطوم في أغسطس ١٩٦٧ والخامس في الرباط في في ديسمبر ١٩٦٩ ـ فيمكن أن نعتبرهما مؤتمري مواجهة آثار هزيمة ١٩٦٧ ، أما مؤتمرات القمة الثلاثة التالية ـ وهي المؤتمر السادس بالجزائر في نوفمبر ١٩٧٣ والسابع في أكتوبر ١٩٧٤ والثامن في ٢٥ أكتوبر ١٩٧٦ ـ فهي مؤتمرات ما بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

وتعتبر سياسة مؤتمرات القمة في حقيقة أمرها شكلاً جديداً من أشكال وحدة الصف فرضتها ظروف محددة من أجل تحقيق هدف محدد وهو استكشاف طريق للعمل العربي من أجل تحرير فلسطين ومعرفة قدرات الأُمة العربية بأوضاعها الراهنة على الحركة السريعة في الوقت المناسب لمواجهة الخطر الصهيوني ، ولا تتعارض سياسة وحدة الصف مع سياسة وحدة الهدف وليست بديلاً لها ، وهي تسعى إلى كسب بعض المواقع ، أما سياسة وحدة الهدف فتسعى إلى كسب المعركة كلها (٩٥) .

فإذا تابعنا تلك المؤتمرات وجدنا أن الموضوع الرئيسي في تلك المؤتمرات كان قضية فلسطين . فقرار « تنظيم الشعب الفلسطيني وتمكينه من القيام بدوره في تحرير وطنه وتقرير مصيره » وأن العرب « سينظمون علاقاتهم السياسية والاقتصادية بالدول على أساس مواقفها من كفاح العرب المشروع ضد المطامع الصهيونية في العالم العربي » كان أهم نتائج مؤتمر القمة العربي الأول (٩٦) ، ودراسة الموقف العسكري العربي مع اسرائيل لأول مرة منذ عام ١٩٤٨ كانت نتائج مؤتمر القمة العربي الثاني(٩٧) ، وقرار اعتبار استرداد الأراضي العربية المحتلة مسئولية كل البلاد العربية وليس مسئولية دولة أو بعض الدول كان نتيجة من نتائج مؤتمر القمة العربي الرابع(٩٨) ، وقرار اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني هو أبرز قرارات مؤتمر القمة العربي السادس ، إلى غير ذلك من القرارات التي كانت متعلقة بنضال عرب فلسطين .

وهكذا يتبين لنا أن حركة التحرر الفلسطيني كانت عاملاً أساسياً في نمو الفكرة العربية وتطورها وفي مراجعة الدول العربية لأوضاعها بين وقت وآخر ليس بهدف تطوير مؤسساتها والنهوض بأوضاعها فقط بل أيضاً بهدف القدرة على مواجهة الاستعمار والصهيونية .

لكن حركة التحرر الفلسطيني كانت أيضاً عامل جزر . فوجود منظمات نضالية عديدة تكافح ضد العدو الصهيوني مع أنه يمثل ظاهرة إيجابية لكنه في نفس الوقت يمثل ظاهرة سلبية ، فقد أضعف الارتباط القائم بين بعض المنظمات الفلسطينية وبعض الأنظمة العربية من فعالية حركة التحرر الفلسطيني وشغلها بمسائل ثانوية أو هامشية ، وترك آثاراً سيئة على العلاقات بين الدول العربية ، واستغلته أنظمة أخرى بهدف تحقيق بعض المصالح غير النضالية .

ورغم وجود بعض المظاهر السلبية فإنه من الإنصاف أن نقرر أن حركة التحرر الفلسطيني قامت بدور هام في تعميق الفكر القومي العربي الذي يهدف إلى الوحدة العربية الشاملة . فلقد جاء العدوان الصهيوني باسم قومية تريد أن تنتزع جزءاً من قلب المنطقة العربية ، ولم يجئ هذا العدوان باسم الدين حتى لا يواجه برد فعل إسلامي وإنما جاء باسم قومية ، فكان ذلك تحدياً واضحاً للوعي القومي العربي لم يملك معه هذا الوعي إلا أن يفيق ويعي وجوده ويتحرر من غموض الشعور واختلاطه إلى وضوح وصفاء قومي ، وزاد من هذا الصفاء كون ذلك الخطر الصهيوني خطراً استيطانياً دائماً متزرعاً في قلب العالم العربي وليس شكلاً استعمارياً مؤقتاً مرتبطاً بمرحلة تاريخية محددة .

ومن ناحية أخرى فإن الدولة الصهيونية تعتقد أنها لا تستطيع أن تحمي وجودها إلا بمزيد من التوسع على حساب مناطق أخرى غير أرض فلسطين ، مما أكد للعرب أن الخطر الصهيوني هو تهديد مباشر لحاضر الأمة العربية ومستقبلها لا لعرب فلسطين وحدهم .

وبالإضافة إلى ذلك فإن تجربة النضال العربي ضد الصهيونية قد أثبتت للعرب أن

الوحدة المنشودة هي تلك الوحدة التي تجمع الشعب العربي كله لا تلك الوحدة التي تجمع الرؤساء أو الملوك أو الحكومات العربية .

وأخيراً فإن حركة التحرر الفلسطيني قد أبرزت معنى جديداً وهو أن أية مواجهة مستقبلية تواجه فيها الصهيونية العالمية المؤيدة من الاستعمار العالمي لابد أن تقوم بها أمة لا تعيش حياة متخلفة راكدة وإنما تحيا حياة متطورة ، آخذة بأسباب العلم والتقدم ، متابعة لروح العصر وتكنولوجيته . ولن تستطيع الأُمة العربية أن تحقق هذا الهدف الحضاري إلا إذا شملها نظام اجتماعي تقدمي يحقق الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية لأبنائه قبل أن يواجه تحدياته الخارجية ، ولا شك أن هذا التعميق في الفكر القومي العربي هو نتيجة للمحنة الفلسطينية ولحركة التحرر الفلسطيني التي رفعت سلاحها ضد هذا العدوان وضد كل ما يمثله من أشكال ومظاهر(٩٩) .

إن هذا العمق في الفكر القومي العربي قد أوصل بعض المثقفين والمؤرخين العرب إلى نتيجة هامة وهي أن الدولة الصهيونية ليست سوى شجرة دخيلة أقحمها الاستعمار الغربي في المنطقة إقحاماً ، في أرض غير صالحة لنموها وفي تربة لا تتوفر فيها عوامل الحياة لها ، ولذلك فإن كل ما يبذله الغرب والشرق والصهيونيون من جهود لدعم ذلك الكيان لن يستطيع على المدى الطويل أن يحقق هدفه ، فإما أن تذبل أوراق الشجرة ويجف عودها عند انقطاع أسباب الري من الخارج ، وإما أن يستطيع أبناء الأُمة العربية عندما تتوفر لقوميتهم كل أسباب النجاح اجتثاث هذه الشجرة من جذورها (١٠٠) .

فإذا تتبعنا خصائص القومية العربية في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية لوجدنا توفر معظم الخصائص الست التي تحدثنا عنها لكن بشكل نسبي . فالشمولية قد اتسع نطاقها على جميع المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والجغرافية ، وأصبح إطار الوحدة العربية يعني مصر وشرق العالم العربي ومغربه ، وجمع العمل العربي المشترك بين سائر البلدان العربية ، ودار النشاط العربي الرئيسي حول مساندة حركة التحرر الفلسطيني .

وأما الجانب الإنساني فقد تردى خلال تلك الفترة إلى مستوى من أدني المستويات

في تاريخ الأمة العربية كله ، فامتهنت – وما تزال – كرامة الإنسان على يد بعض الأنظمة العربية المعاصرة ، لكن الصورة ليست قاتمة في كل جوانبها ، فهناك دعوات ومحاولات في بعض البلدان العربية لبناء الإنسان واحترام كرامته وآدميته .

وأما عن الاستراتيجية فقد تبلورت في ثلاثة أهداف محددة هي الحرية والوحدة والاشتراكية .

وأما عن النضالية فقد استمرت قوية ومتجددة في فترات معينة ، لكنها انحرفت بضرباتها في أوقات أخرى إلى أبناء الوطن الواحد .

وأما التقدمية فقد تحققت بشكل نسبي في بعض البلدان العربية التي حدثت فيها بعض التحولات الاجتماعية الهامة .

وأما العدالة الاجتماعية فما تزال هدفاً غاليا يتعذر تحقيقه رغم ارتباط الفكر القومي العربي بأفكار العدالة الاجتماعية ، وإن كانت هنالك محاولات لتحقيقها ، لكن تلك المحاولات لن تستطيع تحقيق آمالها ما لم تستند إلى فكر عربي متجدد وقيادات صالحة ، ومجموعات من الرواد والكوادر تؤمن بهذا الفكر وتضعه موضع التطبيق ، كما تضع إمكانات الأمة العربية ومواردها في خدمة الحركة العربية الواحدة .

هـــوامش البحـــث

١ عبد الرحمن البزاز : هذه قوميتنا ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

٢ حكومة فلسطين : تقرير لجنة التحقيق على اضطرابات فلسطين التي وقعت في شهر آب ١٩٢٩ ، ص١٢.

٣ الشهادات العربية أمام اللجنة الملكية وخلاصة قرار اللجنة الملكية ص ١٨٢ ، ١٨٣ من مذكرة محمد عزة دروزة إلى اللجنة الملكية .

٤ أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى . المجلد الثالث ص ٤٣ .
الشهادات العربية : المرجع السابق ص ٢٠٥ من بيان عبد اللطيف صلاح .

5) **Hurewitz : The Struggle for Palestine. P. 17**

٦ يوسف هيكل : القضية الفلسطينية ص ١١ ، ١٢ .

٧ محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة ، الجزء الأول ص ١٦ ، ١٧ .

٨ محمد بديع شريف وآخران : دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ص ٢٨ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٧ .

٩ حكومة فلسطين : التقرير السابق ص ١٤ .

١٠ محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢٢ .

١١ يوسف هيكل : المرجع السابق ص ١٣ .

١٢ عبد الفتاح أبو النصر اليافي : مذكرات قائد عربي عن الحرب العامة والشئون العامة .

١٣ محمد إسحق درويش : ذكريات ص ٨ مكرر ، محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢٤ .

١٤ الأنوار : ٢ آب ١٩٦١ ص ١٢ مقال لعجاج نويهض .

١٥ يوسف هيكل : المرجع السابق ص ١٣ . ، كرم زعيتر : القضية الفلسطينية ص ٣٦ ، ٣٧ .

١٦ محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢٧ ، الشهادات العربية : المرجع السابق ص ٣٣٤ شهادة جورج أنطونيوس .

١٧ محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢٥ .

١٨ محمد بديع شريف وآخران / المرجع السابق ص ٩١ .

١٩ محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٣٢ ، ٣٣ .

٢٠ محمد إسحق درويش : نفس المرجع والصفحة .

٢١ يوسف هيكل : المرجع السابق ص ١٥ .

٢٢ محمد بديع شريف وآخران : المرجع السابق ص ٩٨ ، ٩٩ .

٢٣ عبد القادر يوسف : مستقبل التربية في العالم العربي في ضوء التجربة الفلسطينية ص ٥١ .

٢٤ يوسف هيكل : المرجع السابق ص ١٦ ، ١٧ .
٢٥ ناصر النشاشيبي : تذكرة عودة ص ٩٨ .
٢٦ محمد إسحق درويش : نفس المرجع والصفحة .
٢٧ محمد بديع شريف وآخران : المرجع السابق ص ١١٢ .
٢٨ الشهادات العربية : المرجع السابق ص ٣٣٤ شهادة جورج أنطونيوس .
٢٩ تقرير لجنة التحقيق عن اضطرابات فلسطين التي وقعت في شهر آب سنة ١٩٢٩ ، ص ١٦٦ .
٣٠ محمدإسحق درويش : نفس المرجع والصفحة .
٣١ الشهادات العربية : المرجع السابق ص ١٩١ ، ١٩٢ . مذكرة محمد عزة دروزة إلى اللجنة الملكية .
٣٢ جريدة فلسطين : السنة الأولى . العدد ٢٤ ، ١٩ أيلول ١٩١٨ ص ٦ .
٣٣ أحمد الشقيري : محاضرات عن قضية فلسطين منذ نشوء الحركة الصهيونية حتى سنة ١٩١٩ ص ٦٣ .
٣٤ جريدة فلسطين : السنة الأولى . العدد ٤٥ - ١٣ شباط ١٩١٩ ص ٢ .
٣٥ محمد عزة دروزة : فلسطين وجهاد الفلسطينيين ص ١٣ .
٣٦ محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة . الجزء الأول ص ٩٦ .
٣٧ نجيب صدقة : قضية فلسطين ص ٦٦ .
٣٨ جامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين . المجموعة الأولى ١٩١٥ - ١٩٤٦ ص١١٧ .
٣٩ عيسى السفرى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ص ٣٢ .
٤٠ محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ .
٤١ نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٨١ .
٤٢ محمد بديع شريف وآخران : المرجع السابق ص ٤١٠ - ٤١٣ بحث للدكتور زكي المحاسني .
٤٣ محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١١٣ ، ١١٤ .
٤٤ أحمد طربين : محاضرات في التنازع الدولي حول أقطار آسيا العربية في تسوية الصلح ١٩١٩ ص ١٣٠ .
٤٥ عيسى السفري : المرجع السابق ص ٣٧ .
٤٦ أمين سعيد : المرجع السابق ص ٤٣ .
٤٧ ساطع الحصري : محاضرات في نشوء الفكرة القومية . ص ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ .
٤٨ أنيس الخوري المقدسي : الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث ص ١٧٣ ، ١٧٤ .
٤٩ محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٦٤ ، ٦٥ .
٥٠ محمد كرد علي : خطط الشام . الجزء الثالث ص ١٧٨ .
٥١ عبد الرحمن البزاز : المرجع السابق ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ .
٥٢ جامعة الدول العربية : العالم العربي : مقالات وبحوث . ص ١٣١ بحث للدكتور محمد عوض محمد .
٥٣ نجلاء عز الدين : العالم العربي ص ٤٣٨ ، ٤٣٩ .
54. Hurewitz: Op. Cit. P. 56
٥٥ مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : تقرير في حالة فلسطين من اللجنة المركزية للمؤتمر الثالث ص ٢٩

٥٦ مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : الكراسة الثانية ص ١٣ . التقرير الذي قدمته اللجنة التنفيذية للمؤتمر الثالث إلى المؤتمر العربي فلسطيني الرابع .
٥٧ الكرمل : العدد ٨٣٩ - ٣٠ آب ١٩٢٢ ، عوني عبد الهادي : منشور بملف القضية الفلسطينية الخاص به .
٥٨ فلسطين : السنة الثالثة . العدد ٢٩ - أول تموز ١٩٦٣ ص ٢٣ .
٥٩ نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٩٧ ، ٩٨ .
٦٠ الشورى : العدد ١٨٦ - ٢٨ يونيو ١٩٢٨ ص ١ بيان لمكتب المؤتمر .
٦١ حمدي الحسيني : كلمة إلى الشعب العربي الفلسطيني ص ١٠ - ١٢ .
٦٢ الكتاب الأبيض رقم ٧٠٠ : المكاتبات التي تبودلت مع الوفد العربي الفلسطيني والجمعية الصهيونية .
٦٣ عيسى السفرى : المرمع السابق ص ٩٣ - ٩٥ .
٦٤ فلسطين : العدد ٥٩١ - ٢٣ - ٢٩ حزيران ١٩٢٣ ص ١ .
٦٥ فاضل حسين : مؤتمر لوزان وآثاره في البلاد العربية ص ٦٦ .
٦٦ أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى . المجلد الثالث ص ٥٧ .
٦٧ فلسطين : العدد ٦٠٩ - ٥١ - ٤ أيلول ١٩٢٣ ص ٢ .
٦٨ الشورى : العدد ٢٧٣ - ٧ مايو ١٩٣٠ ص ٣ بيان من اللجنة التنفيذية العربية .
٦٩ أحمد طربين : محاضرات في تاريخ قضية فلسطين ص ٩٢ ، ٩٣ .
٧٠ نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٨٨ .
٧١ عيسى السفرى : المرجع السابق ص ٤٧ .
٧٢ محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة . الجزء الثالث ص ٣٣ .

73 — Weizmann : Trial and Error. P. 317

74 — The Secretary of State for the Colonies: Palestine Royal Commission. Report. P. 50:

٧٥ الشورى : العدد ٢٨ - ٣٠ أبريل ١٩٢٥ ص ٢ .
٧٦ السياسة : العدد ٧٧١ - ٢٢ أبريل ١٩٢٥ ص ٢ .
٧٧ أمين سعيد : المرجع السابق ص ١٢٦
٧٨ محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٨٣ .
٧٩ نجيب صدقة : المرجع السابق ص ١٦١ ، ١٦٢ .
٨٠ عادل غنيم : رسالة دكتوراه أجيزت بجامعة القاهرة عام ١٩٧٦ وموضوعها : الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦ حتى قيام الحرب العالمية الثانية « المجلد الثاني ص ٥٤ .

81 — E.O. 371/20806. E 6836.

٨٢ محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٧٨ .
٨٣ الشباب : ١ سبتمبر ١٩٣٧ ص ٣ .
٨٤ محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

٨٥ عبد الرازق الحسني : تاريخ الوزارات العراقية . الجزء الخامس ص ١٥ .
٨٦ الزمان : ٩ شباط ١٩٣٨ .
٨٧ الزمان / ١٦ شباط ١٩٣٨ ص ٤ .
٨٨ نجيب صدقة : المرجع السابق ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .
٨٩ أحمد طربين : فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار ص ٢١ .
٩٠ محمد عزة دروزة : المرجع السابق ص ٢١٥ ، ٢١٦ .
91) Safran: The United States and Israel.
٩٢ عادل غنيم : المرجع السابق . المجلد الأول ص ٢٦٥ .
٩٣ سيد نوفل : العمل العربي المشترك . الكتاب الأول ص ٧٣ .
٩٤ محمد حافظ غانم : محاضرات عن جامعة الدول العربية ص ٣٨ — ٤٠ .
٩٥ الطليعة : دراسة لمصطفى طيبة عنوانها « حسابات ١٩٦٥ وآفاق ١٩٦٦ في الوطن العربي » يناير ١٩٦٦ ص ٤٢ .
٩٦ الأهرام : ١٨ يناير ١٩٦٤ ص ١ نص البيان التاريخي لمؤتمر القمة .
٩٧ الأهرام : ٧ سبتمبر ١٩٦٤ ص ١ .
٩٨ وزارة الأعلام : الهيئة العامة للاستعلامات . نشرة خاصة ص ٩٢ .
٩٩ عبد العزيز الأهواني : أزمة الوحدة العربية ص ١٢٥ — ١٢٧ .
١٠٠ محمد رفعت : التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ص ٤١٤ ، ٤١٥ .

المصـــادر

أولاً : المصادر العربية :

١ ـ الوثـائق :

ـ جامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين المجموعة الأولى ١٩١٥ ـ ١٩٤٦ ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

ـ حكومة فلسطين : تقرير لجنة التحقيق عن اضطرابات فلسطين التي وقعت في شهر آب ١٩٢٩ ، ترجمة رسمية ، القدس ١٩٣٠ .

ـ حكومة فلسطين : الكتاب الأبيض رقم ٧٠٠ ، المكاتبات التي تبودلت مع الوفد العربي الفلسطيني والجمعية الصهيونية .

٢ ـ رسائل جـامعية :

ـ عادل غنيم : الحركة الوطنيـة الفلسطينية من ثورة ١٩٣٦ حتى قيام الحرب العالمية الثانية ، رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة عام ١٩٧٦ .

٣ ـ الكتب :

ـ أحمد طربين : فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار (١٩٢٢ ـ ١٩٣٩) القـاهرة ، ١٩٧٢ .

ـ أحمد طربين : محاضرات في تاريخ قضية فلسطين منذ نشأة الحركة الصهيونية حتى نشوء الثورة الكبرى (١٩٣٦) ، القـاهرة ، ١٩٥٩ .

ـ أكرم زعيتر : القضية الفلسطينية ، القـاهرة ، ١٩٥٥ .

ـ أمـين سعيد : الثورة العربية الكبرى : تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن ، المجلد الثالث ، القـاهرة ، ١٩٣٤ .

- انيس الخوري المقدسي : الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث . بيروت .
- جامعة الدول العربية : العالم العربي . مقالات وبحوث في بعض شئونه السياسية والعلمية . الكتاب الأول ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
- ساطع الحصرى : محاضرات في نشوء الفكرة القومية . القاهرة ١٩٥١ .
- سيد نوفل : العمل العربي المشترك . الكتاب الأول . القاهرة .
- الشهادات العربية أمام اللجنة الملكية في فلسطين وخلاصة قرار اللجنة الملكية ، الطبعة الثانية ، ١٩٣٨ .
- عبد الرازق الحسنى : تاريخ الوزارات العراقية ، الجزء الخامس ، صيدا ، ١٩٥٣.
- عبد الرحمن البزاز : هذه قوميتنا ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
- عبد العزيز الأهواني : أزمة الفكرة العربية . بيروت ، ١٩٧٢ .
- عبد الفتاح أبو النصر اليافي : مذكرات قائد عربي عن الحرب العامة والشئون العربية.
- عبد القادر يوسف : مستقبل التربية في العالم العربي في ضوء التجربة الفلسطينية ، القاهرة ، ١٩٦٢ .
- عيسى السفرى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، جزآن ، يافا ، ١٩٣٧.
- فاضل حسين : مؤتمر لوزان وآثاره في البلاد العربية ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- محمد بديع شريف وآخران : دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة . جامعة الدول العربية .
- محمد حافظ غانم : محاضرات عن جامعة الدول العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
- محمد رفعت : التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ، القاهرة ١٩٦٤ .
- محمد كرد على : خطط الشام ، الجزء الثالث ، دمشق ، ١٩٢٥ .
- محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة ، تاريخ ومذكرات وتعليقات، الجزء الأول .

- محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة . الجزء الثالث ، صيدا ، ١٩٥١ .
- محمد عزة دروزة : فلسطين وجهاد الفلسطينيين في معركة الحياة والموت ضد بريطانيا والصهيونية العالمية (١٩١٧ - ١٩٤٨) ، القاهرة ١٩٥٩ .
- ناصر الدين النشاشيبي : تذكرة عودة . بيروت ١٩٦٢ .
- نجلاء عز الدين : العالم العربي . ترجمة محمد عوض إبراهيم وآخرون . القاهرة ١٩٦٢ .
- نجيب صدقة : قضية فلسطين . بيروت ، ١٩٤٦ .
- يوسف هيكل : القضية الفلسطينية . تحليل ونقد ، يافا ، ١٩٣٧ .

٤ - ذكريات :

- محمد اسحق درويش : ذكريات .

٥ - محاضرات :

- أحمد الشقيري : محاضرات عن قضية فلسطين منذ نشوء الحركة الصهيونية حتى ثورة ١٩١٩ . معهد الدراسات العربية العالية . القاهرة . ١٩٥٤ .
- أحمد طربين : محاضرات في التنازع الدولي حول أقطار آسيا العربية حتى تسوية الصلح ١٩١٩ . معهد الدراسات العربية العالية . القاهرة . ١٩٥٧ .

٦ - تقارير ونشرات :

- حمدي الحسيني : كلمة إلى الشعب العربي الفلسطيني .
- مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : التقرير الذي قدمته اللجنة التنفيذية للمؤتمر الثالث إلى المؤتمر العربي الفلسطيني الرابع .
- مكتبة الهيئة العربية العليا بالقاهرة : تقرير في حالة فلسطين من اللجنة المركزية للمؤتمر الثالث إلى جناب المستر ونستون تشرشل ، القدس ، ١٩٢١ .
- وزارة الإعلام المصرية : الهيئة العامة للاستعلامات ، نشرة خاصة .

٧ – الدوريـات :

– الزمـان ، بغـداد ، يومية ، ١٩٣٨ .

– السياسة ، القاهرة ، يومية ، ١٩٢٥ .

– الشباب : القـاهرة ، اسبوعية ، ١٩٣٧ .

– الشورى : القاهرة ، اسبوعية ، ١٩٢٥ ، ١٩٢٨ ، ١٩٣٠ .

– الطليعة : القاهرة ، شهرية ، ١٩٦٦ .

– الكرمل : حيفا ، يونيه ، ١٩٢٢ .

– الأنوار : بيروت ، يوميه ، ١٩٦١ .

– الأهرام : القاهرة ، يومية ، ١٩٦٤ .

– جريدة فلسطين : القاهرة ، أسبوعية ، النسخة العربية للجريدة التي يصدرها الجيش البريطاني ، ١٩١٨ ، ١٩١٩ .

– فلسطين : بيروت ، تصدرها الهيئة العربية العليا ، ١٩٦٣ .

– فلسطين : يافا ، أسبوعية ، ١٩٢١ .

ثانياً : المصـادر الأجنبيـة :

١ – الوثـائق :

— F.O. 37I/20806 — E 6836

— The Secretary of State for the Colonies: Palestine Royal Commision Report. London, 1937. CMd.

٢ – الكتب :

— Esco Foundation : Palestine. A Study of Jewish Arab and British Policies : Vol. 1. 2nd ed. U.S.A. 1949.

— Hurewitz J. C. : The Struggle for Palestine. New York 1950.

— Safran : The United States and Israel.

— Weizmann, Chaim : Trial and Error, 4th ed. London, 1950.

المقومات الفنية والاقتصادية للتنمية الصناعية في المجتمعات النامية

الدكتور
فاروق محمد العادلي
أستاذ مساعد بقسم الاجتماع

عرضنا في بحث سابق (١) للمعوقات الاجتماعية التي تواجه قضية التنمية الصناعية في المجتمعات النامية بصفة عامة وبعض الأقطار العربية بصفة خاصة . وقد عالجنا في هذا البحث السابق الجوانب الاجتماعية المختلفة للتنمية الصناعية وركزنا الحديث عنها ونوهنا بأهميتها نظراً لأنها لم تلق ما يجب أن تلقاه من اهتمام ، فقد أُهمل بحثها والاهتمام بإبراز دورها ، نظراً لاعتقاد بعض العلماء أن المشكلات تنحصر فحسب في الجوانب التكنولوجية والاقتصادية أساساً . وبمعنى آخر فإن الجانب التكنيكي والاقتصادي للتنمية الصناعية كثيراً ما يحجب جانباً آخر هاماً وهو الجانب الاجتماعي . وإذا كنا قد بدأنا بمعالجة الجوانب الاجتماعية لعملية التصنيع ، فليس معنى هذا أننا ننكر أهمية الجوانب الاقتصادية والفنية . فالواقع أن عملية التصنيع عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات ذات طبيعة فنية واقتصادية واجتماعية . كما أنه لا يمكن وضع حد فاصل بين معوقات التنمية الصناعية بجوانبها الثلاث : التكنيكية والاقتصادية والاجتماعية فكثيراً ما تتداخل وتتفاعل هذه المشكلات مع بعضها البعض ، كما يؤثر بعضها في البعض الآخر . ولذلك نجد أنه من الصعب وضع حدٍّ فاصل بين مشكلات التنمية الصناعية ، أو وضع تصنيف جامد أو صارم لهذه المشكلات في قوائم محدّدة (٢) .

---

(١) انظر – فاروق محمد العادلي ، المعوقات الاجتماعية للتنمية الصناعية بالتطبيق على بعض الأقطار العربية ، بحث قدم وألقى ونوقش في المؤتمر الأول لعلماء الاجتماع العرب الذي عقد في بغداد في الفترة من ٢ – ٦ فبراير ، ١٩٨٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨ .

ولما كان تكامل المجتمع يقاس بالانتاج الاقتصادي من ناحية ، وبالرفاهية الاجتماعية من ناحية أخرى ، فإنا نعرض هنا للمعوقات الاقتصادية للتنمية الصناعية مبرزين أن التنمية الصناعية هي جزء من عملية التنمية الاقتصادية ، والتي هي بدورها جزء من عملية التنمية الشاملة بصفة عامة . ولا يستطيع أحد أن ينكر أن التنمية الاقتصادية تعد أهم وأخطر هدف عملي تسعى عملية التنمية إلى تحقيقه ، بمعنى أنها هي الهدف البارز لكل جهود التنمية ، وهي تستهدف في النهاية تحقيق هدف اجتماعي وهو رفع مستوى معيشة أفراد المجتمع وتحقيق العدل الاجتماعي .

ومن هنا نتفق تماماً مع آراء بعض علماء الاقتصاد ومن بينهم جيرهارد كولم Garhard Colm وتيودور جايجر Theodore Geiger حيث أوضحا في كتابهما « تنمية الأقطار الناشئة »(١) أن التنمية بمعناها الواسع ليست سوى عملية اجتماعية تستهدف تحقيق نتائج معينة يمكن وصفها وقياسها باستخدام المفاهيم الاقتصادية وهو رأي صحيح إلى حد بعيد ، وإن كان بعض الاجتماعيين يسوقون تحفظاً على جانب كبير من الأهمية ، وهي أن تلك المفاهيم الاقتصادية لا ينبغي أن تقيس فقط نمو الإنتاج القومي ، وإنما يجب أن تُحَدَّد لنا علاوة على هذا توزيعه على القطاعات والفئات الاجتماعية المختلفة .

وعلى هذا وكما أوضحنا في بحثنا السابق فإن هناك ثلاثة أبعاد رئيسية ترتكز عليها عملية التنمية الصناعية ، وهي أبعاد متشابكة ومتفاعلة التأثير إلى حد كبير(٢) .

البعد الأول : وهو خاص بالقدرات الفنية والتكنولوجية .

البعد الثاني : وهو الخاص بالقدرات الاقتصادية والتنظيمية والإدارية .

البعد الثالث : وهو الخاص بالقدرات الاجتماعية ، وتعكس بصفة خاصة البعد الثقافي والاجتماعي الواسع لعملية التنمية باعتبارها عملية تغيير

(١) انظر – Gerhard colm and Theodore Geiger, Development & the Emerging Countries, Washington, D.C., 1962, P. 49.

(٢) انظر – فاروق محمد العادلي ، نفس البحث الذي سبقت الإشارة إليه ، ص ٩ .

ثقافي موجه وإعادة بناء شامل للنظم الاجتماعية والاقتصادية القائمة .

وإذا كُنَّا في بحثنا السابق الإشارة إليه قد ركزنا على معالجة البعد الثالث ، فإن متطلبات الدراسة التكاملية لقضية التصنيع ومشكلاته في مجتمعات العالم الثالث عموماً ، تحتم أن نعالج أيضاً البعدين الأول والثاني الخاص بالجوانب التكنولوجية والاقتصادية ، آخذين في الاعتبار أن البعد الأول أو الثاني لا يمكن على الإطلاق أن يعملا بمعزل عن البعد الثالث الذي هو من أهم أبعاد عملية التنمية في كافة مجالاتها ومستوياتها (١) .

وفيما يلي عرض تحليلي لأهم المعوقات الفنية والاقتصادية التي يحتويها البعدين الأول والثاني .

المعوقات الفنية والاقتصادية للتنمية الصناعية

١ ـ الافتقار إلى موارد الثروة المعدنية أو عدم الاستغلال الاقتصادي لها :

تكون الموارد المعدنية وصناعة استخراج المعادن الهيكل المادي للاقتصاد الصناعي الرأسمالي المعاصر باعتبارها قاعدة بالنسبة لجميع فروع الصناعات التحويلية . وقد حققت جميع الدول الصناعية لا سيما الرأسمالية منها كالولايات المتحدة الأمريكية ، المانيا ، إنجلترا ، فرنسا ، إيطاليا ، كندا ، « دفعة صناعية » على أساس الخامات المعدنية الوطنية ، ثم على أساس موارد الثروات الطبيعية الأجنبية وغالباً موارد البلاد التي استعمرتها في عصر الأمبريالية ، حيث اعتمدت تلك الدول على « مخازنها من الخامات المعدنية » في البلدان النامية . إلا أنَّ عدداً قليلاً من البلدان قد استطاع أن يحقق عملية التصنيع بدون التنمية الواسعة للموارد المعدنية الوطنية أو في ظل وجود هذه الموارد بحجوم ضئيلة . وينطبق ذلك بصفة خاصة على اليابان وسويسرا وهولندا والدانمارك . وقد اعتمدت هذه الدول على احتياطياتها الذاتية ـ الضئيلة

(١) انظر ـ محمد الجوهري ، علم الاجتماع وقضايا التنمية في العالم الثالث ، وبصفة خاصة الفصل السادس : الأبعاد الثلاثة لمشكلة التنمية ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ص ٦٢ ـ ٧١ .

نسبياً ـ من الثروات الطبيعية الرئيسية . كما استخدمت هذه الدول مميزات تقسيم العمل الدولي والموقع الجغرافي المتميز من أجل التنمية اللاحقة وتكوين صناعة حديثة .

وتجدر الإشارة هنا ـ بصفة عامة ـ إلى أن مساحة الدول النامية إذا ما قورنت بمساحة الدول الصناعية الكبرى تعتبر شاسعة للغاية ولم تدرس جيولوجيا بما فيه الكفاية . وتتزايد الجهود المشتركة لبلدان العالم المتقدمة والدول الوطنية الفتية نحو الكشف عن جميع مكامن الثروات الطبيعية الممكنة . ويُمَكِّن التقدم التكنيكي وسرعة وفعالية البحث واكتشاف الثروات في أعماق الأرض من ذلك . ويلعب قطاع الخامات المعدنية دوراً هاماً في معالجة مشكلات إعادة بناء الهيكل الاقتصادي للدول النامية . ورغم أن الخامات المعدنية كثيرة ومتنوّعة في عدد كبير من الدول النامية ، إلا أن العبرة هنا بالوجود الاقتصادي لا بالوجود الجيولوجي .

وهناك صعوبات مختلفة تقوم أمام استغلال الاحتياطات المعدنية في الدول النامية منها صعوبة المواصلات وارتفاع نفقتها وقلة كمية المعروف من المعادن نظراً لأن كميات المساحة الجيولوجية لموارد الثروة المعدنية مازالت محدودة النطاق حتّى الآن ، هذا إلى الصعوبات الخاصة بالندرة في الخبرات الفنية وارتفاع نفقات أبحاث استغلال موارد الثروة المعدنية ، ويُوَجَّه جزء قليل في الوقت الحاضر من مصروفات الميزانيات الاستثمارية للبلدان الفتية النامية نحو إنشاء الطرق والجسور والمواني وخطوط السكك الحديدية الّتي تعد ضرورية لنجاح أعمال مشروعات استخراج المعادن .

وتعقد آمال كثيرة في برامج التنمية الاقتصادية للبلدان النامية على تصنيع الموارد المعدنية وعلى الصناعة الاستخراجية كقوة أساسية قادرة على ضمان معدلات مرتفعة للنمو الاقتصادي في ظروف المرحلة الراهنة للتقدم العلمي والتكنيكي . وفي بعض البلدان حيث لم تعط أهمية كبرى لاستغلال الموارد المعدنية في عهد سيادة الاستعمار ، فإن تنمية الصناعة الاستخراجية تلقى اهتماماً كبيراً في الوقت الحاضر . وعلى سبيل المثال تستهدف برامج التنمية الاقتصادية في موريتانيا ومصر والسودان معدلات مرتفعة لنمو الصناعة الاستخراجية بنسبة ١٨ ، ٢٥ ، ٢٧ ٪ على التوالي سنوياً (١) .

(١) راجع : U.N., "The Growth of World Industry 1938—1978", Monthly Bulletin & Statistics, November 1978.

وتقتصر معظم المجتمعات النامية في الوقت الحاضر على إنتاج الخامات المعدنية دون تصنيعها أو تصنيعها بشكل أولي دون إنتاج المنتجات نصف المصنوعة والجاهزة . ويسمح تصنيع الخامات المعدنية للبلدان النامية أن تحصل على أموال أكثر بكثير عما تتلقاه من تصدير الخامات غير المصنوعة أو نصف المصنوعة . كذلك فإنه عندما توضع استراتيجية التنمية الاقتصادية فلا مفر من أن تواجه البلدان النامية مشكلة تتلخص في أن مختلف الخامات المعدنية من الممكن استخدامها لإنشاء صناعتها الذاتية . ويمكن تقسيم الخامات المعدنية الموجودة في الدول النامية إلى مجموعتين أساسيتين :

المجموعة الأولى :

من الخامات المعدنية ، المعادن الكريمة والإشعاعية والنادرة ، وكذلك المعادن غير الحديدية الثقيلة مثل الرصاص والزنك والقصدير وهي للبلد النامي فقط أو بصورة رئيسية مصدر العملات الأجنبية اللازمة في مرحلة معينة من مراحل التنمية الاقتصادية ، كما تستخدم في الدول النامية بكميات محدودة للغاية في صناعة المجوهرات والصناعة الهندسية الكهربائية والسبائك المعدنية . وفي ظروف وجود سوق محدودة فإنها لا تلقى استخداماً واسعاً ، فلا يمكن أن يصنع بها آلات أو أجهزة ، أو أن تستخدم كمواد للبناء ، وعلى هذا فإن هذه المعادن لا تزال تعتبر مصدراً للتراكمات في شكل قيمي على حساب السوق الخارجية .

أما المجموعة الثانية :

من الخامات المعدنية ، معادن إنشائية مثل ، الحديد ، الألومنيوم والنحاس إلى حد ما ، فهي تستخدم بشكل متكامل كمصدر للعملات الأجنبية وكأساس مادي للصناعة الحديثة والنقل ، وكذلك كمواد بناء (الحديد والألمنيوم) .

وتعد البلدان التي تمتلك خامات المجموعة الأولى عادة في أسوأ حال . ويرجع ذلك بصفة خاصة إلى أن سوق هذه السلع في هبوط . وهذه البلدان هي بلدان أفريقيا الاستوائية وبعض بلدان آسيا (ماليزيا) وأمريكا اللاتينية (بوليفيا) .

بينما توجد بلدان المجموعة الثانية في وضع أفضل نظراً لأن سوق هذه السلع أكثر ملاءمة بصفة عامة . ونظراً للحجم الكبير للإنتاج والتصدير ، فإن أرصدة التراكمات لديها تعتبر ضخمة بما فيه الكفاية . وبالإضافة إلى ذلك – وهذا مهم – كما تشهد على ذلك تجربة الدول المتقدمة – عادة ما يصبح قاعدة لمجمع كامل من فروع تحويل المعادن وبناء الآلات . ومن الطبيعي أنه في ظروف البلدان النامية يمكن تنفيذ هذا الاتجاه كما حدث في الهند والبرازيل والمكسيك وغيرها من البلدان النامية المتقدمة نسبياً . وقد يكون هذا الاتجاه في مرحلة الدراسة بعد كما في موريتانيا ، وتعد طبقات خام الحديد الغنية في ليبيريا مصدراً لإنشاء المراكز الأولى لصناعة صهر المعادن الحديدية في غرب أفريقيا .

ومن الناحية العملية فإن عدداً قليلاً فقط من أكبر البلدان النامية مثل الهند والبرازيل تستطيع على ما يبدو وبالفعل أن تكون الهيكل الرئيسي للصناعة الثقيلة الحديثة بحيث تحقق من وراء ذلك الأثر الاقتصادي المنشود . وفيما يتعلق بالبلدان الصغيرة النامية فإن إنشاء مشروعات للصناعة الثقيلة بها من هذا النوع يتعلق إلى حد كبير بمدى التعاون داخل منطقة جغرافية معينة على أساس اقتصادي تكاملي . فمثلاً في شمال أفريقيا : « الجزائر ، وتونس ، والمغرب « يمكن أن يُصَمَّم بناء عدد من المصانع الكبيرة لإنتاج السوبر فوسفات على أساس مواطن استخراج الفوسفات الغنية جداً .

وعلى أية حال فإنه يمكن لحكومات البلدان النامية أن تلعب دوراً إيجابياً في استثمار المعادن وذلك عن طريقتين :

أولاً : توظيف رؤوس الأموال في تحسين المواصلات ومدّها إلى مناطق التعدين .

ثانياً : توظيف رؤوس الأموال في الصناعات الاستخراجية نفسها . ويمكن لحكومات تلك الدول تشجيع رأس المال الخاص على الدخول في هذا الميدان ، إما وحده أو بالاشتراك مع رأس المال الحكومي .

ومن الواضح أنه يجب عند منح امتيازات للأجانب مراعاة المصالح القومية كالنص على مدة معينة للامتياز واشتراط تدريب الفنيين الوطنيين على الأعمال الهندسية والفنية ،

وإلاّ فإنّ رأس المال الأجنبي الذي لا يهدف سوى تحقيق أكبر قسط من الأرباح سوف يستنزف الموارد الأولية الموجودة في المجتمع النامي ، ثم يتركه خاوياً من هذه الموارد وخالياً من رؤوس الأموال النقدية ومن الخبرة الفنية . ومن المستحسن ألا تمنح امتيازات خاصة للأجانب باستثمار موارد الثروة الحيوية .

٢ - النقص في استغلال خامات الوقود والطاقة :

وتشمل خامات الوقود والطاقة (القوى المحركة) الفحم والغاز والقوى المائية والبترول . ومن حسن حظ الدول النامية أن اكتشف النفط في بعضها وأصبحت تحتل مكانة خاصة في التصدير حتّى أن أوربا الغربية مثلاً تستورد أكثر من ٩٠ ٪ من النفط المستهلك من البلدان النامية بصورة رئيسية . ويكلف استيراد النفط من العالم النامي البلدان الرأسمالية المتقدمة نفقات باهظة ففي عام ١٩٦٨ ، أنفق على بند الاستيراد وهو أكبر البنود جميعاً حوالي ١٢ر٦ مليار من الدولارات أي ٧ر٩ ٪ من مجموع الاستيراد ، أو ٣٩ر٤ ٪ من جميع الواردات من العالم الثالث (١) .

ويمكن أن تستخدم خامات الوقود والطاقة (الفحم ، النفط ، الغاز) كمصدر لتراكمات العملات في حالة تصديرها ، وكمواد خام لازمة للكيمياء ، قبل كل شيء من أجل النهوض بالزراعة وتنمية الصناعة الخفيفة . ويمكن للدول النامية المصدرة للبترول أن تستخدم إيراداتها الضخمة في إنشاء فرع من فروع الصناعة يستغرق أموالاً كثيرة مثل الصناعة البتروكيميائية التي تحتل مكاناً رئيسياً في هيكل التصنيع المقبل . ويعتمد تمويل برامج التنمية الحكومية في الدول النامية بدرجة كبيرة على إيرادات قطاع البترول إلى حد كبير كما هو الحال مثلاً في الدول العربية النامية المنتجة للبترول . وعلى سبيل المثال ، ففي ليبيا حيث تزايدت نسبة صناعة استخراج البترول يضمن النفط للبلاد دخلاً سنوياً يزيد على الملياري دولار .

ويبدو واضحاً التناقض بين نسبة السكان الضئيلة للغاية في البلدان النامية المصدرة للنفط وبين النصيب المرتفع للغاية للفرد من الناتج الإجمالي ، وكذلك النمو السنوي

(١) انظر هيئة الأمم المتحدة ، عرض لوضع الاقتصاد العالمي خلال عامي ٦٩ / ١٩٧٠ البلدان النامية في الستينات . مشكلة تقدير التقدم - ١١ مارس ١٩٧١ ، ص ٥٧٩ .

الكبير في الصادرات وتؤكد الخصائص المماثلة للوضع الخاص لمجموعة مصدري الوقود السائل التقديرات التالية : ففي إحدى عشر دولة رئيسية مصدرة للبترول (تمثل ١٠ ٪ من تعداد مجموع البلدان النامية كلها) يعيش ٦٠ مليوناً أو ٥ر٣ ٪ من سكان جميع البلدان النامية(١) ، وقد كان دخلها الإجمالي من النفط عام ١٩٦٨ م حسب إحصائيات سكرتارية بعض البلدان المصدرة للبترول (الأوبك) يكون ٥ر٥ ملياراً من الدولارات(٢) . وتضاعف هذا المبلغ تقريباً خلال العشر سنوات التالية ، وقد أثبتت التجربة في كل من البلدان المشار إليها أن حوالي ثلثي إيرادات النفط تُوَجَّه عادة لتمويل خطط التنمية .

ومع ذلك فإن الدول النامية المصدرة للبترول ولاسيما (الدول العربية منها) لا توجد لديها نُسُقٌ خاصة بتمويل عملية التنمية الصناعية نتيجة للتراكمات الضخمة المتجمعة من تصدير البترول . ولكن هذا التراكم المالي الضخم الناجم عن تصدير البترول لا ينطبق فحسب إلا على عدد قليل من الدول النامية وهي الدول المنتجة للبترول فحسب ، وعلى أية حال تحاول شركات البترول الأجنبية التنقيب عن البترول في عدد آخر من الدول النامية .

أما بالنسبة للقوى المحركة فتفتقر الدول النامية إلى الاستغلال الكامل لمواردها المحركة وإلى القوة المحركة اللازمة لإدارة الآلات . فالفحم يوجد بكميات غير تجارية في كثير من الدول النامية . أما عن مساقط المياه ، فإن مساقط المياه الطبيعية لم تستغل الاستغلال الأمثل في الصناعة ، وحيث لا توجد مساقط المياه الطبيعية — كما هو الحال في كثير من الدول النامية — يتم الالتجاء إلى استخدام مساقط المياه الصناعية في توليد القوى الكهربائية وهي في الغالب الأعم محطات صغيرة تستخدم الوقود المستورد

(١) انظر : U.N. "Statistical Yearbook 1960", P. 48.
بالنسبة لأحد عشر بلداً مجتمعة يعتبر فيها النفط بند صادرات وحيد أو كبير للغاية ، فنزويلا ، العراق ، إيران ، ليبيا ، الكويت ، المملكة العربية السعودية ، الجزائر ، أبو ظبي ، قطر ، ترنيداد ، وتوباجو ، ولا تدخل أندونيسيا في المجموعة المشار إليها حيث أن النفط فيها يمثل أحد ثلاثة بنود رئيسية للصادرات .

(٢) انظر : "OPEC Bulletin". May 1969, P. 48.

لاسيما في الدول غير المنتجة للبترول ، وذلك فيما عدا مصر حيث تبرز هنا أهمية سد أسوان والسد العالي في عملية توليد الكهرباء . ولا شك أن تطور الصناعة رهن في عدد كبير من الدول النامية بالتقدم في توليد القوة الكهربائية ، ولذلك كان لزاماً على حكومات الدول النامية أن تهتم اهتماماً خاصاً بتوفير القوة الكهربائية اللازمة لعملية التنمية الصناعية .

٣ ـ مشكلات رأس المال والتمويل الداخلي والخارجي :

تعاني معظم الدول النامية في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية من أوجه القصور الضخمة في احتياجها إلى رأس المال اللازم لتحقيق أهداف التنمية في جوانبها المختلفة . ولا شك أن الاحتياجات الاقتصادية للبلدان النامية تُحَدِّدها أهدافها في رفع مستوى المعيشة . فالارتفاع في مستوى المعيشة يتطلب التوسع الكبير في الإنتاج ، وهذا يستوجب بدوره توسعاً ضخماً في الطاقات الإنتاجية . وكل ذلك يتوقف تحقيقه على إقامة وحدات إنتاجية جديدة ، واستيراد المعدات والآلات ومستلزماتها لتشغيل الوحدات الإنتاجية القائمة عند أحجامها الاقتصادية المثلى . وكذلك على تشييد الطرق والجسور ومرافق الري والصرف وغير ذلك من عناصر البنية الأساسية ، وعلى استصلاح الأراضي وزيادة إنتاجية الأراضي الزراعية ، وعلى التوسع الكمي والنوعي في الانفاق على التعليم بشتى مراحله وتخصصاته المطلوبة وعلى الخدمات الصحية ومرافقها . . . الخ .

وبالنسبة لعدم توفر رأس المال اللازم لمشروعات التنمية المختلفة ، فيمن إرجاع ذلك إلى عقبتين أساسيتين :

العقبة الأولى :

عجز الدخول المنخفضة في البلدان النامية عن تدبير ذلك القدر من المدخرات التي تغطي احتياجاتها إلى رأس المال .

العقبة الثانية :

إحجام رأس المال الخارجي عن المشاركة في الأنشطة الاقتصادية المختلفة لما سببته له بعض السياسات الماضية من خوف وعدم ثقة (كما حدث في مصر مثلاً في

السنوات الماضية حيث أحجم رأس المال الأجنبي عن المساهمة في النشاط الاستثماري نتيجة للتوقعات الاقتصادية المفاجئة والمجتمعة في بعض الأحيان مثل سياسة التأميم التي طبقت عشوائياً في بعض الأحيان ودون تخطيط سليم) .

وباستثناء الدول النامية المنتجة للبترول ، والتي لا تعاني من مشكلة رؤوس الأموال اللازم استثمارها في مشروعات التنمية المختلفة ، إلا أنه يبقى بالفعل حاجتها إلى الخبرات المختلفة في معظم فروع النشاط الاستثماري اللازم لمشروعات التنمية .

وعلى أيه حال فإن ضآلة حجم رأس المال المستخدم في عمليات التنمية الصناعية هي من المشاكل التي تواجهها الدول النامية عموماً . ونظراً لعوامل كثيرة فإن عملية تراكم رأس المال في البلدان النامية تعتبر أكثر صعوبة وتَعَقُّداً عما كان عليه الحال مثلاً في بلدان أوربا الغربية في ذلك الوقت . ذلك أن المنجزات التكنيكية الاقتصادية الحربية تستدعي الحاجة إلى نطاق أكبر من الاستثمارات لا يمكن مقارنته بما كان عليه الحال في فترة الثورة الصناعية الماضية . وقد أدَّى إلى ذلك ما حدث من تغير في هيكل الصناعة لصالح الإنتاج القومي يستغرق رؤوس أموال أكثر لوسائل الإنتاج ونمو حجوم بعض المشروعات واستخدام الآلات والمعدات الغالية الثمن ليس في المشروعات الكبيرة والمتوسطة فقط ولكن أيضاً في المشروعات الصغيرة .

وبجانب تأثير العوامل العامة لتكلفة الإنشاء الصناعي ، فإنها تزيد أيضاً بسبب عدد من الظروف الخاصة المميزة لمعظم البلدان النامية . فالحجوم الصغيرة للمنتجات وضعف تطور التخصص والتعاون والتكلفة الأكثر ارتفاعاً للآلات والمعدات والكثافة المنخفضة لاستخدام الموجودات الأساسية والحاجة لمعدلات كبيرة لرأس المال المتداول ، كل هذا من شأنه أن يزيد من استغراق الإنتاج الصناعي لرأس المال بالمقارنة بالدول الرأسمالية المتقدمة .

ولا يرتبط نمو احتياجات البلدان النامية من استثمارات رؤوس الأموال بالعوامل التكنيكية والاقتصادية فحسب ، فالحاجة إلى ضمان عمل للجماهير الواسعة من السكان القادرين عليه تعد من المتطلبات الإضافية أيضاً . ومن الخصائص المميزة للبلدان النامية

عموماً وجود عمالة مقنعة غير كاملة لا بطالة كاملة في شكلها الخارجي ، وخاصة في الزراعة وفي الإنتاج الصغير في المدن وفي مجال الخدمات . ويؤدي مثل هذا الوضع إلى نتائج اقتصادية واجتماعية وسياسية سلبية للغاية في حياة الدول الفتية المستقلة ، إذ تعاني اقتصادياتها من خسائر مزدوجة . فأولاً تنتج منتجات أقل بكثير عما كان من الممكن إنتاجه . وثانياً فإن إعالة العاطلين تعد حملاً ثقيلاً على الاقتصاد بأجمعه تزيد من خفض إنتاجية العمل الاجتماعي غير المرتقبة وتزيد من سوء الظروف المعيشية لبقية السكان . ولهذا فإن اجتذاب الأيدي العاملة غير المستخدمة استخداماً اقتصادياً أمثل إلى النشاط الاقتصادي يعتبر إحدى المهام الملحة للغاية في البلدان النامية . وعلى كل أخذت تتزايد في السنوات الأخيرة في بلدان العالم الثالث عموماً رؤوس الأموال المستخدمة في الإنتاج الصناعي . بيد أن الأولوية يجب أن تعطى لتصنيع وسائل الإنتاج وللصناعات الثقيلة عموماً في الدول النامية . ففي آسيا مثلاً وصل متوسط النمو السنوي لمنتجات الصناعة الثقيلة إلى ٥ر٨ ٪ في سنوات ١٩٦١ – ١٩٧١ ، بينما كان هذا المتوسط هو ٦ر٥ ٪ فقط في الصناعات الخفيفة (١) .

أما في الدول الأفريقية النامية فإن التركيز في برامج التنمية مازال يعتمد أكثر على الزراعة دون الصناعة عكس ما هو الحال عليه في بلدان آسيا . وحسب برامج التنمية الوطنية لمعظم البلدان الأفريقية فإنه يمكن الحكم بأن مثل هذا الوضع سيظل على ما هو لفترة طويلة (٢) . غير أن نمو الاستثمارات الصناعية يتزايد بصورة ملموسة في الدول ذات الاحتياطات الغنية من البترول والخامات المعدنية عموماً مثل ليبيا ، الجزائر ، زامبيا ، ليبيريا . وتجرى عملية تصنيع الاقتصاد بقوة أشد في الجزائر . كذلك هناك عدد من الدول تملك قدرة متزايدة في مجال الاستثمارات الصناعية ، وهي تلك الدول التي كانت تمتلك حتى قبل طرد المستعمرين طاقات صناعية كبيرة

---

(١) انظر : "Industrial Development Survey "New York, 1971, Vol. : III, P. 2, Monthly Bulletin of Statistices, August 1972, P. XVIII.

(٢) راجع : "A Survey of Economic Conditions in Africa", U.N. Year Book of International Accounts Statistics 1969.

نسبياً والتي أقدمت قبل غيرها على تشييد صرح الاقتصاد الوطني المستقل . ومن هذه البلدان مصر والعراق وتونس والمغرب وغانا . ولا يعتبر الوضع متماثلاً في هذه المجموعة من البلدان . فمن بينها تتميز مصر حيث حدثت تطورات ملموسة في هيكل استثمارات رؤوس الأموال في الاقتصاد القومي وتوزيعها داخل القطاع الصناعي . والفضل في ذلك يرجع إلى القيام بشكل متتابع بإصلاحات اجتماعية واقتصادية عميقة . غير أن العدوان الإسرائيلي قد ألحق خسارة فادحة باقتصاد مصر وخاصة بصناعتها . وقد أدت عملية إعادة إنشاء المشروعات التي دُمِّرتْ والنفقات الكبيرة من أجل تدعيم الطاقة العسكرية إلى زيادة تعقيد الحالة الاقتصادية وتخفيض استثمارات رؤوس الأموال المدنية ومع ذلك فإن استثمارات رؤوس الأموال الحكومية متزايدة ، كما يستمر إنتهاج سياسة تصنيع البلد .

أما في أمريكا اللاتينية ، فَيُعَدُّ حجم استثمارات رؤوس الأموال الموجهة نحو الصناعة غير كاف لإشباع الاحتياجات المعاصرة لتصنيع بلدان أمريكا اللاتينية . وقد نمت الصناعة هناك بشكل أبطأ مما هي عليه في آسيا وأفريقيا في السنوات الخمس عشرة الأخيرة (١) .

وعموماً فإن هناك عدداً من الظروف غير الملائمة في الدول النامية في آسيا أو أفريقيا أو أمريكا اللاتينية تؤدي إلى زيادة التكلفة غير الإنتاجية في مجال التصنيع بصفة خاصة . فيزيد من تكلفة الآلات والمغدات شروط شرائها من السوق الرأسمالية العالمية . فالمعدات تشترى غالية في شكل مجموعات صغيرة وهذا يزيد من مصروفات نقلها . ويزيد من التكلفة ذلك الاستخدام الواسع للائتمان التجاري من جانب الموردين. كما أن هناك وضعاً آخر ليس بأقل أهمية ألا وهو أن أصحاب المشروعات الوطنية ليسوا على دراية جيدة بالأسواق العالمية للمعدات ، ولهذا فهم مرغمون على اللجوء إلى خدمات مختلف أنواع شركات الوساطة والاستثمارات من الدول الرأسمالية المتقدمة ، والتي تطلب مصروفات عمولة مرتفعة للغاية عن أسعار السوق الفعلية .

(١) راجع : Monthly Bulletin of statistics, August 1972, Op. cit., P. XVI.

وتتحكم الظروف غير الملائمة لذلك لا عند شراء الآلات فحسب بل وعند تركيبها أيضاً . فهذه العملية نظراً لنقص الكوادر الوطنية تم بواسطة الأخصائيين الأجانب الذين يتقاضون مرتبات أكثر ارتفاعاً عنها في الدول الرأسمالية المتقدمة .

وقد لجأت عديد من الدول النامية إلى المصادر الخارجية (رأس المال الأجنبي) كي يساهم في عمليات التصنيع الحديثة ويدفعها إلى الأمام . ولا شك أن حاجة البلدان النامية إلى اجتذاب أكبر قدر من الاستثمارات الخارجية ترجع إلى أسباب عدة اجتماعية واقتصادية وأخرى علمية وتكنيكية . فالفرق بين حجم المدخرات المعبأة وبين الاستثمارات التي تنفذ كبيرٌ للغاية خصوصاً إذا ما طالت عملية التحطيم الجذري للتنظيم الاجتماعي والاقتصادي السابق للمجتمع وعملية تكوين الجهاز الإداري والمالي المناسب . وهذه الظروف هي من الملامح الرئيسية المميزة لمعظم البلدان النامية . ولهذا فإن التعجيل بمعدلات التنمية الصناعية وتغيير الهيكل والقاعدة التكنيكية للاقتصاد في الدول الفتية النامية قد ولّدا نطاقاً لا مثيل له من الاحتياجات التي لا تشبع من استثمارات رؤوس الأموال . كما أن هناك سبباً آخر لهذه الحاجة إلى رأس المال الأجنبي ألا وهو ضرورة شراء الآلات والمعدات والخامات والمواد بكميات ضخمة من أجل الانشاءات الصناعية من السوق العالمية .

وبصفة عامة ، فإنه يجب عند استخدام رأس المال الأجنبي في مجال التصنيع أن تراعي الدول النامية الاعتبارات الآتيـــة : —

١ — عدم إعطاء الفرصة لرأس المال الأجنبي للسيطرة على الاقتصاد القومي ومقدرات البلاد الاقتصادية ، أو استخدامه كوسيلة للضغط السياسي أو التفريط في استقلال البلد .

٢ — عدم السماح بتسلُّل الاحتكارات في ميدان الصناعة ولاسيما في ميدان الصناعات التحويلية التي تلاحظ في الفترة الأخيرة بصفة خاصة وذلك في غمرة صراع تلك الاحتكارات من أجل الحفاظ على تأثيرها في البلدان النامية وتكوين مجالات جديدة للتوظيف المربح لرأس المال .

٣ - اشتراط منح تسهيلات خاصة من أجل استيراد الآلات والمعدات والخامات والمواد الضرورية للنهوض بالصناعة الوطنية .

٤ - توجيه توظيف رؤوس الأموال الأجنبية إلى مجالات التنمية التي تحتاج لها فعلاً اقتصاديات البلدان النامية ، لأنه من الملاحظ أنه عند اختيار مجال التوظيف فإن رأس المال الأجنبي يسترشد بمصالحه الذاتية فحسب .

٥ - لا يجب أن يشغل رأس المال الأجنبي المراكز الحساسة في الاقتصاد بصورة تسمح له بأن يتدخل في السياسة الداخلية والخارجية للبلد .

٦ - السماح لرأس المال الأجنبي بالحصول على أرباح معتدلة ، كما يجب أن يساهم في التخفيف من الصعوبات المالية وإعْدَاد الكوادر الوطنية واستخدام منجزات العلم الحديث .

ولا شك أن فكرة تكوين جبهة واحدة للدول النامية المستقلة في علاقتها بالنسبة لرأس المال الأجنبي الخاص تعتبر فكرة تستحق الاهتمام ، وكذلك وضع التشريعات الملائمة وتطبيقها عملياً في تلك الدول .

٤ - ضيق نطاق السوق :

يحتل عامل السوق مكاناً خاصاً في مجموع العوامل الاقتصادية التي تؤثر على تطور التنمية الصناعية لبلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . ولا جدال في أنه كلما اتسعت السوق ، كلما كفلت مجالاً أوسع لتطوير قوى الإنتاج . وعلى العكس فإن السوق الضيقة تَحِدُّ من إمكانيات النمو الاقتصادي ، وترتبط سعة السوق بنطاق الإنتاج ، ولكن هيكل الاحتياجات الاجتماعية الذي يجد انعكاساً له في السوق على شكل « الطلب المزوَّد بقدرة شرائية » أو ما يسمى بالطلب الفعال ، لا يتحدد بالإنتاج ذاته وحسب أو بقائمة السلع المنتجة ، لأن هذا الهيكل يوجد في حالة تبعية مباشرة لتغيرات التركيب الاجتماعي للسكان ونظام توزيع الناتج الاجتماعي التي تصاحب النمو الاقتصادي . ولا يتم تكوين هذه الاحتياجات بمعزل عن تأثير البيئة المحيطة أو الخارجية ، إذ تتكون في آخر الأمر متأثرة بسياسة الدول الاقتصادية .

ونظراً للتخلف الاجتماعي والاقتصادي العام ، فإنه كثيراً ما يستهلك الشطر الأكبر من الناتج المحلي الإجمالي في الدول النامية أي في أسواقها الداخلية ، وبالتالي فإنه لا يمت بصلة إلى الطاقة الاقتصادية لأسواقها الخارجية . أضف إلى ذلك طرق الإنتاج التقليدية التي ما تزال سائدة مما يؤدي إلى إنتاجية منخفضة للعمل وبالتالي إلى الطلب الضئيل على السلع الصناعية ، ولاسيما تلك السلع ذات الأغراض الإنتاجية .

ومن الخصائص المميزة للتركيب الاجتماعي للسكان في الدول النامية عموماً ، أن استهلاك السلع ذات الاستعمال الطويل الأمد يعد امتيازاً خاصاً تقريباً للفئات الميسورة الحال من السكان . وتبين دراسة هيكل ميزانية الأُسرة في الأرجنتين مثلاً أن مجموعة السكان ذات الدخول المنخفضة لا تستهلك عملياً مثل هذه السلع . وكذلك ينخفض استهلاك السلع ذات الاستعمال الطويل بين الأُسر ذات الدخل المتوسط . أما الأُسر ذات الدخل المرتفع فتستهلك تلك السلع بنسبة ٢٠ ٪ من ميزانيتها (١) .

ولهذا فإن إمكانيات تطوير إنتاج السلع الاستهلاكية ذات الاستعمال الطويل الأمد في معظم البلدان النامية تعتبر محدودة للغاية . ومن جهة أُخرى فإن نمو إنتاجها يعني في جوهر الأمر إعادة توزيع الموارد الوطنية بشكل غير مرغوب فيه من وجهة النظر الاقتصادية وهذا أيضاً على الأقل يعد أمراً موضعاً للجدل من وجهة النظر الاجتماعية .

وجملة القول أن إمكانيات تصنيع البلدان النامية من أجل السوق – هي إمكانيات محدودة نتيجة لمستوى التطور الاقتصادي غير الكافي ، وما يصاحب هذا المستوى من عوامل اجتماعية واقتصادية (٢) . ولا شك أن القصور العام للطلب الاستهلاكي على السلع الصناعية في ظروف الانخفاض الكبير للقدرة الشرائية لجماهير السكان العريضة الذين يجتذبون إلى مجال العلاقات السلعية النقدية ، يعجل من تشبع السوق بالمنتجات الصناعية ذات الأغراض الاستهلاكية ويعوق النمو البطيء للدخول من زيادة تشكيلة

(١) انظر : UNIDO, "Development in Latin America, PP 122—124.

(٢) راجع على سبيل المثال : Eugene Staley, The Future of Underdeveloped Countries, N.Y., 1957.

السلع التي تستهلكها الفئات ذات الدخول المنخفضة ، إذ يتجه عادة الشطر الأعظم من طلبهم الفعال نحو السلع الغذائية .

نخلص من كل هذا أن ضيق السوق في الدول النامية له تأثيره البالغ في الحد من الإنماء المصنعي وبالتالي في ضعف جذب رؤوس الأموال من الخارج . وبالتالي لن تستطيع الدول النامية في المستقبل القريب بإمكانياتها المحدودة أن تتوفر لها أسواق خارجية إلا إذا توافرت لها عوامل المنافسة في الأسواق الخارجية كجودة النوع ورخص السعر وسهولة المواصلات مثل (تكوين أسطول تجاري مثلاً لحمل السلع إلى الأسواق الخارجية ونقل المواد الخام المستوردة) وهي أمور بعيدة المنال في المستقبل القريب .

وقد ثار جدل أخير بشكل واسع بين علماء الاقتصاد بشأن فكرة تخصيص البلدان النامية في إنتاج أنواع السلع الصناعية التي تستغرق المزيد من العمل البشري (١) . وحسب رأي المؤيدين لهذه الفكرة فإن الدول المتقدمة صناعياً بتركيز جهودها في الإنتاج الذي يستغرق رؤوس أموال كبيرة تستطيع أن تحرر أسواقها من أجل المنتجات التي تستغرق المزيد من العمل البشري والتي تنتجها البلدان النامية لتضمن بذلك الشروط الضرورية للنمو الأكثر كثافة للإنتاج والصادرات في تلك المجموعة الأخيرة من البلدان . والحجة التي تساق لتبرير ذلك التخصص في العمل بين الدول المتقدمة صناعياً والدول النامية عادة ما تؤكد استناداً على الفروق القائمة في درجة التقاء هذه البلدان من الموارد البشرية والمالية . غير أن إعطاء هذه الفكرة صبغة مطلقة يعتبر بمعناه الموضوعي معادلاً لتثبيت الوضع غير المتكافئ لمجموعة الدول الأقل تقدماً في السوق العالمية .

---

(١) وكذلك : United Nations, "Processes and Problems of Industrialzation in Underdeveloped Countries," 1955.

Unido "The Need for an Export Oriented Pattern of Industrialization", P. 11 (TD/Conf. 1/56).

٥ ـ عدم تطبيق الأسلوب العلمي في مجالي الإدارة والتنظيم والافتقار إلى برامج التخطيط المنظم للتنمية الصناعية :

لقد أصبح الأسلوب العلمي سمة من سمات العصر الحديث الذي نعيشه ، واهتمت كل الدول التي تسعى للتقدم بتطبيق الأسلوب العلمي في الإدارة والتنظيم على كافة أعمالها ، باعتباره نظاماً ضرورياً لتحقيق النتائج المستهدفة لتنمية المجتمع اقتصادياً واجتماعياً .

ويعتمد هذا الأسلوب على دراسة الأعمال بأسلوب تحليلي يستهدف التعرف على ظروفها وإمكانياتها ونتائج تحقيقها والبدائل المتاحة لها ، ثم وضع خطة لتنفيذ هذه الأعمال وتحديد الفترة الزمنية لذلك والموارد المطلوبة لتمويلها ، ومتابعة التنفيذ وتقييم الأداء ومعالجة الانحرافات التي تحدث في الأداء عن الخطة الموضوعة أو تعديل الخطط والبرامج إذا اتضح عدم إمكانية تطبيقها .

ودور التنظيم في ذلك هام للغاية ، لأنه يكفل الاستخدام الأمثل لعوامل الانتاج الأخرى ، بما يحقق أفضل النتائج بأقل التكاليف وبأسرع وقت ممكن . والتنظيم الجيد يستتبع أن تكون النظم التي توضع للأعمال متلائمة مع ظروفها وإمكانياتها ، فمثلاً يتم تجميع أوجه النشاط المتشابهة معاً بهدف التنسيق بينها وخفض تكلفتها ، كما أنه يتم تقسيم أوجه النشاط وتجزئتها حسب الوظائف المختلفة وحسب المناطق المتعددة أو غير ذلك . فضلاً عن أنه من الضروري وضع ضوابط واضحة للأعمال والأنشطة المختلفة ، وتحديد العلاقة بوضوح فيما بين القيادات والأجهزة التنفيذية ، وأن تكون المسئولية على قدر السلطة الممنوحة .

ومن ناحية أخرى فقد أثبت تطور نظم الإدارة الحاجة إلى تطبيق اللامركزية في الأعمال المختلفة ، والتخفيف من أسلوب المركزية الذي كان سائداً فيما مضى ، وذلك لإعطاء المرونة الكافية لسرعة التنفيذ مما يترتب عليه اختيار أنسب الطرق لتنفيذ الأعمال المختلفة بأقل التكاليف .

ويتجه الأسلوب العلمي في الإ دارة والتنظيم (١) إلى الاهتمام بالناحية الإ نسانية — لما لها من أثر مباشر على القيام بالأعمال المطلوبة وتحقيق النتائج المستهدفة ، ويتم ذلك عن طريق العمل على توافق المسئوليات مع مقدرة الأفراد وتوافر المرونة اللازمة في إنجاز الأ عمال المختلفة ، والعمل على تشجيع الكفايات والاستفادة بالطاقة المتاحة إلى أقصى حد ممكن .

أما فيما يتعلق بالافتقار إلى برامج التخطيط المنظم للتنمية الصناعية ، فمن المعلوم أن التصنيع هو سياسة اقتصادية واجتماعية معاً . وهذه السياسة يجب أن تتم طبقاً لخطة محددة الأ هداف ، أي على أُسس تخطيطية شاملة . وإذا كان الاقتصاديون يعدون التصنيع نشاطاً هادفاً لقطاع من الاقتصاد العام ينحصر فيما يعرف بالإ نتاج الصناعي ، أو ينظرون إليه كعملية تتسع بها القدرة الصناعية وتمتد وتزداد بها إنتاجية الفرد في القطاع الاقتصادي (٢) ، فإن الاجتماعيين يرون أنه عملية اجتماعية شاملة ذات بداية ، وتسير في حلقات كبرى متدرجة ومرتبطة بعضها ببعض ، وتكون كل حلقة فيها بدورها عملية فرعية بذاتها . فالتصنيع سياسة توجه النشاط الصناعي وفق خطة مرسومة لتحقيق أهداف يمكن بلورتها في هدف اجتماعي نهائي أسمى هو رفع مستوى المعيشة بحيث يحصل الفرد على أوفى قسط من النعيم والراحة الجسمية والنفسية. كما أن التصنيع من أهم العوامل التي تحدث تغيراً دائماً في حياة الإ نسان الثقافية التي تتبلور في شكل مفاهيم وقيم وعادات وأعراف وتقاليد ونظم ومثل تتداخل جميعها في تكوين الإ طار الحضاري الكلي الذي يربي فيه الفرد تربية اجتماعية (٣) ، وعلى العموم ، فإن التصنيع عامل أساسي فيالتغير الاجتماعي الذي يشمل النواحي المادية المرتبطة بوسائل الإ نتاج والسلع المصنوعة ، وذلك نتيجة التغير التكنولوجي الذي تحفزه وتُقَوِّيه السياسات الصناعية الهادفة . كذلك نجد أن التصنيع عامل أساسي

(١) انظر ، على عبد المجيد عبده ، الأصول العلمية للإدارة والتنظيم ، الجزء الأول . مطبعة التقدم ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

(٢) انظر— Gunar Myrdal, Economic Theory and Underdeveloped Regions, 1969.

(٣) انظر البحث الذي قدمه حسن الساعاتي إلى المؤتمر الحادي عشر للشئون الاجتماعية والعمل بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية بعنوان « آثار التصنيع في البيئات الحضرية العربية ، ١٩٦٧ م .

في تغيير كل أنواع الجماعات الأولية كالأسرة مثلاً وزمرة الرفاق في العمل والجماعات الثانوية كالأندية مثلاً . كما أحدث التصنيع تغييرات جوهرية في النواحي الفكرية المتصلة بألوان التنظيم الجديدة المختلفة والعادات والتقاليد المرتبطة بالاستهلاك والقيم المتبلورة حول المستحدث من المفاهيم والنظم والمخترعات وموقف الناس من العمل والاشتغال في المصانع ، والتدريب في الإنتاج لرفع الكفاية الإنتاجية للعمل . وهكذا نرى أن التصنيع بهذه الصورة وبهذه الآثار ، تنشئة اجتماعية كبرى شاملة . فهو عملية تكيف دائب ذي طبقية جد معقدة .

لكل هذه الآثار التي يحدثها التصنيع ، فقد احتل مركز الصدارة في خطة التنمية وأصبح هناك حاجة ماسة لارتكاز التصنيع على أسس التخطيط العلمي الشامل . ويُعَدُّ التخطيط في الواقع من أهم خصائص التصنيع الحديث . وهو الذي يميزه عن مجرد النشاط الصناعي الارتجالي الذي يتسم بالفردية ، وعدم الترابط أو التكامل . والتخطيط مرحلة عملية لاحقة لمرحلة التصورات الفلسفية أو رسم السياسة العامة ، أو وضع الإطار العام لمستقبل الحياة الاجتماعية والاقتصادية وبالتالي السياسة في المجتمع . وهو مرحلة تحديد الأهداف ، ووضع أولويات لها ، ورسم المناهج الموصلة إلى هذه الأهداف رسماً واضحاً ، وتحديد الوسائل العلمية الممكن استخدامها لتحقيق الأهداف المرسومة . ويقتضي ذلك التدرج في التنفيذ بوضعه على « أساس فترة » وتحدد كل فترة عادة بخمس سنوات ، باعتبار هذه المدة متوسطة فلا هي بالقصيرة التي لا تسمح بالتنفيذ الكامل السليم للمشروعات ، ولا هي بالطويلة التي تحتاج إلى الانتظار وتبعث على التهاون والتكامل . ويتضمن التخطيط الاستنفاذ الكلي لجميع الطاقات المادية أو البشرية وترتيب أولويات التنفيذ على أساس سليم . وقد نجح التخطيط سواء في الدول الاشتراكية أو الرأسمالية التي جعلته أساساً لتنفيذ سياساتها وتحقيق أهدافها الاقتصادية والاجتماعية (١) .

---

(١) المرجع السابق وكذلك انظر : عبد المغني سعيد ، السمات والأهداف الاجتماعية للتخطيط الاقتصادية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، سليمان عطية مهدي التنمية الاقتصادية ومشاكل التخلف ، مذكرة داخلية ، معهد التخطيط القومي ، القاهرة ، فبراير ١٩٧٣ م .

ومن هنا ، يتحتّم على بلدان العالم النامي ضرورة التخطيط المنظم للتنمية الصناعية وإعداد البرامج اللازمة لها ، حيث يفتقر معظمها لوجود خطط اقتصادية قومية للتصنيع . ولا شك أن تقدم حركة التصنيع رهن بوضع تلك الخطط الوطنية المنظمة . ومن أهم المزايا التي تترتب على رسم سياسة تصنيعية واعية ما يأتي :

١ – البدء بالصناعات الأهم ، وعدم ازدواج أو تكرار المصانع التي من نوع واحد دون مبرر معقول . ولذلك يجب الاهتمام بترتيب الصناعات حسب وزنها في الاقتصاد القومي .

٢ – توجيه عناصر الإنتاج (العمل ، رأس المال ، الموارد الطبيعية ، التنظيم) إلى الميادين المطلوبة بالنسبة اللازمة .

٣ – ضمان معاونة رأس المال الحكومي مع رأس المال الخاص في انسجام تام .

٤ – تحقيق التعاون بين رأس المال الوطني والأجنبي على أسس قومية خاصة وكفيلة بالنهوض بالصناعات القومية .

٥ – تحقيق اطّراد حركة التصنيع وارتفاع معدلها .

وفي ضوء ما سبق بيانه ، يستلزم أن يكون هناك جهاز متخصص مسئول عن التخطيط القومي لعمليات التنمية في بلدان العالم الثالث . كذلك يجب اعتبار التنمية الاجتماعية والاقتصادية ظاهرة متكاملة على المستوى القومي ، وأنها عملية تغيير للأنماط التقليدية في الأبنية الاجتماعية والاقتصادية فهي تغيير للإنسان ، ومن هنا فلابد من العناية بالتنبؤ للآثار الاجتماعية الناجمة عن التنمية وخصوصاً في فترة الانتقال والتغير الجذري الذي تمر به المجتمعات النامية : التغير والتحول من مجتمعات قبلية تقليدية تعتمد على اقتصاد زراعي متخلف إلى مجتمعات حضرية تعتمد على اقتصاد يقوم على التصنيع والزراعة الآلية .

٦ – مشكلات البنيـــة الأساسية (النقل والمواصلات) :

تلعب المواصلات دوراً جوهرياً في التطور الاقتصادي ، فهي تؤدي إلى خفض

نفقات الإنتاج وزيادة المنفعة ، وبمعنى آخر زيادة الإنتاج . ولا شك أن النقل فيه خلق للمنفعة المكانية لأنه ينقل السلع من المنطقة التي تزيد فيها عن الحاجة إلى حيث تكون مطلوبة .

والواقع أن المواصلات في أغلب الأقطار النامية لم تتطور بالشكل الذي يتناسب مع التطور الاقتصادي سواء في ميدان الزراعة أو الصناعة . ولا شك أن عدم تطور المواصلات بصورة حديثة والارتفاع النسبي لمصاريف النقل تشكل عائقاً لعملية التنمية الصناعية ، وتطوير قوى الإنتاج بصفة عامة . ويعتبر نقص سبل ووسائل النقل فيما بين مناطق الإنتاج وأماكن الاستهلاك أو التصدير من أهم المؤثرات سواء على تسويق الحاصلات الزراعية أو المنتجات الصناعية . فمن الملاحظ نقص طرق النقل البري الداخلية في معظم الدول النامية ، وعدم اتصال هذه الطرق في بعض المناطق — وبخاصة في المدن الصغرى والقرى اعتماداً على النقل بالحيوانات . ويترتب على كل ذلك نقص الكفاية التسويقية للحاصلات الزراعية والمنتجات الصناعية في هذه المناطق ولاسيما الحاصلات سريعة التلف منها .

ويلاحظ أن الطرق التي تربط ما بين القرى والأسواق المحلية في معظم المجتمعات النامية مازالت في كثير من المناطق طرقاً ترابية أو رملية . وهذه الطرق تتوقف فيها حركة المواصلات بمجرد سقوط الأمطار أو هبوب العواصف . ويصبح الاعتماد على النقل بالسيارات من الخطورة بمكان ، ومن المشاهد كذلك في بعض المجتمعات النامية أن الطرق المرصوفة غير مستكملة وخاصة في المناطق الصحراوية .

ومن ناحية أخرى فإن خطوط السكك الحديدية غير متصلة بالقرى أو بالأسواق الداخلية مباشرة . كما أن هذه الوسيلة مازالت غير مستكملة حتى في المناطق الرئيسية وتعتبر كفايتها منخفضة . ويضاف إلى ذلك عدم امتداد السكك الحديدية حالياً امتداداً يكفي لمواجهة التوسع سواء في الإنتاج الصناعي أو الإنتاج الزراعي المنتظر في المستقبل . وبذلك فإنه يصبح من الضروري دراسة هذا الجانب من وسائل النقل لأهميته البالغة ، بحيث توضع له الخطط التي تحقق مسايرته للتقدم الاقتصادي مستقبلاً وبحيث لا يكون النقل بالسكك الحديدية عقبة في طريق هذا التقدم . كذلك يجب

أن تهتم البلدان النامية بمشكلة النقل الجوي والنقل المائي . ولا يمكن أن يصبح النقل الجوي وسيلة مواصلات تجارية إلا إذا كانت الحمولة كاملة ، فضلاً عن ضمان أسعار مجزية للمنتجات تُعَوِّض التكاليف المرتفعة لهذا النقل . أما بالنسبة للنقل المائي ، فإن طول مدة الشحن وتكاليفه تعتبر عائقاً في سبيل عملية التسويق بكفاية مناسبة ، لاسيما إذا أخذنا في الاعتبار أن بعض وسائل النقل المائي ترجع بدون حمولة بسيطة ، مما يضاعف تكاليف النقل بهذه الوسيلة .

وفي ضوء ما سبق فإنه من الأُمور الحيوية الواجبة أنه يجب أن تتم دراسة العقبات الفنية التي تحول دون استخدام وسائل النقل هذه استخداماً اقتصادياً ، والعمل على التنسيق فيما بينها بهدف توفير الجهود الضائعة ، والعمل على استخدام الوسيلة التي تناسب كل نوع من المنتجات الصناعية .

موقف الأديب بين الحرية والإلتزام

الدكتور
ماهر حسن فهمي
أستاذ بقسم اللغة العربية

الالتزام هو موقف يتخذه الأديب ، واعتقاد يدين به ، ونظام يجاهد له . وبعبارة أوضح هو دعوة سياسية ينادي بها ، أو مبدأ أخلاقي يتبناه ، أو عقيدة دينية يتولى الدفاع عنها وتخترق شعره . ومنذ القدم حاولت السياسة أن تستغل الشعر ، وحاول الدين أن يوجهه وحاول الفلاسفة أن يلزموه الغاية الأخلاقية (١) ، والدليل على ذلك أن هذه القضية لهج بها المصلحون ورجال السياسة والأخلاق أكثر من النقاد الذين عرضوا لها . وقد تجمعت هذه الروافد واتجهت إلى تيارين واضحين ، الأول تيار الالتزام الأدبي ، والثاني تيار الحرية الأدبية . ومن البين أن هناك فارقاً بين الالتزام وبين الإلزام لأن الالتزام يعني الاختيار أولاً ثم تبنى وجهة نظر بعد ذلك ومن هنا رأينا عند نشأة الأحزاب السياسية في العصر الإسلامي جريراً في جانب الأمويين والكميت في جانب الهاشميين وعبيد الله بن قيس الرقيات في جانب الزبيريين وقطرى بن الفجاءة بجانب الخوارج . ومن المؤكد أن كلاً منهم كان يرى الحق

(١) منذ أفلاطون بدأت الدعوة إلى غاية خلقية تربوية للشعر (النقد الأدبي الحديث لمحمد غنيمي هلال ص ٤٨١ .
أما الالتزام الديني فتتضح ملامحه في توجيه الرسول عليه السلام لشعر حسان : « اهجهم وروح القدس معك » (العقد الفريد جـ ٥ ص ٢٩٤) وبلغ الأمر ذروته في الالتزام السياسي بظهور الواقعية الاشتراكية ودعوتها الأدب للحياة (الجمال في تفسيره الماركسي بسكين ص ٢٠٢) .

في جانبه . ولكن الدارس لهذا الموضوع يجد الفارق بين الالتزام والإلزام يضيق والفواصل والحدود تكاد تذوب تحت ضغوط كثيرة بحيث يصبحان وجهين لعملة واحدة . والمتتبع لحياة شعراء هذا العصر مثل ولي الدين يكن وخليل مطران وأحمد شوقي وبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي والجواهري في شرقنا العربي وباسترناك وفكتور هوجو وازرا باوند في الغرب يجد ما تعرضوا له من نفي وتشريد بسبب فكرة أو موقف .

ولتوضيح أبعاد التيارين تيار الحرية الأدبية وتيار الالتزام يحسن عرض وجهة نظر كل منهما في هذا الشأن . والفكرة الأولى لدى الالتزاميين تدور حول فهمهم الخاص لوظيفة الأدب بصفة عامة فالأدب وسيلة لا غاية ، وسيلة عظيمة إلى غاية أعظم هي تحقيق حياة أفضل . وهم هنا يلتقون مع أفلاطون الذي كان يرى خطورة الشعر باعتباره فناً يستثير العاطفة الإنسانية مما قد يدفع الشباب إلى اتجاهات غير مرغوبة في مجتمع ينبغي أن يحكم العقل ، ومن هنا نفى الشعراء من مدينته الفاضلة خوفاً منهم ومن تأثير شعرهم . ودور الأدب أشبه بالمدفعية الثقيلة يمهد الطريق للتغيرات ، وقد مهد الطريق لتغيرات تاريخية في فرنسا وروسيا (١) ، وفي مصر . والقارئ لديوان « إصرار » لكمال عبد الحليم « والمعذبون في الأرض » لطه حسين وغير ذلك من المقالات التي كانت تكتب في الأربعينات يدرك دور الأدب في حركة التطور في مصر ، وهكذا الشأن في بقية الأمم . ومادام الأدب له هذا الدور فلا ينبغي لحامل المدفع أن يطلق كل ما فيه من قذائف كيفما اتفق أو دون إصابة هدف ، حيث يكتفي حامل المدفع بما يحدثه صوت الدوي ومنظر اللهب من نشوة عبثية لا تزيد على نشوة الأطفال . فليس ثمة حرية مطلقة ، بل هناك حرية مسئولة تستمد كل مبرراتها من خدمة المجتمع وفي هذا الصدد يقول أحد النقاد (٢) : « إن واحداً من الملامح الهامة في أدبنا الحديث أنه يخوض صراعاً عنيفاً ضد عدو حقيقي ما يزال قائماً » ضد اللا اكتراث واللا إحساس . إن الفن ينبغي أن يكون فناً موجهاً ، لأن الفنان جزء صغير في آلة كبيرة ، وليس هناك جزء غير قابل للاستبدال « ولذلك

(١) راجع في الأدب والنقد لمحمد مندور ط ١٩٤٩ ص ٣٦ .

(٢) مواقف وقضايا أدبية لسهيل ادريس ص ١٧٢ / ١٨٠ .

فمن الخطأ الظن أن الشعر شيء مقدس أو شيء مجرد ولا يجوز له أن يمس الواقع ثم يتعمقه ، ومخطئ من يتصور رسالة الفن بعيدة عن ملابسات الحياة ، رسالة الفن بصفة عامة ينبغي إذاً أن تخضع للعقيدة وأن تلزم الأخلاق سواء أكانت رؤية الفنان خاصة أم عامة ذاتية أم موضوعية ، لأن إبداع الفنان وسيلة إلى الغاية العظيمة .

والفكرة الثانية تتصل بالأولى ولكنها تتحدث بتركيز عن علاقة الأدب بالمجتمع ، فالمجتمع لم يخلق من أجل الفنان ، ولكن الفنان هو الذي خلق من أجل المجتمع ، فينبغي أن يوجه فنه لخدمته وهنا يعانق الفن الحياة ، وبذلك الارتباط العضوي نتجنب الانفصال بين الفن والمجتمع ذلك الانفصال الذي يعزل الفن عن الحياة ونشاطاتها . والفن بهذا المعنى نموذج خاص من نماذج الإنتاج الاجتماعي وإن كان يخضع لقوانين الإنتاج ولذلك فإن الشكل الجميل يكتسب قيمته من الفكرة . فالشعر إذاً على هذا الأساس أصبح سلعة وأصبح الشاعر مورداً للسوق ، وقد قل الطلب على بضاعته وما اهتمام رجال الأعمال بالشعر ؟ لم يعد الشعر عمل أفراد ، ولكنه عمل مجتمع ، بمعنى أن الشاعر الذي لا يحاول تحديد أهداف فنه من أجل خدمة الجماعة ، فإنه لن يجد لشعره منشداً كما يقرر الواقعيون .

إننا لا يمكن أن نكون في مرحلة بناء ، وهذا الشاعر يتحدث عن أزمته الخاصة مثلاً ، إنه بذلك يكون قد انفصل عن المجتمع ومشكلاته ، أو يكون قد خرج على أعراف المجتمع وتقاليده السائدة ، لأن الفن الخالص والفن الفارغ شيء واحد كما يقول « سارتر » . إن كل علوم العالم ، الطب ، والهندسة ، والكيمياء لا تستطيع أن تحرك إنساناً مغلوباً ليقاوم غاصبه ، ولكن قصيدة أو مسرحية أو خطبة تثيره وتفجر طاقاته . والأديب معلم قوم ، ومن هنا يرى الإصلاحيون أنه ينبغي أن يكون داعية فضيلة ، لأن الأدب المكشوف والعرى سيان . وهي نظرة قريبة من نظرة أرسطو في الأدب التي بلورها فيما أسماه التطهير بإثارة عاطفتي الخوف والشفقة في المسرحية . وعاطفة الخوف تمثل أقصى الانقباض في العواطف الإنسانية وعاطفة الشفقة تمثل أقصى الانبساط نحو الغير وعن طريق حركة الانقباض والانبساط نتخلص من آثامنا ونعود إلى المجتمع أفراداً أصحاء من الناحية النفسية .

وإذا كان أرسطو قد رأى أن الشعر يصور « ما ينبغي أن يكون » أو بعبارة أخرى لا يصور الحقيقة الحرفية وإنما يقدم لها مقابلاً حياً دالاً ، « فإن ما ينبغي أن يكون » عند غيره قد تحول مدلولها إلى القوانين الأخلاقية وأصبحت ذات مضمون تعليمي . لأن الشعر من وجهة نظر بعض المفكرين يحتل مرتبة أعلى من المرتبة التي تحتلها الفلسفة أو التاريخ . فالفلسفة من طبيعتها التعريف والتحليل وهي تعالج موضوعاتها العامة وتصل إلى نتائجها الخاصة عن هذا الطريق ، والتاريخ يهتم بالغاية العملية لا النظرية وهو لا يستخدم الحجة المجردة للوصول إلى الأهداف التعليمية ، وإنما يستخدم المثال الخالص المحسوس المستمد من الحياة . ولكل واحدة من طريقتي الفلسفة والتاريخ عيوبها فالفلسفة تصعب على الإدراك ، وتتصف بالغموض ، لأنها تعالج المجردات ، ولذلك فهي مرشد فقير للشباب ، وهي شائقة فحسب لهؤلاء الذين هم على قدر من المعرفة . كذلك فإن التاريخ في عنايته بالأمثلة المحسوسة إنما يقدم أمثلة عملية تنبع منها الحقيقة العامة ولكن على نحو من الغموض لما في طريقته من الجزئية وعدم الشمول . أما الشعر فيجمع العناصر الجيدة في كل من الطريقتين حيث يقدم الحقيقة العامة التي هي غاية الفلسفة وهو يقدمها في أمثلة خاصة حية ومحسوسة كما يفعل التاريخ . وقد أصرت هذه الدعوة على الوظيفة الأخلاقية للأدب باعتبارها مسألة أساسية لا يكمل معنى الأدب إلا بها وعلى الأديب طبقاً لهذه الدعوة أن يوزع أنواع الثواب والعقاب على نحو يجعل الخير دائماً مثاباً ويسلم إلى مزيد من الخير ، ويجعل الشر دائماً معاقباً ويسلم إلى مزيد من العقاب ، وذلك من شأنه أن يشجع على الخير ويثبط عن الشر على الرغم مما هو واضح أن الحياة ليست مقسمة على هذا النحو الذي يرجى أن يكون(١) هذه أهم حجج أصحاب الالتزام باتجاهاته ومدارسه .

وقد كثر الحديث في هذه الأيام عن الظواهر المريبة في الأدب العربي الحديث ، وتناول الذين عرضوا لها أعلام الأمة ومفكريها وشعراءها . ولكنهم جرحوا أكبر المفكرين والشعراء ودفعونا للشك بهم جميعاً ، ولم يذكروا النواحي الإيجابية والسلبية لتكون الرؤية أكثر وضوحاً . وهي وجهة نظر بعض أصحاب الالتزام الذين رأوا في التيار الذي حاول عقلنة حياتنا المعاصرة في مرحلة احتكاك الحضارتين الغربية والشرقية

(١) راجع في نقد الشعر لمحمود الربيعي (القاهرة ١٩٧٧) ص ٤٣ وما بعدها .

إسرافاً ، ورأوا في شعرنا الحديث مظاهر انخلاع من الجذور أو خروج على القيم والأعراف . والدعوى جذابة لأنها تضرب على وتر حساس ، والقضية لها جانبان جانب إيجابي وجانب سلبي ، بمعنى أن الأديب ينبغي أن يلتزم في فنه وهذا هو الجانب الايجابي ، والآخر أنه إذا لم يلتزم فلا ينبغي أن نرى في أدبه ما ينافي الأعراف والقيم والمثل ، قيم الحق والباطل والخير والشر والجمال والقبح ، أو ربما كان من الأفضل أن يصمت . ومما لا شك فيه أن هناك تعانقاً بين الذات المنتجة للفن وبين اتجاهات البيئة فكرياً وحضارياً وهو تعانق مختلف التأثير حسب درجة حساسية الفنان ووضوح رؤيتــه .

على أن الأمر برمته له وجهة نظر أخرى كما قلنا هي وجهة نظر أصحاب حرية الأديب ولكي ندرك أبعادها نستعرضها فكرة فكرة . أما الفكرة الأولى فتتناول موقف النقــاد العرب لأن القضية تمتد إلى تاريخنا الأدبي ونجد أُصولها منذ أكثر من ألف عام ، وقد ناقشوها كما نناقشها وقالوا كلمتهم .

من الواضح أن أجدادنا قد فرقوا بين القول وبين الفعل ، وقصيدة حسان ابن ثابت التي مدح بها الرسول عليه السلام والتي مطلعها « عفت ذات الأصابع فالجواء » بها أبيات في الخمر يقول فيها :

ونشربهــا فتتركنا مــلوكا وأســداً ما ينهنهنــا اللقــاء

ولكن الرسول عليه السلام كان يدرك أن ذلك تقليد فني ليس غير ، تماماً كمقدمة كعب بن زهير : « بانت سعاد » .

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متـيم إثرها لم يفــد مكبــول
هيفــاء مقبــلة عجــزاء مدبرة لا يشتكى قصر منها ولا طــول

وقصة ابن عباس مع نافع ابن الأزرق مشهورة ، حين قال له : الله الله يا ابن عباس ، نضرب إليك أكباد الإبل نسألك عن الحلال فتتشاغل عنا وتتثاقل ، ويأتي هذا الفتى القرشي المترف – يعني عمر بن أبي ربيعة – فتنصرف إليه وتسمع شعره

وتستعيده ، لكأني بك قد حفظت قصيدته قال ابن عباس : فإني قد حفظتها وإن شئت أسمعتك إياها . قال نافع : فإني أشاء ، فأسمعهُ ابن عباس القصيدة (١) .
وسئل ابن عباس : هل الغزل من رفث القول ؟ فأنشد قول الشاعر :

وهن يمشين بنـا هميسـا ان تصدق الطـير ننـل لميسـا

ثم احـرم للصلاة (٢) .

ولله در أبي حنيفة حين رأى عدم الحجر على السفهاء لأنه إهدار لآدميتهم وإلحاق لهم بالبهائم (٣) . هناك ناقدان عرفا في الحجاز بنسكهما وفضلهما ومكانتهما الدينية والاجتماعية ، هما أبو السائب المخزومي وابن أبي عتيق ، جعلا من الغزل تعبيراً حضارياً مشروعاً ، فكانا يشرحان معانيه ويجادلان فيه . يقول ابن رشيق : « كان أبو السائب المخزومي على شرفه وجلالته وفضله في الدين والعلم يقول : أما والله لو كان الشعر محرماً لوردنا الرحبة كل يوم مراراً (وهو موضع إقامة الحدود) (٤) وكانت عقيلات قريش مثل عائشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وفاطمة بنت عبد الملك يجلسن للمفاضلة بين شعراء الحجاز(٥) . ولا نستطيع أن ننكر هذه الروايات وإلا لامتد بنا الأمر حتى أنكرنا كثيراً من تراثنا الأدبي وغير الأدبي . ولعل في وجود الأخطل شاعراً للخلافة الأموية فترة حكم عبد الملك بن مروان ما يوضح الفصل بين الشعر والدين ، وفي تفضيل النقاد له على جرير والفرزدق في كثير من الأحيان ما يوضح هذا المدلول .

ويقول قدامة بن جعفر في كتابه « نقد الشعر » ، معقباً على أبيات امرئ القيس (فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع . . .) « البعض يذكر أن هذا معنى فاحش ، وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يعيب جودة الشعر فيه (٦) » . وابن طباطبا معجب كثيراً بهذه الأبيات من الناحية الفنية :

---

(١) الأغاني جـ ١ ص ٧٢ (طبعة دار الكتب بالقاهرة) .
(٢) العمدة جـ ١ ص ٣٠ (القاهرة ١٩٥٥) .
(٣) المحلى جـ ٩ ص ١٧٣ كتاب الحجر) .
(٤) العمدة جـ ١ ص ١٧ .
(٥) الأغاني جـ ٧ ص ٣٨ .
(٦) نقد الشعر ط . القاهرة ص ٤ .

قد صف في كاساتها صور حلت — للشاربين بها كواعب غيدا
فإذا جرى فيها المزاج تقسمت — ذهبا ودرا توأما وفريدا
فكأنهن لبسن ذاك مجاسدا — وجعلن ذا لنحورهن عقودا

وقال عنها : فهذا من ابدع ما قيل في هذا المعنى وأحسنه (١) .

ويقول ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة : « إن صناعة التأليف في المعنى القاحش ، مثل الصناعة في المعنى الجميل ، ويطلب في كل واحد منها صحة الغرض وسلامة الألفاظ على حد واحد . وليس لكون المعنى فاحشاً أو جميلاً تأثير في الصناعة » (٢) . فإذا أدهشنا كيف يكون أصل من أصول الأخلاق غير معيب مخالفته في الشعر أدهشنا أكثر من هذا قول القاضي الجرجاني في الفصل بين الدين نفسه وبين الشعر : « فلو كانت الديانة عاراً على الشعر لوجب أن يمحي اسم أبي نواس من الدواوين ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبعرى وأضرابهما ممن تناول رسول الله ﷺ وعاب من أصحابه بكما خرصا ، ولكن الأمرين متباينان ، والدين بمعزل عن الشعر . » (٣) .

وكم يشق على نفسه ذلك الذي يطلب من الناس اتحادهم في القول والاعتقاد والمسئولية . يقول أبو بكر الخوارزمي : « ولم أر أميراً يحجر على كاتب في كتابته ، أو على شاعر في شعره ، وإنما الشعر فرس جامح ، وماء سارب ، بل سيل راعب ، إذا سد عليه طريقه خرق في الأرض خرقاً وجعل لنفسه طريقاً ، وما أشبه من أكره الألسن على مدحته إلا بمن أكره القلوب على محبته » (٤) . وهكذا نرى النقاد يحكمون على الشعر بالجودة والرداءة ، ويرون الحسن والقبيح يختص بهما علم الأخلاق وكأني بالآمدي قد أدرك مهمة الشاعر والناقد معا حين قال في الموازنة : « الشاعر

(١) عيار الشعر ص ٧٧ (القاهرة ١٩٥٦) .
(٢) سر الفصاحة ص ٢٧٦ (القاهرة ١٩٦٩) .
(٣) الوساطة ص ٦٤ (القاهرة ١٩٦٦) .
(٤) قضايا النقد لبدوي طبانه ص ٦٣ (عن رسائل الخوارزمي ص ١٠) .

لا يطالب بأن يكون قوله صدقاً ، ولا أن يوقعه موقع الانتفاع به ، ولـكن أن يحسن تأليفه . » (١) .

معنى هذا أن الصـدق الفني هو المطلوب ، وهو غير الصدق الواقعي ، فقد يفهم القاريُ العـادي من النص ما يستنكره ، فإن قرأه النـاقد أدرك أبعاده ، وقد تختلف كثيراً عما أدركه القاريُ العـادي . وهو هنا يقترب من بعض الفلسفات المثالية المعاصرة ، التي رأت أن الجمـال يتناسب تناسباً عكسياً مع المنفعة ، أو أن الجميل ممتع ، دون البحث عن غاية (٢) ، كأن قيمة المضمون في الشعر – على وجه الخصوص – هو القـدر الذي يمنحنا مجموعة من الصور الفنيـة ، وليس مدلولاً تجريدياً كالحقائق العـلمية .

ويبدو أن هذه قضية قديمة شغلت الناس من زمن ، ولكن النقـاد العرب حسموها ، وفي ذلك يقـول عبد القـاهر الجرجاني : « أما من زعم أن ذمه للشعر من أجـل ما يجد فيه من هزل وسخف وكذب وباطل ، فينبغي أن يذم الـكلام كله وأن يفضل الخرس على النطق ، والعي على البيان . . . هذا وراوي الشعر حاك ، وليس على الحاكي عيب ، ولا عليه تبعة ، إذا هو لم يقصد بحكايته أن ينصر باطلاً أو يسوء مسلماً . ... وقـد استشهد العلماء لغريب القـرآن وإعرابه بالأبيات فيها الفحش ثم لم يعبهم ذلك » (٣) .

واستمر عبد القاهر يدعم رأيه بالحجج حيناً وبالروايات حيناً آخـر ، ثم يدحض الحجة الأخرى التي تهاجم الشعر لأن حيـاة الشاعر نفسه لم تكن مستقيمة فيقول : « يلزم على قائل هذا القـول أن يعيب العلماء في استشهادهم بشعر امريُ القيس وأشعار أهـل الجاهلية في تفسير القـرآن وفي غريبه وغريب الحديث ، وكذلك يلزمه أن يدفع سائر ما تقـدم ذكره من أمر النبي ﷺ بالشعر ، وإصغائه إليه ، واستحسانه له » (٤) .

والواقع أن الخوارزمي كان دقيقاً في إدراكه للموقف حين قال إن الشعر كالسيل إذا سد عليه طريقه جعل لنفسه طريقاً آخر . ففي كل العصور عبر الشعر بطريقته

(١) المـوازنة جـ ١ ص ٤٠٤ .
(٢) مثل (كانت) على سبيل المثـال .
(٣) دلائل الإعجاز ص ٦٠ – ٧٤ القاهرة ١٩٦٩.
(٤) المصدر السـابق والصفحة .

الخاصة عن قيم العصر وأزمة الإنسان فيه بأسلوبه الإشاري . حتى في شعر الأطفال الذي نظمه شوقي نقرأه قراءتين ، الأولى مباشرة والثانية إشارية رمزية إذا حللناها أدركنا ما وراءها .

إن حرية الفكر في مفهومها العام تشمل كلاً من حرية الرأي وحرية التعبير ، باعتبار هذه الحريات ، مجرد صورة تفصيلية للحرية الأُم وهي حرية الفكر . ولأن العقل هو خاصية الإنسان المميزة ، وهو بذلك مناط التكليف والخطاب الإلهي ، فقد كان التفكير فريضة إسلامية وليس حقاً إنسانياً ومن أجل ذلك فقد سما الإسلام بالفكر إلى مراتب عليا ، بنقله إلى مجال التكليف إعزازاً للإنسان . ومن أجل هذا أيضاً فقد أمر به القرآن وحض عليه في قوله تعالى : (قل سيروا في الأرض ، فانظروا كيف بدأ الخلق) . وفي قوله تعالى (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها) . ولما كانت حرية الفكر هي أساس حرية الرأي وحرية التعبير بل حرية العقيدة ، فإن الإقرار بجواز الأصل ورفعه إلى مرتبة الواجب لا الحق ، إنما ينسحب بالضرورة على ما يتفرع منه من صور أُخرى لحرية الفكر(١) . ومن هنا فرق القدماء بين نظرة المصلح ونظرة الناقد للعمل الفني . فمن طبيعة من يريد بناء النفوس أن يهذب جانب الحيوانية ، وأن يدعو إلى الفضيلة ، وأن يعاقب على السلوك السيء . ولكن الموقف هنا مختلف ، فالفقه مثلا يدرس الرذيلة وتفاصيلها ويقيم عليها الحد ، والناقد يدرس النص من الناحية البنائية ، وكيف عبر البناء عن هذا المضمون ، كما يدرس عالم الآثار طراز المعابد القديمة والمهندس فن العمائر ، أما فيم كانت تستخدم هذه المباني ، فمن مباحث الاجتماعيين والمؤرخين . فإذا عرض الناقد للفضيلة والرذيلة تطـرق لينبه إلى موقف ، أكثر من هذا فمن مباحث علم الأخلاق .

الفكرة الثانية : تدور حول علاقة الفن بالمجتمع ، وقديماً قيل إن الشعر مرآة الحياة الاجتماعية . فقضية التربية والتنشئة لها أهميتها الكبيرة ، لأن المجتمع الفاضل صورته فاضلة ، أما أن نطلب من الشاعر أن لا ينظر إلا بعين واحدة ، حتى لا يخدش

(١) راجع « الإسلام وحرية الفكر » للدكتور محمد إسماعيل علي استاذ القانون الدولي العام بجامعة الأزهر (الأهرام ٤ / ٨ / ١٩٨٠) .

حياءنا ، فالأمر غريب حقاً ، لأن الصورة إذا قبحت فالعيب لا يكون في المرآة ، ولكنه يكون عادة في الوجوه التي تنظر إلى المرآة . وهنا ملاحظة تتصل بسياسة المنع والإطلاق ، وهي من صميم القضايا الاجتماعية . فقضية الحجاب والسفور مثلاً وكان المقصود بالحجاب بقاء المرأة بالبيت (أما لبس الحجاب الشرعي فلا خلاف عليه) والسفور خروجها إلى العلم والعمل ـ فكان أصحاب الاتجاه الأول يرون عدم تعريضها للفتنة أصلاً ، بينما رأى أصحاب الاتجاه الثاني أن خروجها يكسبها مناعة حين يصبح أمراً طبيعياً ، فيفقد مقدرته على التأثير بعد فترة ويتحكم العقل وتناقش الأمور بموضوعية ، كالسجين الذي لا يرتكب جريمة لأنه داخل أسوار السجن ، بينما المحك أن يخرج الإنسان للحياة محصناً .

هل كان من الممكن أن يوجد نزار في بيئة غير بيروت وفي زمان غير النصف الثاني من القرن العشرين ؟ وهل كان من الممكن أن يوجد أبو نواس في العصر الإسلامي؟ أو في مرحلة أخرى غير مرحلة احتكاك الحضارات؟ يقول أحد الباحثين(١) : « إن المجتمع قد يغض النظر عن آفات تكمن فيه فيسكت عنها ويتجاهل وجودها لأن المجتمع يكره أن يعمد فنانون إلى دراسة نواحيه المظلمة والكشف عنها حتى يأتي فنان يرفض مؤامرة الصمت هذه ويأبى إلا أن يكشف القناع عن هذه الآفات حتى يضطر مجتمعه إلى الاعتراف بوجودها ، فيكون هذا الاعتراف الخطوة الأولى إلى محاولة إصلاحها وعلاجها . ولكن مجتمعه ينزعج من هذا الكشف الصريح أشد الانزعاج ، ويسخط على الفنان سخطاً قوياً ، ويحاول أن يصادر إنتاجه بدعوى إيذائه للفضيلة وخدشه للحياء » .

« ندرك هذه الحقيقة حين نتأمل في تاريخ الفنون ونطلع على معاركه المشهورة ... فنجد الأمثلة الكثيرة التي تدلنا على أن المجتمع كان هو الموبوء بوباء معين ، وكان ساكتا عنه مسامحاً إياه ... يلجأ المجتمع في هذه الأحوال إلى اتهام الفنان بأبشع التهم الأخلاقية ، ولكن الحق أنه غاضب لأن الفنان قد مزق القناع عن نفاقه وستره على الإثم وصمته عن الرذائل التي تفتك بكيانه في سر وخفاء » .

(١) طبيعة الفن ومسئولية الفنان لمحمد النويهي (القاهرة ١٩٤٦ ص ٨٦) .

« ولكن المجتمع في الغالب يصبر على المساوئ مادامت مستترة مهما يكن ضررها، ويزعجه ويغيظه الكشف الصريح عنها ، لأن هذا يجرح إحساسه بكرامته ويضطره إلى مواجهة نقائصه دون تعمية أو تمويه ، ولكن ما يؤثره المجتمع من تجاهل الإثم والتستر عليه فيه الضرر كل الضرر وهو الذي يفيد الرذيلة ، فالرذيلة كما قال برنارد شو : تحب إطفاء النور » .

فحرية الأديب إذن ليست ترخيصاً يمنح من الدولة كرخصة قيادة السيارات ، ولكنها موقف ذاتي في إطار وعي اجتماعي . وخوف بعضهم من أن إحساس الفنان بحريته الذاتية يبعده عن العالم الذي حوله ويحوله إلى الإفراط في الذاتية والأنانية والانحلال والتفكك ، هذا الخوف في الحقيقة لا محل له ، بل بالعكس فلا شيء في مقدوره أن يفصل فناناً عن الحياة إلا شعوره بأن غيره يقوم بدور الوصاية عليه ، يحدد له إطاره الفكري ، يحدد له علاقاته ووضعه وموقفه بالنسبة لمن حوله ، بل وأكثر من ذلك يفرض له الشكل الفني الذي يصوغ به مضمونه وغالباً لا يخرج هذا الشكل عن نقل العالم المرئي بحرفيته التي قد تقضي عليه(١) .

يقول الناقد محمد النويهي : « مهما يبد لنا الإنتاج الفني مخالفاً أو جارحاً أو خارجاً فلنفكر طويلاً قبل أن نسمح لكرامتنا المجروحة ومشاعرنا الغاضبة بأن تنادي بتكميم فمه ، وتحطيم قلمه ، ومصادرة إنتاجه . فلعل في عمله هذا ما يجلب لنا البرء(٢) » .

الفكرة الثالثة : إننا نحن النقاد نتناول النص من زاويتين : زاوية فكرية ومن خلالها يمكن أن أنبه إلى رأي المصلحين ، وزاوية فنية وهي تفسير العمل الأدبي في ضوء الدلالات والرموز والإشارات التي يحملها النص . فمن غير المعقول أن تجد الرومانسيين المعاصرين أمثال علي محمود طه وإبراهيم ناجي وخليل شيبوب والشابي والتيجاني ، وغيرهم من شعراء المهجر ، قد أحبوا وفشلوا في حبهم . فالحب هنا إذن

---

(١) حرية الفنان حسن سليمان (القاهرة ١٩٨٠) ص ١٥٠ .

(٢) طبيعة الفن ص ٩٢ .

رمز للأمل ، والفشل فيه معادل موضوعي للأمل الضائع ، وهو تعبير فني عن فشل الحياة السياسية تماماً كما كان الأمر عند العذريين . وهكذا الشأن في غزل عمر بن أبي ربيعة ، فمفتاح اتجاهاته الفنية ، قوله في معرض حديثه عن دماء القرشيين التي سالت في موقعة الجمل وفي موقعة صفين وما أعقبهما :

فمثل الذي عاينت شيب لمتي ومثل الذي أخفى من الحزن أنكرا

ولكن بدلاً من أن يعبر تعبيراً مباشراً عن سوء الوضع السياسي الذي دمّر حياة الناس ، اتجه إتجاهاً آخر لأن الحياة والفن صورتان متمايزتان للواقع ، لكل منهما طريقته الخاصة ، ولكنهما على الرغم من ذلك يتشابهان في بعض الملامح ، ومن خلال هذا التشابه نستطيع أن نفهم أحدهما عن طريق الآخر . فالواقع يتحول في الشعر إلى صورة متميزة عن الحقيقة ، والفن عامة والشعر خاصة لا يقصدان إلى تصوير الحياة كما هي ، تصويراً فوتوغرافياً ، أو قل إن غايتهما ليست نقل الواقع كما هو في ذاته ، ولكن رؤية أحدهما من خلال الآخر . فالواقع إذن في الشعر خاصة وسيلة فنية وليس غاية في ذاته (١) . ولذلك فإن عمر بن أبي ربيعة اتجه هذا الاتجاه الفني ليعبر عن سخطه على الأوضاع السياسية ومن هنا كشف هذه الواجهة المنسقة ، التي تخفي تحتها ثورة لابد أن تجد لها مسارب تتدفق فيها ، فكانت المرأة محور الكشف لحقيقة هذه الواجهة ، كما كانت – بتعبير فني مختلف – عند الشعراء العذريين . الواقع إذن أن الرؤية الفنية ليست أحادية مباشرة ، لأن الأدب المباشر أدب دعاية ودعاة وهو أدب موقوت غير خالد ، ومن هنا سقط أدب العلماء في كثير من الأحيان لأنه إنتاج عقلي مباشر كما سقط التفسير المباشر للأعمال الأدبية ، ولابد للناقد من فك الرموز وتحليل الدلالات . فإذا مرّ القارئ المتعجل أمام هذا البيت للأعشى :

أريحى صلت يظل له القو م ركودا وقوفهم للهلال

لم يدرك إيحاءاته ، ولكن الناقد وحده الذي يدرك أبعاده ، وهكذا الشأن إذا

(١) راجع « حول منهج للدراسة » : الشعر الجاهلي : قضاياه الفنية والموضوعية لإبراهيم عبد الرحمن القاهرة ١٩٧٩ م .

وقفنا أمام هذا التبادل الغريب بين الشمس والغزالة (١) ، فيقولون أشرقت الغزالة ، ويقولون قرن الشمس . يقول سويد بن أبي كاهل اليشكرى :

تمنح المرآة وجهاً صافياً مثل قرن الشمس في الصحو ارتفع

وهكذا نرى أن الفن بصورة عامة والشعر بصورة خاصة ، يحتاج إلى قراءتين لندرك المعاني الثانية . هل كان ابن المقفع – على سبيل المثال – يريد حقيقة أن يمتعنا فقط بقصص الحيوان حين ترجم كليلة ودمنة ؟ أم أن هناك مدلولاً حرص على نقله وكان يرمز إليه ويشير من حين إلى حين هنا وهناك إشارات دالة ، وقد أضاف ما أضاف من قصص إلى جانب ما ترجمه ليقنعنا به ؟

الفكرة الرابعة : تتعلق بطبيعة الصنعة الشعرية ، وكأني بالفلسفة الوجودية المعاصرة وعلى رأسها سارتر في كتابه الأدب الملتزم – كانت واعية هي الأُخرى وعياً تاماً بالصنعة الشعرية وطبيعتها ، حين أخرجت الشعر من موضوع الالتزام لأن الشاعر في مرحلة الإبداع ، يكون في حالة بين الوعي واللا وعي ، بخلاف كاتب المقالة مثلاً الذي يكون في حالة وعي كامل ، وتركيز ذهني ، واللفظة الشعرية وحشية غير مستأنسة ، والشاعر في حالة انفعالية ، فمن العسير إخضاعه لمنطق الأشياء لأن له منطقه . وربما كان هذا سر بقائه ، لأن النظرة للعمل الأدبي ليست أحادية كما قلنا مثل النظر للقانون العلمي ، وإنما هي رؤية فنية قد تختلف باختلاف ثقافة المتذوق ، فالناظر إلى لوحة لوردة مثلاً ، قد يرى تناسق الألوان ، وآخر يرى ما وراء التناسق الشكلي والعطاء الحسي من إيحاءات بمعنى الربيع والحب ، وثالث لا يرى إلا الدلالة المأسوية في قصر عمر كل جميل في هذه الحياة ، ولكن الناقد الفني هو الذي يستطيع أن يكشف أبعاد العمل الفني كلها فيما يسمى بالاتجاه التكاملي في النقد الأدبي .

على أننا في النهاية نرى أن الأديب العظيم يفرض نفسه ، التزم أم لم يلتزم ، فالمتنبي لم يكن شاعر العربية الأكبر لأنه التزم يميناً أو يساراً ، فأكثر شعره في المديح

(١) راجع الأساطير لأحمد كمال زكي بيروت ١٩٧٩ ص ٨٢ – ٨٣ .

ولـكن لأنه أتى بالإعجاز الفني في القصيدة العربية ، فـكان له معماره الخاص ورؤيته الفريدة ، وكان بذلك ممثلاً لقمـة التقـاء الحضارتين العربية واليونانية في الشعر العربي فـكراً وبناء . وهـكذا يفرض الفـن الرفيع نفسه ، ويحمل جواز مروره عبر كل الأزمان إلى الخلود ، لأن في أعمـاق الأزمة الفـردية قضية إنسانية .

يقول زكي نجيب محمود (١) : إن الإبداع الشعري في أساسه مختلف كل الاختلاف عن الدعوة إلى أفكار بعينها ، لأن مثل هذه الدعوة إنما تنشد المثل الأعلى ، أما الشعر فيهتم بما هو كائن ، ما يفعله الناس في مسالـكهم من خير أو شر ... فلا غرابة إن كانت هذه هي الطبيعة الإنسانية بمتناقضاتها ، أن يلح كثير من أصحاب الدعوة الروحية على أن يعرف الإنسان نفسه ، ومهمة الأدب الحقيقية أن يعاون الإنسان على هـذه المعرفة ، على معرفة ذاته على حقيقتها . مهمة الأدب الأولى هي الـكشف عن حقيقة الإنسان كما هي واقعة ، إن الشاعر أو الأديب قد يتعرض هنا وهناك لدعوات في سبيل الدين أو في سبيل المجتمع وفي سبيل العلم وما إلى ذلك ، ولـكنه إذا لم يكن قبل كل شيء رائداً يرود جوانب النفس البشرية كما تتمثل في ذاته ، وإذا لم يـكن إلى جانب ذلك صاحب موهبة يستطيع بها أن ينقل إلى الآخرين لمحـات بصيرته ، فقـد يعـد خطيباً فصيح اللسان ، أو إماماً مصلحاً لـكن لن يكون أديباً ولا شاعراً . . . فلئن كان داعية الأخلاق يغري الناس أن يأتوا الفضيلة ويجتنبوا الرذيلة ، فالأديب الحق يفتح أعيننا على منابع الفضيلة والرذيلة في أنفسنا . فهو إنما يفعل خيراً بأكمل معـاني هذه الكلمـة لأن مجرد وعي الإنسان بما هو حق ، هو في ذاته خير . الأدب الرفيع محايد يلقي الضوء على جوانب الخير والشر معاً ، فهو كالشمس تشرق على الأشياء بغير تمييز . وخـذ مسرحية من مسرحيات شكسبير ، تجـد حشداً من الأشخاص مختلفي النزعة . إن شكسبير لا ينصر أحـداً على أحـد في وجهة نظـره .

إن مهمة الأدب وهدفه إذن هو الإنسان ، فـلا هي الظروف السياسية ولا الحالات الاقتصادية ولا الأعراف الاجتماعية ، لأن هذه كلها هي الوسائل التي خلقت لتهيئ لـلإنسان حياة خصبة غزيرة . إننا لا نقول بهذا إنه لا ينبغي لأحـد أن

(١) في فلسفة النقـد (بيروت ١٩٧٩) ص ٧٣ – ٨٦ .

يكتب في السياسة والاقتصاد والأخلاق ، لكن المقصود أن مثل هذه الكتابة ـ على ضرورتها ـ لا تعد أدباً . ولنلاحظ أن معيار النقد للنوع الأول من الكتابة ليس هو معيار النقد للنوع الثاني ، فالأول يقاس بما فيه ـ أو بما أعوزه ـ من سداد الاستدلالات المنطقية من الفروض النظرية أو الأرقام الإحصائية وأما الثاني فمقياسه من صلته الحميمة بنفس الإنسان ونوازعه بكل ما فيها من كمال ونقص . وعلى ضوء هذا يتبين أن قسمة الأدب إلى أدب خالص وأدب هادف ، قسمة على غير أساس صحيح فالأدب كله هادف ، لأنه الإنسان وحياته ، لا الوسائل الاجتماعية التي أنشئت من أجل ذلك الإنسان . وإن شئت فاقرأ أي أثر من آثار الأدب في أي لغة من لغات الأرض وسل نفسك : ماذا في هذا الأثر الأدبي مما جعله يمسني برغم القرون التي تفصل بين عصري وعصره . إن ما أمتع القارئ في الأثر الأدبي القديم ليس هو تفصيلات الأحداث الماضية ، إنه البقية بعد طرح المسائل التاريخية كلها ، وما هذه البقية إلا الإنسان .

الكفاءات اللازمة للمعلم في قطر

الدكتور سليمان الخضري الشيخ

الدكتور فوزي أحمد زاهر

تقوم معظم برامج إعداد المعلمين في الوقت الحالي على مكونات ثلاثة هي :

أ ــ المقررات الدراسية ، سواء في مادة التخصص أو في المواد التربوية والنفسية.

ب ــ ملاحظة الطلاب للمعلمين المتمرسين أثناء قيامهم بالتدريس في المدارس .

جـ ــ واخيراً التدريب الميداني (Gregory, 1972) .

ولعل السبب في تفضيل هذه المكونات الثلاثة يكمن في الاعتقاد بأن المقررات الدراسية تمكن الطالب من الالمام بالحقائق والمباديء الضرورية لعملية التدريس ، بينما تساعد الملاحظة الطالب المعلم على ربط تلك المعارف بالمواقف التعليمية الحقيقية . أما التدريب الميداني فإنه يمكن الطالب المعلم من اكتساب الخبرة العملية في تطبيق المعرفة المهنية وفي تنمية مهارات التدريس وصقلها . وهناك بعض المعاهد والكليات تدمج الملاحظة مع التدريب الميداني ، فيما يسمى بالتربية العملية . ومع ذلك فإن هذا لا يغير بشكل جوهري من المكونات الأساسية للبرنامج .

وقد ووجه هذا النظام باعتراضات عديدة وهجوم عنيف من كثير من رجال التربية في الأونة الأخيرة . وقد نشأت هذه الاعتراضات من الشعور العام لدى الجمهور بانخفاض مستوى التعليم في مراحله المختلفة من ناحية ، ومن نتائج بعض البحوث

التي أُجريت ، وأثبتت عدم فاعلية برامج إعداد المعلمين ، من ناحية أخرى . فقد وجد ، على سبيل المثال ، في ثلاث دراسات أُجريت بواسطة جيمس بوبام (Popham, 1971) أن تحصيل التلاميذ الذين قام بالتدريس لهم معلمون معدون إعداداً تربوياً في كليات التربية ، لم يختلف عن تحصيل زملائهم الذين قام بالتدريس لهم مواطنون عاديون . وكذلك وجد بوسل ومودي (Bausell & Moody, 1971) في دراسة أُجريت للمقارنة بين تدريس طلاب أكملوا دراسة المواد التربوية والتربية العملية ، وبين تدريس طلاب لم يبدأوا في دراسة هذه المواد بعد ، وجد أنه لا توجد فروق دالة فيما يتعلق بتحصيل التلاميذ . وقد خلصا من ذلك إلى نتيجة أساسية هي أن برامج إعداد المعلمين التي تقدمها كليات التربية لا تؤدي إلى أية زيادة في تحصيل التلاميذ .

وقد بدأ رجال التربية في إعادة النظر في برامج إعداد المعلمين لاكتشاف نقاط الضعف فيها . وقد تبين لبعضهم أن المكونات الثلاثة السابق الإشارة إليها تعاني من أوجه قصور عديدة . فالمقررات التربوية والنفسية تفتقر إلى التكامل المرغوب بينها ، إذ أنها تعطي للطالب منفصلة ومجزأة لا رابط بينها . كما أن كل أستاذ يدرس مادته دون أن يحاول الربط بينها وبين المواد الأُخرى ، وأحياناً دون أن يعرف ما يفعله الآخرون . كذلك توجد فجوة كبيرة بين ما يدرس في المقررات التربوية والنفسية ، وبين ما يحدث فعلاً في المواقف التعليمية . حتى مادة طرق التدريس ، والتي يفترض فيها أنها تركز على التطبيق العملي لما يدرسه الطالب المعلم ، لا تساعد على عبور الهوة بين التنظير والتطبيق (Conant, 1964; Koerner, 1964) . أضف إلى هذا ، أن أساتذة التربية وعلم النفس ذاتهم لا يعطون بأنفسهم نماذج للتدريس يحتذى بها طلابهم في تدريسهم . فعلى الرغم من أن الكثيرين منهم يتحدثون عن عيوب طريقة المحاضرة في التدريس ، فإنهم يتبعونها في تدريسهم لطلابهم غالباً (Silberman, 1970) . أما التربية العملية ، فقد أخذ عليها ، أنها غالباً لا تقوم على خطة منهجية واضحة وكثيراً ما يواجه الطلاب في الفصل الدراسي بمواقف بالغة التعقيد ، لا يعرفون كيف يتصرفون فيها أثناء قيامهم بالتدريب الميداني . كما أن دروس الملاحظة لا تحقق الهدف

منها . فدور الطالب فيها سلبي ، ومجرد الملاحظة لا تكفي لاكتساب المهارات ، كما أن النماذج التي يراها غالباً ما تكون بعيدة عن النماذج المرغوبة ، ومن ثم قد يكون تأثيرها ضاراً على تكوينه المهني .

ولقد ظهر في العقدين الأخيرين محاولات متعددة لتطوير برامج إعداد المعلمين . ومن أهم هذه المحاولات استخدام التدريس المصغر micro-teaching ، وتحليل التفاعل اللفظي interaction analysis ، إلا أن تلك المحاولات لم تؤت الثمار المرجوة منها . فعلى الرغم من أن استخدام التدريس المصغر في إعداد المعلمين قد بدأ منذ عام ١٩٦٣ في جامعة ستانفورد بالولايات المتحدة وانتشر استخدامه في معظم معاهد وكليات إعداد المعلمين ، إلا أنه لم يكن له إلا تأثير سطحي على برامج إعداد المعلمين . وربما يرجع ذلك إلى عدة عوامل منها ، أن التدريس المصغر استخدم في كثير من الحالات كبديل للتربية العملية ، مما يعكس الخلط بين أسلوب التدريس المصغر كطريقة لاكتساب مهارات جزئية والتدريب عليها ، وبين وظيفة التربية العملية التي يواجه فيها الطالب المعلم الموقف التعليمي بكل تعقيداته . كذلك يلاحظ أن اختيار المهارات والتدريب عليها بهذا الأسلوب لم يكن يتم وفق خطة منهجية منظمة ، وإنما يتم بطريقة عشوائية في معظم الأحوال . فنجد مثلاً أن برنامج جامعة ستانفورد ركز على اربع عشرة مهارة ، اختيرت عشوائياً دون تحليل منهجي لعملية التدريس (Allen & Ryan, 1969) ، بينما ركزت تجربة جامعة ستيرلنج البريطانية على ثلاث مهارات فقط (Stoddart, 1978) . وفي تجربة معهد التربية للمعلمين بالكويت ، اختار الباحثان سبع مهارات فقط من قائمة جامعة ستانفورد (الحاج عيسى وشفشق ، ١٩٧٩) .

وبنفس الصورة لم يكن لأسلوب تحليل التفاعل اللفظي أثره المنشود في إعداد المعلمين . وربما يرجع ذلك أيضاً إلى عدة أسباب أهمها ، أن أسلوب تحليل التفاعل ابتكر أساساً كأسلوب لملاحظة التفاعل الذي يحدث داخل الدرس وتحليله ، ولكنه تحول لكي يستخدم كطريقة لإعداد المعلم ، الهدف الرئيسي منها إحلال طريقة المناقشة والحوار بين المعلم والتلاميذ محل طريقة التلقين أو المحاضرة . كذلك يركز

هذا الأسلوب على تحليل التفاعلات اللفظية متجاهلاً مظاهر التفاعل غير اللفظي ، على الرغم مما لها من أهمية كبيرة في الموقف التعليمي . أضف إلى ذلك أن هذا الأسلوب لا يعطي أهمية لنوعية السلوك اللفظي وإنما يركز فقط على تكرار حدوثه (Stones & Morris, 1972)

ولقد ظهرت في السنوات الأخيرة حركة طموحة في إعداد المعلم عرفت باسم « إعداد المعلم القائم على إجادة الكفاءات(competency-based teacher education (CBTE) أو باسم « إعداد المعلم على أساس الأداء »
(performance-based teacher education (PBTE).

والفكرة الرئيسية الكامنة وراء هذه الحركة تتلخص في أن كفاءة أداء المعلم وفق محك محـــدد هي الأساس الذي ترتكز عليه عملية إعداد المعلم أو تدريبه قبل الخدمة أو أثناءها ، وكذلك القرارات المتعلقة بتقويمه أو ترقيته . وتستند هذه الفكرة على افتراض مؤداه أن عملية التدريس الفعال يمكن تحليلها إلى مجموعة من الكفاءات ، إذا أجادها الفرد زاد احتمال أن يصبح معلماً ناجحاً . وتعرف الكفاءة بأنها مهارات مركبة أو أنماط سلوكية أو معارف يمكن أن تظهر في سلوك المتعلم ، وتشتق من تصور واضح ومحـــدد لنواتج التعلم المرغوبة (Hall & Jones, 1976) .

وتتألف الكفاءة من مجموعة المهارات أو المعارف الفرعية التي لابد من اكتسابها حتى يمكن القول بأن المتعلم قد أجاد تلك الكفاءة .

وتتميز طريقة إعداد المعلم القائمة على إجادة الكفاءات عن غيرها من الطرق بعدة مميزات أهمها :

١ — أنها تتبع خطة منهجية منظمة في تحديد الكفاءات ووضع برامج التدريب عليها .

٢ — تتخذ أداء الطالب أو المعلم أساساً للحكم على نجاحه أو فشله في عملية التدريس.

٣ — تجعل ما يتعلمه الطالب المعلم وظيفياً بمعنى أن ينعكس في أدائه بشكل واضح .

٤ — تستفيد هذه الطريقة من معظم المستحدثات التربوية المعروفة وتستخدمها وصولا

لتحقيق أهدافها . ومن مثل هذه المستحدثات التدريس المصغر وتحليل التفاعل وأسلوب تحليل النظم والتعلم المبرمج وأساليب التعلم الذاتي وغيرها .

٥ — تصلح هذه الطريقة للإعداد الجماعي والفردي للمعلم .

على أن أهم مشكلة تواجه هذه الطريقة هي دقة تحديد الكفاءات اللازمة للمعلم الناجح . فعلى الرغم من المحاولات المتعددة في هذا المجال فإنه لا يوجد اتفاق حتّى الآن بين الباحثين عليها . والبحث الحالي محاولة في هذا الاتجاه .

مشكلة البحث :

تهدف هذه الدراسة إلى استطلاع رأي المشتغلين بالتربية في دولة قطر ، سواء كانوا من القائمين على إعداد المعلم أو من المعلمين الممارسين أو من المعلمين تحت الإعداد ، فيما يتعلق بالكفاءات اللازمة للمعلم وأولوياتها . ويمكن تحديد الأسئلة التي يحاول البحث الإجابة عليها فيما يلي :

أولاً : هل توجد فروق بين فئات المعلمين في إدراكهم للأهمية النسبية لكفاءات التدريس المختلفة . ؟

بعبارة أخرى هل يختلف إدراك المعلمين للأهمية النسبية لكفاءات التدريس باختلاف الجنس ، والخبرة بالتدريس ، والدراسة التربوية المتخصصة ؟

ثانياً : هل توجد فروق بين فئات الأساتذة القائمين على إعداد المعلم فيما يتعلق بتقديرهم للأهمية النسبية للكفاءات اللازمة للمعلم ؟

ثالثاً : هل توجد فروق بين المعلمين من جهة والأساتذة من جهة أُخرى ، فيما يتعلق بالأهمية النسبية لتلك الكفاءات ؟

رابعاً : ما ترتيب كفاءات التدريس من حيث أهميتها النسبية من وجهة نظر أفراد العينة ؟

الدراسات السابقة :

من استعراض الدراسات السابقة التي أُجريت في هذا المجال يمكن أن نميز ثلاثة إتجاهات اتبعت في تحديد الكفاءات اللازمة للتدريس الفعّال وهي :

أ – تحليل عملية التدريس سواء كان ذلك عن طريق ملاحظة سلوك معلمين أكفاء أو بالاستناد إلى أطر نظرية معينة Models.

ب – الاعتماد على نتائج البحوث التي أُجريت على متغيرات عملية التعليم والتعلم بهدف معرفة المتغيرات المؤثرة حتى يمكن تضمينها في برامج إعداد المعلمين .

ج – التعرف على آراء المهتمين بالتربية من معلمين وموجهين ومتخصصين في إعداد المعلم .

وسنحاول فيما يلي أن نقدم عرضاً موجزاً لكل من هذه الاتجاهات الثلاثة :

لقد نشأ الاتجاه الأول كنتيجة للاهتمام المتزايد ، والذي بدأ مع أواخر الستينات باتباع أسلوب تحليل النظم في تصميم البرامج التعليمية وتطويرها . ويعتمد هذا الأسلوب – كما هو معروف – على النظر إلى عملية التعليم والتعلم باعتبارها نظام أو نسق يتكون من مجموعة من العناصر المتداخلة والمتفاعلة تفاعلاً وظيفياً ، والتي تعمل على تحقيق أهداف سبق تحديدها بأقصى قدر من الكفاءة والفاعلية . وفي هذا الإطار أمكن للباحثين استخدام طرق وأساليب متعددة في تصميم الوحدات التعليمية والبرامج والمقررات الدراسية في مختلف مواد الدراسة . وتستند هذه الطرق والأساليب إلى النظرية السلوكية في علم النفس وتحليل الأداء (Gagne & Briggs, 1979) .

وقد استخدمت نفس هذه الأساليب والطرق في تصميم برامج إعداد المعلمين وتحديد الكفاءات اللازمة للتدريس الفعال . ومن الباحثين الذين اعتمدوا بشكل أساسي على تحليل العمل (task analysis) في استخلاص الكفاءات ، شميدتلين (Schmidtlein, 1970) وهوستون (Houston, 1971) واهرنبرج (Ehrenberg, 1974) ولقد توصلوا من تحليلاتهم إلى إعداد قوائم طويلة لكفاءات التدريس يمكن أن

يستفيد منها مصممو برامج إعـداد المعلمين . على أنه لوحظ أن مصممي البرامج عادة ما ينتقون من بين هذه القوائم عدداً محدوداً من الكفاءات التي يرون أهميتها لـكي يضمنوها في برامج إعداد المعلم . وقد تبين من دراسة أجراها انجرسول وآخرون . (Ingersoll et al, 1975) وجود اختلافات واضحة بين مصممي البرامج وبين المعلمين في تقـدير الكفاءات التي يحتاج المعلمون للتدريب عليها . فقد وجـد على سبيل المثال ، أن المجالات التي يعتبرها المعلمون على درجة كبيرة من الأهمية لم تلق اهتماماً كافياً من قبل مصممي البرامج .

وفي إطـار هذا الاتجاه أيضاً . جرت محاولات متعددة لتحديد الكفاءات عن طريق ملاحظـة سلوك معلمين « اكفاء » أثناء تدريسهم ، واستخلاص الأنمـاط السلوكية المميزة لطـريقتهم في التدريس . ثم أعـدت برامج متنوعة لتدريب المعلمين المبتدئين بهـــدف إكسابهم تلك الأنمـــاط السلوكية « الجيـــدة » . إلا أن كـــومز وآخرون (Combs et al, 1974) انتقدوا هذه المحاولات مؤكدين أن المدرس الجيد « الفعال » ، هو في المقـام الأول شخصية فريدة لها خصائصها المميزة والمتميزة ، ولا يمـكن إعتبارها صورة يمـكن نسخها أو تقليدها . هذا بالإضافة إلى أن اتخاذ الأنماط السلوكية الراهنة نمـاذج يحتذى بها ، هو ترسيخ لمـا هو قائم وقد يكون عائقاً أمام محاولات التطـوير والتجـــديد .

أما الاتجاه الثاني فإنه يحاول الاستفادة من نتائج البحوث التي أُجريت على عمليات التعليم والتعلم ، في إعداد برامج تدريبية هدفها إكساب المعلم المهارات اللازمة للتدريس الجيد . وقد اتخـذت البحوث في هذا الاتجـاه خطـين متمايزين : الخـط الأول اهتم بدراسة أثر البرامج التدريبية التي أعدت بهـدف إكساب المعلمين مهارات تدريسية معينة على أداء المعلم في الفصل الدراسي . ومن أمثلة تلك البحوث دراسات بورج وآخرين (Borg et al, 1970) ، وبيروت وآخرين (Perrott, et al, 1975) . وقام كوبر (Cooper, 1975) بتقـــويم عـــدد كبير من برامـج التدريب التي أعدت في الجامعات الأمريكية ، في دراسة مسحية ، وخلص إلى أن معظم هذه البرامج قـــد حققت نجاحـــاً في إكساب المعلمـين المتدربين المهارات المستهدفة . أما الخـــط الثـــاني من

البحوث ، فيحاول دراسة أثر سلوك المعلم على تحصيل التلاميذ . ومن الأساليب السلوكية التي تناولتها تلك البحوث بالدراسة مدى استخدام المعلم للأسئلة وأنواعها ، وأساليب التعزيز واثارة الدافعية وغيرها . وقد قام روزنشين (Rosenshine, 1976) ومدلى (Medley, 1977) ودويل (Doyle, 1978) بعرض لأهم الدراسات التي أجريت في هذا المجال ، وخلص الباحثون الثلاثة إلى أن النتائج ما تزال غير مؤكدة بصفة عامة .

على أن الملاحظة الرئيسية التي أخذت على هذا الاتجاه ، هي أن هذين الخطين من البحوث ظلا منفصلين عن بعضهما تماماً ، فقد قام المصممون بإعداد برامج لإكساب كفاءات للتدريس لم يتأكد أثرها بعد على تحصيل التلاميذ عن طريق التجريب . فعلى سبيل المثال ، يعتقد كثيرون من مصممي برامج الكفاءات ، أن مهارة المعلم في توجيه أسئلة تتطلب مستوى عال من التفكير من جانب المتعلمين من المهارات الأساسية التي ينبغي إكسابها للمعلم . ومع ذلك فإن نتائج البحوث التجريبية لم تقدم دليلاً كافياً على أن مثل هذه الأسئلة تساعد على تنمية فهم التلاميذ للمادة الدراسية (Gall, et al, 1976) . ونتيجة لهذا الانفصال الواضح بين هذين الخطين من البحوث ، فمازال من العسير الاعتماد على هذا الاتجاه في تحديد الكفاءات اللازمة للتدريس الجيد .

أما الاتجاه الثالث من البحوث ، فهو يعتمد على آراء المهتمين بالتربية ، من معلمين وموجهين ومتخصصين في إعداد المعلمين . ومن هذه البحوث دراسة أجريت بواسطة مجلس إعداد المعلمين بولاية فلوريدا ، بهدف تحديد الكفاءات الأساسية اللازمة لعمل المدرس . . فقد قام المجلس بإعداد قائمة بعدد كبير من الكفاءات ، ثم ضمنت هذه القائمة في استبيان ، طبق على عدد من المعلمين والمعلمات العاملين بالمدارس التي تتبع ٧٦ قسماً تعليمياً بالولاية ، وقد بلغ عدد المستفتين ٥ ٪ من جميع المعلمين العاملين في الولاية . وقد طلب من المستفتين أن يحددوا أهمية كل كفاءة من الكفاءات المذكورة ، على مقياس متدرج . ثم جمعت الاستجابات ووضع معيار للحكم على الكفاءة المعينة بأنها أساسية ، إذا أجاب ٨٧ ٪ من المستفتين بأنها

هامة لعمل المعلم . وقد توصل الباحثون إلى استخلاص قائمة من ٢٣ كفاءة أساسية وفقاً للمعيار السابق ، وسميت هذه القائمة « بالمعارف والمهارات الضرورية للتدريس بصرف النظر عن المادة التعليمية وعمر المتعلم » . وقد صنفت تلك الكفاءات إلى خمسة مجالات من الكفاءات هي : المعرفة الأساسية العامة ، مهارات الاتصال ، المهارات الفنية للتدريس ، ومهارات التفاعل مع الآخرين ، والمهارات الإدارية .

وفي دراسة لاحقة قام بها دزوبان وسوليفان (Dziuban & Sullivan, 1978) ، قام الباحثان بمحاولة للتأكد من صدق تلك القائمة المستخلصة وثباتها . . وزعت قائمة الكفاءات على عينة مكونة من ٣٥٠ معلماً ومعلمة موزعين على المراحل التعليمية الثلاثة : الابتدائية والإعدادية والثانوية ، وطلب منهم أن يحددوا أهمية كل كفاءة على مقياس متدرج من ٤ نقاط ، يوضح إلى أي حد تعتبر تلك الكفاءة ضرورية لنجاح المعلم في عمله . وقد دلت النتائج على أن هناك اتفاقاً عاماً بين المعلمين على أن الكفاءات المتضمنة في القائمة ضرورية ، ولم تكن هناك فروق ذات دلالة بين إجابات المعلمين في المراحل الثلاثة ، باستثناء كفاءة واحدة ، هي « القدرة على فهم وتفسير الرسالة » وهي من كفاءات الاتصال ، حيث كان تقدير معلمي المرحلة الابتدائية لأهميتها أقل من تقدير معلمي المرحلتين الأخرتين .

وأجرت فرانك (Franc, 1970) دراسة على مجموعة من المعلمين المبتدئين بالمرحلة الابتدائية بقصد التعرف على آرائهم في المهارات التي يحتاجون للتدريب عليها ، واستخدمت في دراستها أسئلة مفتوحة وجهت إلى المعلمين في صورة استبيان ، ثم التقت بهم في مقابلة مقننة . وقد وجدت من دراستها أن هؤلاء المعلمين المبتدئين قد عبروا عن حاجتهم للتدرب على المهارات الخاصة بتنفيذ الدرس ، وضبط التلاميذ وجذب انتباههم والاستخدام الأمثل للوقت والموارد ومهارات التفاعل مع الآخرين . كذلك عبر المعلمون عن اعتقادهم بأن برامج التدريب أثناء الخدمة لا تفي عادة بهذه الحاجات ، ومن ثم لابد أن يكون التدريب عليها أثناء إعداد المعلمين .

وفي دراسة أخرى أجريت بواسطة كرويكشانك وكندي ومايرز (Cruickshank, Kennedy & Myers, 1974) بهدف التعرف على الصعوبات التي تواجه المعلمين في

المرحلة الثانوية ، طبق على أفراد العينة قائمة من الصعوبات والمشاكل التي تقابل المعلمين في أعمالهم نتيجة لعدم إجادة كفاءات التدريس ، وطلب منهم أن يحددوا تكرار حدوث كل مشكلة وشدتها ، ووجدوا من النتائج أن أهم المشاكل التي يعاني منها المعلمون هي تلك التي تتعلق بمجالي إثارة دافعية التلاميذ وضبط الصف .

كذلك أجرى هاول (Howell, 1973) دراسة لتحديد المهارات التي يحتاج المعلمون الممارسون إلى التدرب عليها . فقد طبق استبياناً من خمسة أسئلة مفتوحة على مديري (نظار) المدارس ، بهدف التعرف على أنواع المهارات التي يرى المديرون أن المعلمين في حاجة للتدريب عليها . ومن إجابات المديرين أعد استبياناً طبق على المعلمين ، وطلب منهم فيه أن يحددوا المجالات التي يحسون بحاجة ملحة للتدريب عليها وأسلوب التدريب الذي يرغبون في إتباعه . وقد كانت المجالات التي برزت كمجالات ملحة هي : أساليب ضبط الفصل ، وإثارة دافعية التلاميذ ، واستخدام الوسائل والمصادر التعليمية .

كما أجرى هاروود زوبان وروذبرج (Harrow, Dziuban & Rothberg, 1973) دراسة على عينة من طلاب التربية العملية بعد انتهائهم من التدريب الميداني . وقد طلب من الطلاب المعلمين أن يحددوا الصعوبات التي واجهتهم أثناء التدريب ، والتي يحسون أنهم لم يعدّوا إعداداً كافياً لمواجهتها ، وذلك من بين قائمة تشتمل على ٥٠ مشكلة أو صعوبة . وقد تبين من تحليل النتائج أن شكوى الطلاب تتركز حول الأمور الإ دارية ، وضبط النظام في الفصل ، وإثارة دافعية التلاميذ ، وعدم الانسجام مع سياسة المدرسة .

وفي دراسة أجراها انجرسول (Ingersoll, 1976) ، أعد استبيان عرف باسم « تقدير احتياجات المعلم » يشتمل على ٤٣ كفاءة من كفاءات التدريس انتقاها الباحث من قوائم الكفاءات المنشورة ، ومن الدراسات السابقة التي أُجريت لتحديد حاجات المعلمين . وقد صنفت هذه الكفاءات بواسطة مجموعة من المحكمين إلى سبع مجموعات أساسية هي مهارات التفاعل والإ دارة ، تنمية مفهوم الذات لدى التلاميذ ، تعزيز التعليم ، التقويم ، حفظ النظام ، تنمية الذات ، إدارة الفصل . . وقد طبق

هذا الاستبيان على عينة من ٧٤٥ معلماً ومعلمة بالمراحل التعليمية الثلاثة : الابتدائية والاعدادية والثانوية ، في ثلاث ولايات أمريكية ، هي نيويورك وإلينوى وانديانا ، وطلب من المستفتين أن يحددوا مدى حاجتهم للتدريب على كل كفاءة من هذه الكفاءات ، وأن يحددوا أيضاً مدى أهمية كل منها بالنسبة للمعلمين بصفة عامة . وقد توصل الباحث إلى النتائج التالية :

١ – عبر المعلمون عن الحاجة للتدريب على الكفاءات المتعلقة بالمجال الانفعالي والوجداني ، وهي الكفاءات التي تتعلق بتنمية مفهوم الذات لدى التلاميذ ، وكذلك مجال تفريد التعليم .

٢ – هناك علاقة بين الحاجات وبين كل من المرحلة التعليمية وسنوات الخبرة .

٣ – توجد فروق كبيرة بين ما يرى المعلمون أنهم في حاجة للتدريب عليه من من الكفاءات ، وبين ما يرون أن غيرهم من المعلمين في حاجة للتدريب عليه .
ويشير الباحث في مناقشته للنتائج إلى النقص الواضح في أساليب تحديد الكفاءات ، ويحذر من خطورة الاعتماد على آراء المعلمين فقط .

ومن الواضح أن الصبغة الغالبة على الدراسات في هذا الاتجاه الثالث هي أن معظمها يركز على المشاكل والصعوبات التي يواجهها المعلم في الميدان فعلاً ، وبالتالي ، فهي تغفل الكفاءات الأساسية التي يعتقد المعلمون أنهم يجيدونها ، ومن ثم فإن النتائج أو قوائم الكفاءات التي تخرج بها هذه الدراسات تعتبر ناقصة وغير شاملة ، إذا كنا نهدف إلى تحديد الكفاءات التي ينبغي تضمينها في برامج إعداد المعلمين ، وهو ما يشير إلى الحاجة إلى مزيد من البحوث في هذا المجال .

الطريقة والإجراءات :

أداة البحث :

الأداة التي استخدمت في هذا البحث هي « استبيان مهارات التدريس » وقد اعتمد الباحثان في تحديد الكفاءات الأساسية التي ضمنت في الاستبيان على ثلاثة مصادر رئيسية :

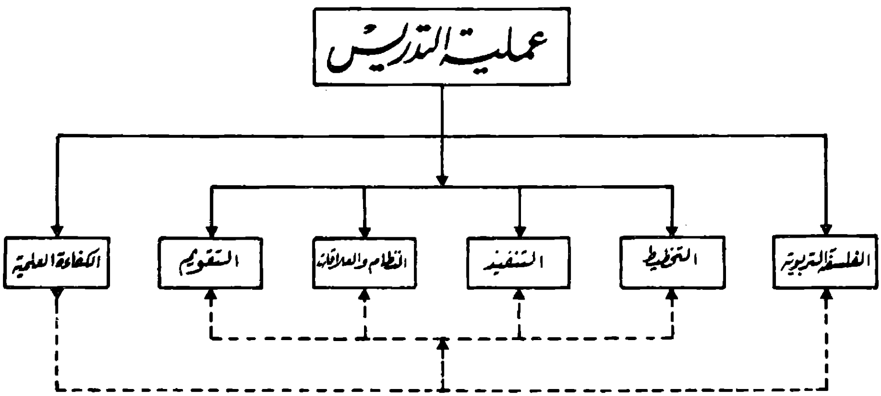
١ – نتائج البحوث السابقة في الميدان ، والتي عرضنا لأهمها في القسم السابق .

٢ – قوائم الكفاءات المنشور ة مثل قائمة اهرنبرج (Ehrenberg, 1974) وقائمة شميدتلين (Schmidtlein, 1970) وقائمة تيرنر (Turner, 1973) .

٣ – تحليل عملية التدريس بإتباع أسلوب النظم .

وقد استخلص الباحثان مجموعة من الكفاءات الأساسية بلغ عددها ٤٨ كفاءة . وقد صنفت هذه الكفاءات في مجالات رئيسية هي : الفلسفة التربوية ، الكفاءة العلمية والنمو المهني ، تخطيط الدرس ، تنفيذ الدرس ، النظام والعلاقات الإنسانية ، التقويم .

وقد استند الباحثان في هذا التصنيف إلى تصور لعملية التدريس كنظام (System) يتألف من مجموعة من المكونات الأساسية المتداخلة والمتفاعلة تفاعلاً وظيفياً ، ويمثلها الشكل التالي :



تحليل عملية التدريس

ويختلف هذا التصور عن غيره من التصورات السابقة لعملية التدريس ، والتي كانت تركز في الغالب على الكفاءات المتعلقة بالتخطيط والتنفيذ والتقويم مثل تصورات كوبر وآخرين (Cooper, et al, 1977) ، ادواردز وآخرين (Edwards, et al, 1977) .

أما في هذا النموذج فقد رأينا أن هناك ضرورة لتضمينه الكفاءات المتعلقة بالفلسفة التربوية التي يعمل المعلم في إطارها ، والكفاءات المتعلقة بالنمو المهني والتمكن من المادة الدراسية ، إذ لا يخفي ما لهذه الكفاءات من أهمية وتأثير مباشر على عملية التدريس .

وزعت الكفاءات الثمانية والأربعون على ثمان مجموعات ، بحيث تشتمل كل مجموعة على كفاءة واحدة من كل مجال من المجالات الستة المذكورة . وقد روعي أن تختار كفاءات كل مجموعة بطريقة عشوائية ، كذلك تم ترتيبها داخل كل مجموعة بطريقة عشوائية أيضاً .

وقد قدم للاستبيان بتعليمات مبسطة تشرح الهدف منه ، وتطلب من المستفتين أن يرتبوا الكفاءات الواردة في كل مجموعة على حدة وفقاً لأهميتها لعمل المعلم من وجهة نظرهم ، بحيث تعطي أهم الكفاءات رقم (١) والتي تليها في الأهمية رقم (٢) وهكذا حتى رقم (٦) ويعطي لأقل الكفاءات أهمية من وجهة نظر المستجيبين . وقد روعي ألا يكتب المستجيبون أسماءهم على الاستبيان ، ضماناً لصدقهم في التعبير عن آرائهم . ونظراً لأن مفهوم الكفاءات قد يكون غير مألوف لبعض المستفتين ، فقد سمي الاستبيان باسم استبيان مهارات التدريس ، على إعتبار أن مفهوم « المهارة » أكثر شيوعاً وألفة .

عينـــة البحث :

ضمت عينة البحث ٢٠٦ من المهتمين بعملية التدريس وقد شملت العينة مجموعتين رئيسيتين هما :

أ ـ مجمـــوعة المعلمين :

وقد بلغ عدد أفرادها ١٥٧ معلماً ومعلمة ، روعي في اختيارهم أن تمثل فيهم فئات ثلاث هي :

ـ معلمون تحت الإعداد : وتضم ٣٠ طالباً ، ٣٠ طالبة من طلاب بكالوريوس

كلية التربية بجامعة قطر . وقد تدرب هؤلاء الطلاب على عملية التدريس أثناء التربيــة العمليــة .

- معلمون ممارسون من ذوي الخبرة في الميدان : وتضم ٣٠ معلماً و٣٠ معلمة . . وقد أفادت البيانات التي أوردها المستجيبون أن متوسط سنوات الخبرة للمعلمين كانت ٢٣ر١٣ سنة وللمعلمات ٩٤ر٨ سنة .

- معلمون ممارسون : من ذوي الخبرة في الميدان ويواصلون النمو المهني عن طريق الدراسة المتخصصة في العلوم التربوية ، وتضم ١٤ معلماً متوسط خبرتهم بالتدريس ٤٤ر٢١ سنة ، ٢٣ معلمة بلغ متوسط خبرتهن ٩٥ر٨ سنة .

ب - مجموعة الأساتذة :

وقد بلغ عدد أفرادها ٤٩ فرداً ، روعي في اختيارهم أن يمثلوا الفئات المختلفة التي تشارك في إعداد المعلمين وهي :

- مشرفو التربية العملية : وقد بلغ عددهم ١٧ مشرفاً وهم من ذوي الخبرة الطويلة في التوجيه والإشراف التربوي .

- أعضاء هيئة التدريس : بكلية التربية في المواد النفسية والتربوية وقد بلغ عددهم ١٦ فرداً .

- أعضاء هيئة التدريس في المواد التخصصية : الذين يدرسون لطلاب وطالبات كلية التربية وقد بلغ عددهم ١٦ فرداً .

تحليل البيانات :

بعد تطبيق الاستبيان اتبعت الخطوات الآتية في تفريغ البيانات وتحليلها :

١ - أعطيت درجات للكفاءات الواردة في الاستبيان تتراوح من درجة واحدة إلى ٦ درجات لكل كفاءة ، وذلك بناء على الرتبة التي أعطاها المستجيب للكفاءة . فالكفاءة التي وضعت في المرتبة الأولى من حيث الأهمية ، أعطيت الدرجة ٦ ،

والـكفاءة التي وضعت في المرتبة الثانية ، أعطيت الدرجة ٥ ، وهـكذا .

٢ – حسبت المتوسطات والانحرافات المعيارية في كل مجال من مجالات الـكفاءات ، لـكل فئة من فئـات العينـة على حـدة .

٣ – أجرى تحليل التباين بالاعتماد على متوسطات الدرجات لـكل مجال من المجالات الستة ، وذلك للكشف عن أثر المتغيرات المدروسة (Edwards, A.L. 1969) .

٤ – استخدمت النسبة الحـرجة في المقـارنة بين المعلمين (بفئاتهم المختلفة) من جهة وبين المسئولين عن إعدادهم من جهة أخرى .

٥ – حسبت متوسطات درجات كل كفاءة على حدة للمعلمين وللأساتذة ، وكذلك المتوسط العـام . ثم رتبت داخل كل مجال حسب أهميتها من وجهة نظر جميع المستجيبين .

النتـــــائج

يوضح الجـدول رقم (١) المتوسطات والانحرافات المعيارية في مجالات الكفاءات الستة ، لـكل فئة من فئـات العينـة .

جدول رقم (١) المتوسطات والانحرافات المعيارية في مجالات الكفاءات

المجمـــوعة		الفلسفة التربوية	الكفاءة العلمية	النظـام والعلاقات الانسانية	تخطيط الـدرس	تنفيـــذ الـدرس	التقـويم
طـــلاب	م	١٠ر٢٥	٣٧ر٢٨	١٠ر٢٤	٦٧ر٣٤	٦٠ر٣٠	٦٣ر٢٤
ن — ٣٠	ع	١٥ر٧	٩٣ر٥	٥٥ر٦	٠٤ر٥	٣٥ر٥	٥٥ر٤
طـالبات	م	٤٠ر٢٣	١٠ر٢٨	٨٠ر٢٠	٨٧ر٣٤	٨٣ر٣٠	٩٠ر٢٩
ن — ٣٠	ع	٩٢ر٥	٦٥ر٤	٣٢ر٤	٨٢ر٤	٦٧ر٤	١٦ر٥
معلمـــون	م	٢٣ر٢٥	١٣ر٢٩	٩٠ر٢٣	٥٠ر٣١	٨٠ر٣٢	٣٣ر٢٥
ن — ٣٠	ع	٢٥ر٧	٢٠ر٤	٩٣ر٥	٩٨ر٤	٧٦ر٤	٧٢ر٤
معلمـــات	م	٦٣ر٢٤	٢٣ر٢٩	٢٠ر٢١	٢٣ر٣٣	٠٧ر٣٣	٨٧ر٢٦
ن — ٣٠	ع	٦٦ر٦	٥٩ر٥	٧٦ر٥	٥٦ر٤	٦٠ر٦	٦٧ر٤
دبلوم خاصة ذكور	م	٧٨ر٢٩	١٤ر٣٢	٣٦ر١٩	٠٠ر٣٣	٠٠ر٢٧	٠٧ر٢٧
ن — ١٤	ع	٨٩ر١٠	٢٩ر٤	٣٦ر٤	٥٧ر٦	٢٠ر٧	٥٣ر٤
دبلوم خاصة إناث	م	٠٠ر٢٤	٧٤ر٣٠	٩٦ر٢٠	٠٤ر٣٣	١٣ر٣٢	٣٠ر٢٧
ن — ٢٣	ع	٨٣ر٧	٨٨ر٥	٩٥ر٥	٩٤ر٤	٤٩ر٦	٠٤ر٦
مشرفو التربية العملية	م	١٢ر٢٤	٥٩ر٣٠	٠٠ر١٩	٤١ر٣٥	٢٩ر٣١	٥٣ر٢٧
ن — ١٧	ع	٩٩ر٩	٧٢ر٥	٥٦ر٦	٠٠ر٥	٤٩ر٥	٩٤ر٥
أساتذة التربيـــة ، وعـــلم النفس	م	٥٦ر٢٦	٠٦ر٣٠	١٩ر١٨	٣٧ر٣٤	٨١ر٣٠	٦٩ر٢٧
ن — ١٦	ع	٥٧ر١٢	٧٩ر٤	٩٠ر٦	٣٢ر٦	٦٤ر٦	٦٨ر٦
أساتذة مـواد	م	٣١ر٢٤	١٩ر٣١	٣٧ر١٩	٩٤ر٣١	٨١ر٣٠	١٩ر٣٠
ن — ١٦	ع	٦٣ر٩	٣٧ر٣	٩٦ر٤	١٤ر٥	٠٢ر٦	٤٩ر٥

جدول رقم (٢)

نتائج تحليل التباين لدرجات نوعيات المعلمين في المجالات المختلفة

مجال الكفاءات	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	التباين	النسبة الفائية	مستوى الدلالة
الفلسفة التربوية	الجنس	١٠ر٨٨١١	١	١٠ر٨٨١١	٤ر٨٣٥	ر٠٥
	النوعية	٧ر٥١٥٧	٢	٣ر٧٥٧٨	١ر٦٦٩	
	التفاعل	٧ر٤٤٨	٢	٣ر٧٢٤	١ر٦٥٥	
	الخطأ		١٥١	٢ر٢٥٠٦		
الكفاءة العلمية والنمو المهني	الجنس	٠ر٤١٠٨	١	٠ر٤١٠٨	٠ر٣٦٨	
	النوعية	١٠ر٨٤٨٤	٢	٥ر٤٢٤٢	٤ر٨٥٨	ر٠١
	التفاعل	٠ر٦١٠٧	٢	٠ر٣٠٥٣	٠ر٢٧٣	
	الخطأ		١٥١	١ر١١٦٤		
النظام ، والعلاقات الإنسانية	الجنس	٣ر٢٢٦٦	١	٣ر٢٢٦٦	٢ر٤٥٣	
	النوعية	٧ر٣١٠٨	٢	٣ر٦٥٥٤	٢ر٧٧٩	
	التفاعل	٧ر١٤٣٣	٢	٣ر٥٧١٦	٢ر٧١٥٢	
	الخطأ		١٥١	١ر٣١٥٤		
تخطيط الدرس	الجنس	٠ر٦٤٦٨	١	٠ر٦٤٦٨	٠ر٦٦٤٦	
	النوعية	٦ر١٨٣٧	٢	٣ر٠٩١٨	٣ر١٧٧	ر٠٥
	التفاعل	٠ر٨٧٠٤	٢	٠ر٤٣٥٢	٠ر٤٤٧	
	الخطأ		١٥١	٠ر٩٧٣١٥		
تنفيذ الدرس	الجنس	٥ر٢٨٢٨	١	٥ر٢٨٢٨	٣ر٨٦٣٥	٠ر٠٥
	النوعية	١١ر٧٣٨٥	٢	٥ر٨٦٩٢	٤ر٢٩٢٤	٠ر٠٥
	التفاعل	٧ر٩٣٨٥	٢	٣ر٩٦٩٢	٢ر٩٠٣	
	الخطأ		١٥١	١ر٣٦٧٣٤		
التقويم	الجنس	٨ر٢٦٠٣	١	٨ر٢٦٠٣	٨ر٠٨٩	٠ر٠١
	النوعية	١ر٦٩٣٩	٢	٠ر٨٤٦٩	٠ر٨٢٩	
	التفاعل	٦ر٧٣٨٧	٢	٣ر٣٦٩٣	٣ر٢٩٩	٠ر٠٥
	الخطأ		١٥١	١ر٠٢١١٦		

يتضح من نتائج تحليل التباين لدرجات النوعيات المختلفة للمعلمين في المجالات الستة (جدول رقم ٢) ما يلي :

(أ) وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث في إدراكهم للأهمية النسبية للكفاءات المندرجة تحت ثلاثة مجالات هي الفلسفة التربوية (مستوى الدلالة ٠٥ر٠) تنفيذ الدرس (٠٥ر٠) التقويم (٠١ر٠) . وبالرجوع إلى الجدول رقم (١) ، نجد أن تقدير الذكور للأهمية النسبية للكفاءات المتعلقة بالفلسفة التربوية كان أعلى من تقدير الإناث لها ، بينما كان تقدير الإناث للكفاءات المتعلقة بتنفيذ الدرس وبالتقويم أعلى من تقدير الذكور . أما بالنسبة للكفاءات المندرجة تحت مجالات الكفاءة العلمية والنمو المهني ، النظام والعلاقات الإنسانية ، وتخطيط الدرس ، فلم تكن الفروق ذات دلالة إحصائية بين الجنسين . على أنه ينبغي أن ننظر إلى هذه النتائج المتعلقة بالفروق بين الجنسين بإعتبار أنهـا مبدئية (Tentative) تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث ، نظراً لأن متغير الجنس لم يعالج في أي من الدراسات السابقة .

(ب) وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين فئات المعلمين الثلاثة في إدراكهم للأهمية النسبية للكفاءات المتعلقة بمجالات الكفاءة العلمية والنمو المهني (٠١ر٠) تخطيط الدرس (٠٥ر٠) ، تنفيذ الدرس (٠٥ر٠) . وبحساب النسبة الحرجة بين كل فئتين في هذه المجالات الثلاثة اتضح :

- ان المعلمين والمعلمات الذين يدرسون دراسات تربوية متخصصة (الدبلوم الخاصة) أعطوا أهمية أكبر للكفاءات المتعلقة بالكفاءة العلمية والنمو المهني من فئتي المعلمين تحت الإعداد والمعلمين الممارسين (النسبة الحرجة ٩٢٥ر٢ ، ٩٩٥ر١ على التوالي) .

- كان تقدير المعلمين تحت الإعداد (طلاب وطالبات بكالوريوس التربية) للكفاءات المتعلقة بتخطيط الدرس أعلى من تقدير المعلمين الممارسين (النسبة الحرجة ٧٣٩ر٢) .

- بالنسبة للكفاءات المتعلقة بتنفيذ الدرس كان تقدير المعلمين الممارسين لها أعلى من تقدير الفئتين الأخرتين (النسب الحرجة ٢٨٨ر٢ ، ٣٠٠٣ر٢) .

وتبدو هذه النتائج منطقية ومقبولة إذا ما نظرنا إلى خصائص كل فئة من فئات المعلمين الثلاثة . فليس من المستغرب أن يهتم المعلم تحت الإعداد أكثر بالكفاءات الخاصة بتخطيط الدرس وصياغة أهدافه وتحليل محتواه واختيار أنسب الاستراتيجيات لتنفيذه . بينما يركز المعلمون الممارسون بحكم وجودهم اليومي في الميدان على الكفاءات المتعلقة بتنفيذ الدرس .

أما ما أظهره المعلمون الذين يدرسون دراسات تربوية متخصصة من اهتمام أكبر بالكفاءات المتعلقة بالكفاءة العلمية والنمو المهني ، فهو يتسق أيضاً مع عودتهم للدراسات التربوية المتعمقة بعد قضاء فترة طويلة في ممارسة التدريس ، والذي يعكس إحساسهم بأهمية النمو المهني وضرورته . وتتفق هذه النتائج أيضاً مع ما توصل إليه (انجرسول ، ١٩٧٦) من أن إدراك المعلمين لأهمية الكفاءات تتأثر بعدد سنوات الخبرة التي قضوها في التدريس . ولا شك أن بعد الخبرة يختلف في فئات المعلمين الثلاثة التي تضمنتها عينة البحث الحالي .

أما بالنسبة للمجالات الثلاثة الأخرى فلم تكن الفروق ذات دلالة إحصائية .

ثانياً - الفروق بين فئات الأساتذة : -

تبين نتائج تحليل التباين لدرجات فئات الأساتذة في المجالات الستة (جدول رقم ٣) .

جدول رقم (٣)

نتـــائج تحليـــل التبـــاين لدرجات فئـــات الأساتذة

مجـــال الكفاءات	مصـــدر التبـــاين	مجمـــوع المربعـــات	درجات الحريه	التبـــاين	النسبة الفائية	مستوى الدلالة
الفلسفة	بين المجموعات	٥٩ر٦٩٨	٢	٢٩ر٨٤٩	٠ر٢٥٦	غير دالة
التربوية	داخل المجموعات	٥٣٦٣ر٠٦٠	٤٦	١١٦ر٥٩		
	المجمـــوع	٥٤٢٢ر٧٥٨	٤٨			
الكفاءة	بين المجموعات	١٠ر٢٢٩	٢	٥ر١١٤	٠ر٢٢٦	غير دالة
العلميـــة	داخل «	١٠٤٠ر٧٥٠	٤٦	٢٢ر٦٢٥		
والنمـــو						
المهـــني	المجمـــوع	١٠٥٠ر٩٧٩	٤٨			
النظـــام	بين المجموعات	١١ر٦٧٧	٢	٥ر٨٣٨	٠ر١٥١	غير دالة
والعلاقات	داخـل «	١٧٧٤ر٠٢٠	٤٦	٣٨ر٥٦٦		
الإنسانية						
	المجمـــوع	١٧٨٥ر٦٩٧	٤٨			
تخطيط	بين المجموعات	١٠٣ر٦٩٣	٢	٥١ر٨٤٦	١ر٧٠٧	غير دالة
الـدرس	داخل «	١٣٩٦ر٦٥٠	٤٦	٣٠ر٣٦٢		
	المجمـــوع	١٥٠٠ر٣٤٣	٤٨			
تنفيـــذ	بين المجموعات	٢ر٥٦٠	٢	١ر٢٨	٠ر٠٣٥	غير دالة
الـدرس	داخل «	١٦٩٠ر٣٦٠	٤٦	٣٦ر٧٤٧		
	المجمـــوع	١٦٩٢ر٩٢٠	٤٨			
التقـــويم	بين المجموعات	٧٢ر٠٩٠	٢	٣٦ر٠٤٥	٠ر٩٨٢	غير دالة
	داخل «	١٦٨٨ر٠٢٠	٤٦	٣٦ر٦٩٦		
	المجمـــوع	١٧٦٠ر١١٠	٤٨			

ان الفروق بين فئات الأساتذة لم تكن دالة إحصائيا في أي مجال من مجالات الكفاءات الستة ، مما يشير إلى وجود اتفاق واضح بين جميع المشاركين في إعداد المعلمين على الأهمية النسبية للكفاءات المختلفة اللازمة للمعلم الناجح .

ثالثاً : الفروق بين المعلمين والأساتذة :

استخدمت النسبة الحرجة للمقارنة بين متوسطات تقديرات كل من المعلمين والأساتذة في مجالات الكفاءات الستة . والجدول رقم (٤) يوضح المتوسطات والانحرافات المعيارية ، وكذلك النسب الحرجة للفروق بين المتوسطات .

جدول رقم (٤)

النسب الحرجة للفروق بين متوسطات درجات المعلمين والأساتذة في المجالات المختلفة

مجال الكفاءات	معلمون		أساتذة		النسبة الحرجة
	م	ع	م	ع	
الفلسفة التربوية	٢٤ر٩٧	٧ر٤٢	٢٤ر٩٨	١٠ر٥٢	—
الكفاءة العلمية	٢٩ر٣١	٥ر٢٤	٣٠ر٦١	٤ر٦٣	١ر٦٦
النظام والعلاقات	٢١ر٩٩	٥ر٧٧	١٨ر٨٦	٦ر٠٤	٣ر٢٠
تخطيط الدرس	٣٣ر٤٤	٤ر٩١	٣٣ر٩٤	٥ر٥٣	٠ر٥٦٧
تنفيذ الدرس	٣١ر٤٤	٥ر٨٩	٣٠ر٩٨	٥ر٧٨	٠ر٤٧٨
التقويم	٢٦ر٨١	٥ر١٩	٢٨ر٤٥	٥ر٩٩	١ر٧٢٤

يتضح من الجدول السابق أن الفروق بين المعلمين والأساتذة فيما يتعلق بكفاءات كل مجال على حدة لم تكن دالة إحصائياً ، إلا في الكفاءات المتعلقة بمجال النظام والعلاقات الإنسانية ، حيث بلغت النسبة الحرجة ٣ر٢٠ ، وهي دالة على مستوى ٠ر٠١ ، وقد كان تقدير المعلمين لهذه الكفاءات أعلى من تقدير الأساتذة لها .

وتبدو هـذه النتيجـة منطقية ومقبولة أيضاً ، ذلك لأن إحساس المعلمين بأهميـة هـذه الكفاءات أكبر ، كنتيجة لوجودهم في موقف التدريس الفعلي داخل الفصل الدراسي ، واحتكاكهم المباشر بالتلاميذ في المـدارس . وعلى الرغم من أن الأساتذة بحكم عملهم هم معلمـون أيضاً ، إلا أن مشاكل النظـام والعلاقات الإنسانية داخل المدارس تختلف بطبيعـة الحـــال عنها داخـل الجامعـة .

أما بالنسبة لترتيب مجالات الكفاءات ، فإن متوسطات المجموعتين في الجـدول السابق ، توضح أنه لا يوجـد اختلاف في ترتيب المجالات بين المعلمين والأساتذة ، فالاتفاق تام بين المجموعتين فيما يتعلق بالأهميـة النسبية لهـذه المجالات . فقـد احتل تخطيط الدرس المرتبة الأولى ، وتنفيذا لدرس المرتبة الثانية والكفاءة العلمية والنمو المهني المرتبة الثالثة ، والتقـويم المرتبة الرابعة ، والفلسفة التربوية المرتبة الخامسة ، وأخيراً النظـام والعلاقات الإنسانية المرتبة السادسة ، في المجموعتين .

والجـدير بالذكر أن النتيجة المتعلقة بالرتبة المتدنية لكفاءات النظـام والعلاقات الإنسانية تختلف بشكل واضح عن نتائج الدراسات السابقة في هـذا الميـدان ، فقـد أوضحت هـذه الدراسات أن كفاءات النظـام وضبط الفصل كانت تحتل في الغالب المرتبة الأولى أو الثـــانية (ارجع إلى دراسات : فرانك Franc, 1970 ، كرويكشانك Cruickshank, 1974 ، هاول Howell, 1973 ، هارو وآخرين Harrow, et al, 1973) بينما نجـدها في البحث الحالي تحتل المرتبة الأخـيرة ، سواء كان ذلك من وجهة نظـر المعلمين تحت الإعـداد أو الممارسين ، أو من وجهة نظـر القائمين على إعـداد المعلم . ولا شك أن هذا الاختلاف في النتائج يثير بعض التساؤلات . فهل يرجع ذلك إلى اختلاف النظـام التعليمي في دولـة قطـر عنه في الولايات المتحـدة الأمريكية التي أجريت فيها تلك الدراسات ؟ أم يرجع ذلك إلى أن المعلمين والأساتذة في عينة البحث لا يجدون مشكلة في حفظ النظـــام وضبطه داخل الفصل الدراسي ؟ إن الإجابة عن مثل هذه التساؤلات تحتاج إلى مزيد من الدراسات في هذا المجـال .

رابعاً : ترتيب كفاءات التدريس :

يتعلق السؤال الأخير من أسئلة البحث بترتيب كفاءات التدريس من حيث أهميتها النسبية من وجهة نظر أفراد العينة . وللإجابة على هذا السؤال ، تم حساب متوسط درجات كل كفاءة بالنسبة لمجموعة المعلمين ومجموعة الأساتذة كل على حدة. وبحساب معامل الارتباط بين تقديرات المجموعتين وجد أنه يساوي ٩١ر٠ ، وهو ارتباط عال يدل على اتفاق كبير بين المجموعتين . لذلك رأينا ترتيب الكفاءات على أساس المتوسط العام للعينة ككل . ويوضح الجدول رقم (٥) مجالات الكفاءات مرتبة حسب أهميتها النسبية من وجهة نظر أفراد العينة . وفي داخل كل مجال رتبت الكفاءات المندرجة تحته وفق ترتيبها العام .

جدول رقم (٥)

متوسطات الدرجات للكفاءات المختلفة وترتيبها

الكفاءات	م عام	الرتبة
تخطيط الدرس : ـ		
ـ أن يختار أنسب الاستراتيجيات لتحقيق أهداف الدرس	٧٥ر٤	٣
ـ أن يصوغ أهداف الدرس صياغة سلوكية واضحة	٦٧ر٤	٤
ـ أن يراعي المستويات المختلفة للتلاميذ في إعداده للدرس	٤٥ر٤	٧
ـ أن يدرك الأهداف العامة للمقرر وكيفية تحقيقها	٣٣ر٤	٩
ـ أن يحدد أهداف الدرس في المجالات المعرفية والانفعالية والحركية	١٢ر٤	١٠
ـ أن يختار أفضل تنظيم لتتابع المعلومات في الدرس	٠٥ر٤	١٢
ـ أن يستطيع تحليل محتوى الدرس إلى مكوناته	٧٣ر٣	١٩
ـ أن يختار الوسائل التعليمية المناسبة لتحقيق أهداف الدرس	٦١ر٣	٢٣
تنفيذ الدرس :		
ـ أن تكون لديه المرونة الكافية لتغيير طريقة التدريس أثناء الدرس		

الكفـــاءة	م عـــام	الرتبة
إذا اقتضى الأمـر ذلك	٤ر٦٦	٥
ـ أن يستثير دافعية التـلاميذ للمشاركة في الـدرس	٤ر٤٦	٦
ـ أن يجيد استخدام الأسئلة التي تيسر التفاعل بينه وبين التلاميذ	٣ر٩٥	١٣
ـ أن يجيد فن الاستماع للتلاميذ وملاحظة استجاباتهم والاستفادة منها	٣ر٨٨	١٥
ـ أن يعـرض المعـلومات بطـريقة شيقة	٣ر٨٧	١٧
ـ أن يحسن استخدام الوسائل التعليمية المناسبة	٣ر٦١	٢٤
ـ أن يجيـد بلـورة النقـــاط الرئيسيـــة في الـدرس	٣ر٥٨	٢٥
ـ أن يستخدم أساليب التعـزيز المناسبة في تدريسه	٢ر٩٩	٣٦
الكفاءة العلمية والنمو المهـــني :		
ـ أن يكون ملماً بالحقـائق والمفـاهيم الرئيسية في مـادة تخصصه	٤ر٩٣	١
ـ أن يعرف المصادر الأساسية للمعلومات في مادة تخصصه وكيفية الا ستفادة منها	٤ر٨٣	٢
ـ أن يتابع التطـورات الحـديثة في مجـال تخصصه	٣ر٨٤	١٨
ـ أن يفهـم التنظيم المنطقي لـمادة تخصصه وأساليب البحث فيها	٣ر٧١	٢٠
ـ أن يجيـد المهارات العملية أو المعملية التي تستلزمها مـادة تخصصه	٣ر٤٥	٢٨
ـ أن يدرك مفهوم التعلم المستمر وضرورة الاشتراك في دورات التدريب أثنـاء الخـــدمة	٣ر٤٠	٣٠
ـ أن يتابع الجـــديد في البحـــوث التربوية والنفسية	٣ر٣٢	٣٢
ـ أن يميز بين التجديد التربوي المفيـد وبين البـدع التي تظهر من وقت لآخـر	٢ر٨٣	٣٩
التقـــــويم :		
ـ أن يستطيع تعديل طريقة تدريسه بما يتفق مع ما تسفر عنه عملية التقـــــويم	٤ر٤١	٨

الكفــاءة	م عــام	المرتبة
– أن يستطيع اكتشاف صعوبات التعلم لدى التلاميذ وتحديد أسبابها .	٤ر١٠	١١
– أن يشخص نقــاط الضعف في تدريسه	٣ر٦٦	٢١
– أن يعالج نقــاط الضعف التي يكتشفها في تحصيل تلاميذه	٣ر٤٩	٢٧
– أن يدرك أهمية استمرارية عملية التقويم وأن يعمل على تحقيقها	٣ر٣٧	٣١
– أن يستطيع تطبيق أساليب التقــويم المناسبة لقياس جوانب النمو المعرفي والانفعالي والحركي	٢ر٩٦	٣٧
– أن يستطيع إعداد الاختبارات التي تقيس تحصيل التلاميــذ	٢ر٩١	٣٨
– أن يحسن تفسير نتــائج الاختبارات	٢ر٧٩	٤١
الفلسفة التربويــة :		
– أن يدرك أهداف المرحلة التعليمية التي يعمل بها	٣ر٩٣	١٤
– أن يكون لنفسه فلسفة تربويــة سليمة	٣ر٨٨	١٦
– أن يكون واسع الأفق متفتحاً على التجارب التربوية في العالم	٣ر٦٥	٢٢
– أن يفهم وظيفة المدرسة في ظل الفلسفة التربوية السائدة	٣ر٥٣	٢٦
– أن يفهم مشكلات النظام التعليمي الذي يعمل به وجذورها التاريخية	٣ر٢٣	٣٣
– أن يفهم العلاقة بين الفلسفة التربوية وفلسفة المجتمع وثقافته	٢ر٨٠	٤٠
– أن يدرك أوجه الشبه والاختلاف في الفلسفات التربوية .	٢ر٤٠	٤٣
– أن يفهم بنية النظام التعليمي والعلاقات بين الإدارات والأقسام المختلفة .	١ر٩٨	٤٧
النظــام والعلاقات الإنسانية :		
– أن يكون علاقات طيبة مع التلاميذ	٣ر٤٢	٢٩
– أن يحسن التصرف واستخدام الأساليب المناسبة لتعديل السلوك غير المرغوب فيه لدى التــلاميذ	٣ر١٨	٣٤
– أن يحافظ على النظام في الفصل	٣ر٠١	٣٥

الكفـــاءة	م عـــام	المرتبة
– أن يشارك في اتخاذ القرارات الخاصة برسم السياسة التعليمية في المدرسة	٢ر٦٢	٤٢
– أن ينمي الانضباط الذاتي لدى التلاميذ	٢ر١٤	٤٤
– أن يشارك في أوجه النشاط المدرسي المختلفة	٢ر١٢	٤٥
– أن يحسن استخدام السلطة المعطاة له في تعامله مع التلاميذ	٢ر٠٩	٤٦
– أن يكون علاقات طيبة مع الإ دارة والرؤساء	١ر٦٦	٤٨

على أنه ينبغي ألا يفهم من هذا الترتيب للكفاءات اللازمة للمدرس ، أن هناك كفاءات أقل أهمية يمكن إهمالها في إعداد المعلم . ذلك أن المنظور الذي بدأ منه البحث يعتمد على أسلوب تحليل النظم ، الذي يولي أهمية لكل مكونات النظام . ويرى الباحثان أنه ينبغي عند التخطيط لبرامج إعداد المعلم المبنية على أساس إجادة كفاءات التدريس ، أن تؤخذ جميع الكفاءات في الاعتبار على أن يترك للمتدرب حرية البدء بأي منها ، وفقاً لإ حساسه بالحاجة إلى تلك الكفاءات .

خلاصـــة النتـــائج

يمكن إيجاز أهم النتائج التي توصل إليها البحث فيما يلي : –

١ – توجد فروق بين الذكور والإ ناث من المعلمين فيما يتعلق بالأهمية النسبية لبعض مجالات كفاءات التدريس . فقد كان تقدير الذكور لكفاءات الفلسفة التربوية أعلى من تقدير الإ ناث ، بينما كان تقدير الإ ناث لكفاءات تنفيذ الدرس ، والتقويم ، أعلى منه عند الذكور .

٢ – توجد فروق دالة بين فئات المعلمين الثلاثة في بعض مجالات الكفاءات . فقد أظهرت مجموعة المعلمين الممارسين والذين يدرسون دراسات تربوية متخصصة

اهتماماً أكبر بالكفاءة العلمية والنمو المهني . كذلك أظهر المعلمون تحت الإعداد اهتماماً أكبر بالكفاءات المتعلقة بتخطيط الدرس . بينما كان اهتمام المعلمين الممارسين بكفاءات تنفيذ الدرس أعلى من المجموعتين السابقتين .

٣ - لا توجد فروق بين فئات الاساتذة المشاركين في إعداد المعلم فيما يتعلق بالأهمية النسبية لمجالات الكفاءات المختلفة .

٤ - توجد فروق دالة بين مجموعة المعلمين ومجموعة الأساتذة فيما يتعلق بإدراكهم لأهمية الكفاءات المتعلقة بحفظ النظام والعلاقات الإنسانية . فقد أظهر المعلمون اهتماماً أكبر بهذه الكفاءات من الأساتذة .

٥ - يتفق المعلمون والأساتذة اتفاقاً تاماً فيما يتعلق بترتيب مجالات الكفاءات من حيث أهميتها النسبية .

٦ - كما يوجد اتفاق واضح بين المعلمين والأساتذة في ترتيبهم للكفاءات الفرعية .

REFERENCES :

1. Allen, D. and Ryan, K.

   Microteaching. Reading, Mass: Addison-Wesley publishing Company, Inc. 1969.

2. Bausell, R. and Baker and Moody, William B.,

   "The Effect of Teacher Experience on Student Achievement, Transfer, and Retention." Paper presented at the Annual American Educational Research Association Meeting, New York, February, 1971.

3. Borg, T. W. et al.

   The Minicourse Approach to Teacher Education. London: Macmillan, 1970.

4. Conant, James B.

   The Education of American Teachers, New York: McGraw-Hill Paper-backs, 1964.

5. Combs, A. W., et al.

   The Education of American Teachers, New York: McGraw-Hill Paper-**Teacher Preparation** (2nd ed.) Boston, Mass: Allyn & Bacon, Inc. 1974.

6. Cooper, J. E.

   A Survey of Protocol Materials Evaluation. **Journal of Teacher Education.** 1975, 26, No. 1.

7. Cooper, J. M. et al.

   Classroom Teaching Skills: A Handbook. Lexington, Mass. : Heath and Company, 1977.

8. Cruickshank, D. R., Kennedy, J. J. and Myers B.,

   Perceived problems of Secondary School Teachers. **Journal of Educational** Research, 1979, 68, pp. 154-59.

9. Doyle, W.

   Paradigms for research on teacher effectiveness. In L. S. Shulman (Ed) **Review of Research in Education** (Vol 5) Itasca, Ill. : F. E. Peacock, 1978.

10. D ziuban, Charles D. and Sullivan, Tomothy J.

    Teaching Competencies: An Investigation of Emphasis. **Phi Delta Kappan** 59:6, February 1978, pp. 422-424.

11. Edwards, A. L.
Experimental Design in Psychological Research (3rd ed) Holt International Ed., 1969.

12. Edwards, C. H. et al
Planning, Teaching and Evaluating. Chicago, Ill.: Nelson-Hall, 1977.

13. Ehrenberg, S. D.
A Taxonomy of Educational Competencies: For Classroom Instruction, For Instructional Leadership. Miami, Flo., Institute For Staff Development, 1974.

14. Franc, L. H.,
Problems Perceived by Seventy-five Beginning Elementary School Teachers. Doctoral dissertation, Teachers College, Columbia University, 1970.

15. Gagne, R. M., and Briggs, L. J.
Principles of Instructional Design (2nd ed), New York, N.Y., Holt, Reinhart and Winston, 1979.

16. Gall, M. D. et al.,
The Effects of Teacher Use of Questioning Techniques on Student Achievement and Attitudes. Final Report, Vol. 1. San Francisco: Far West Laboratory for Educational Research and Development, 1976.

17. Gregory, Thomas, B.
Encounters with Teaching: A Microteaching Manual. New Jersey, Englewood Cliffs, Prentice-Hall, Inc, 1972.

18. Hall, G. E. and Jones, H. L.
Competency-Based Education: A Process for the Improvement of Education Englewood Cliffs, N. J.: Prentice-Hall, Inc, 1976.

19. Harrow, T. L., Dziuban, C. D. and Rothberg.
An **Investigation into Student Teacher Problems During Practice Teaching.** Paper presented to the annual meeting of the American Educational Research Association, 1973.

20. Howell, J.,

Methodological and Instructional Needs of Inservice Teachers. Unpublished Manuscript, Springfield, Massachusetts. Public Schools, 1973.

21. Houston, W. R.

Objectives for prospective elementary teachers of Mathematics. **Journal of Teacher Education,** 1971, 22, 326—330.

22. Ingersoll, Gary M.,

Assessing Inservice Teacher Responses. **Journal of Teacher Education,** 1976, 27, 2, pp. 169—173.

23. Ingersoll, G. M. Jackson, J. M. and Walden, I.

Teacher Training Needs Conditions and Materials. A Preliminary Survey of Inservice Education. Report No. 8. Bloomington, Indiana: National Centre for the Development of Training Materials in Teacher Education, 1975.

24. Jensen, R. N.

Microteaching: **Planning and Implementing a Competency-Based Training Program.** Springfield, Ill.: Charles C. Thomas. Publisher, 1974.

25. Kennedy, J. J., Cruickshank, D. R. and Myers, B.,

Problems of Beginning Secondary School Teachers in Relation to School Location. **Journal of Educational Research,** 1974, 69, pp. 167—71.

26. Koerner, James D.,

The Miseducation of American Teachers. Baltimore, Md.: Penguin Books, 1964.

27. Medley, D. M.

Teacher Competence and Teacher Effectiveness: A Review of Process-Product Research. Washington, D. C.: American Association of Colleges for Teacher Education, 1977.

28. Perrott, E. et al.

Changes in Teaching behaviour after completing a self-instructional microteaching course. **Programmed Learning and Educational Technology.** 1975, 12, 1.

29. Popham, W. James.,

Teaching Skill under Scrutiny. **Phi Delta Kappan,** June 1971, pp. 599—602.

30. Rosenshine, B.

Classroom Instruction In N. L. Gage (Ed) **The Psychology of Teaching Methods: The 75th Yearbook of the National Society for the Study of Education.** Part 1. Chicago; University of Chicago Press, 1976.

31. Silberman, Charles E.

Crisis in the Classroom: The Remaking of American Education. New York Vintage Books, 1970.

32. Stoddart, J.

What is Microteaching? Film Notes. London: The British Council, 1978.

33. Stones, E. and Morris, S.

Teaching Practice: Problems and Perspectives. London: Methuen & Co. Ltd., 1972.

34. Turner, R. L. ed.,

A General Catalogue of Teacher Skills. Bloomington, Indiana: National Centre for Development of Training Materials in Teacher Education, 1973.

تميم في الإسلام

الدكتور
يحيى الجبوري
استاذ بقسم اللغة العربية

إسلام تميم :

كانت سنة تسع من الهجرة النبوية سنة الوفود ، هي سنة إسلام بني تميم على النطاق العام ، فقد كانت تميم بعيدة عن نفوذ الإسلام في الحجاز في أول عهده ، فلما انتصر المسلمون على المشركين ، قريش ومن معها ، وفتحوا مكة وانتصروا على هوازن وثقيف في معركتي حنين والطائف ، جاء رؤساء تميم وفدا إلى النبي ﷺ ، ولكن هذا الوفد كان مختلفاً عن وفود القبائل الأخرى التي جاءت لتعلن إسلامها ، وكان شاذاً بين وفود القبائل العربية ، إذ جاء ليناظر ويساوم . لقد شمل هذا الوفد وجوه تميم ورؤساءها وفرسانها وأعيانها في تلك الفترة ، وكان عليهم عطارد بن حاجب بن زرارة ، وفيهم الأقرع بن حابس ، والزبرقان بن بدر ، وعمرو بن الأهتم ، والحتات بن فلان ، ونعيم بن بدر ، وقيس بن عاصم ، في وفد عظيم من بني تميم ، وقد رافق الوفد الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن ، وكانا قد أسلما قبل ، وشهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحصار الطائف(١) .

(١) الطبري ٣ / ١١٥ ، وراجع ابن هشام – السيرة النبوية ٢ / ٥٦٠ – ٥٦١ ودائرة المعارف الإسلامية مادة (تميم) ٥ / ٤٧٣ ، وانظر أسماء الوفد في نهاية الأرب ١٨ / ٣٢ وما بعدها ، وقد أفرد وليد عرفات بحثاً حول وفد تميم والروايات التي جاءت حول الوفد ، ووقف عند صحة الشعر الذي قيل ، انظر :
W. Arafat :
"An interpretation of the different accounts of the visit of the Tamim delegation to the Prophet A.H. 9". BSOAS 1955 pp. 416-425.
وانظر كستر : مكة وتميم ص ٧٩ – ٨٢ الترجمة العربية .

ودخل الوفد مسجد الرسول ، وبغلظة بدوية صاروا ينادون من وراء الحجرات : أن اخرج إلينا يا محمد ، فآذى صياحهم ذلك رسول الله ﷺ (١) ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد جئناك لنفاخرك ، فأْذنْ لشاعرنا وخطيبنا ، فأذِن النبي ، فقام عطارد بن حاجب فقال مفاخراً ومعدداً مكرمات قومه :

« الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله ، الذي جعلنا ملوكاً ، ووهب لنا أموالاً عظاما نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عدداً ، وأيسره عدّة ، فمن مثلنا في الناس ، ألسنا برؤوس الناس وأولي فضلهم ، فمن يفاخرنا فليعدد مثل ما عددنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنا نحيا من الاكثار فيما أعطانا ، وإنّا نُعرف . أقول هذا الآن لتأتونا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا » ثم جلس (٢) .

وأول ما يلاحظ في هذه الخطبة اصطباغها بروح إسلامية مؤمنة ، فقد بدأها بحمد الله وبيان فضله عليهم ، ثم الفخر المتعالي ومكانة قبيلتهم ورفعتها وسيادتها على القبائل ، ثم هذا الإيجاز الشديد والجمل التي أحسن صياغتها وبرأها من الزيادة والفضول .

ثم أمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس بن شماس من بلحارث بن الخزرج أن يجيب عطارد بن حاجب خطيب تميم ، فقام ثابت فقال :

« الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شيٌ قط إلا من فضله . ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خير خلقه رسولاً أكرمهم نسباً ، وأصدقهم حديثاً ، وأفضلهم حسباً ، فأنزل عليه كتابه ، وائتمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان ، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رحمه ، أكرم الناس أنساباً ،

(١) ونزل فيهم فيما بعد قول الله تعالى : (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون » سورة الحجرات آية ٤ .

(٢) انظر الخطبة في الطبري ٣ / ١١٦ وقارنها برواية السيرة ٢ / ٥٦٢ ، وفي الروايتين خلاف يسير .

وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فعالاً ، ثم كان أول الخلق إجابة – واستجاب لله حين دعا رسول الله ﷺ – نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبدا ، وكان قتله علينا يسيرا ، أقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم » (١) .

وظاهر أن الخطبة مشربة بروح قرآنية وفهم إسلامي لحقيقة الدين وفضل الرسالة ومسيرة الدعوة ومن التف حولها من المهاجرين والأنصار ، فإذا أتى إلى الفخر ، لم يكن فخراً جاهلياً ، بل فخر المؤمنين بالرسالة والإيمان . وكما كانت خطبة عطارد بن حاجب قصيرة موجزة ، فكذلك رد ثابت بن قيس كان موجزاً دقيقاً ، مقتصراً على جوهر الكلام دون فضوله .

ثم يستأذن الوفد رسول الله ﷺ أن يلقي شاعرهم الزبرقان بن بدر شعراً ؛ فيأذن رسول الله ، فيقول الزبرقان مفاخراً (٢) :

نحن الكرام فلا حي يعادلنا ... منا الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الأحياء كلهم ... عند النهاب وفضل العز يتبع

وهي قطعة في ثمانية أبيات يفخر فيها بقومه وإنهم ملوك الناس الظاهرون عليهم الحاكمون من حولهم ، وهم كرام يطعمون عند القحط ، يقصدهم الناس فينحرون لهم ويطعمونهم فيشبع الآكلون ، وهم إذا فاخروا الأحياء دانت لهم وأقرت بفوزهم . ويطلب رسول الله حسان بن ثابت ، وكان غائباً ، فيستدعونه فيلبي ، ويرد حسان على قصيدة الزبرقان بقصيدة من جياد الشعر المرتجل (٣) :

إن الذوائب من فهر وأخوتهم ... قد بينوا سنّة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الاله وكل الخير يصطنع

(١) الطبري ٣ / ١١٦ وابن هشام ٢ / ٥٦٢ .
(٢) الطبري ٣ / ١١٦ – ١١٧ وابن هشام ٢ / ٥٦٣ .
(٣) الطبري ٣ / ١١٨ – ١١٩ وابن هشام – السيرة ٢ / ٥٦٤ – ٥٦٥ .

وهي قصيدة في ثمانية عشر بيتاً ، يختلط فيها المعنى الإسلامي بالفخر الجاهلي بمدح الرسول والمؤمنين ، في أسلوب سلس جميل ، يوافق المناسبة وينزل من نفوس الحاضرين منزل الرضا والإعجاب ، ولذلك فإن الأقرع بن حابس يبادر بذكر فضل الرسول وعلو خطيبه وتمكن شاعره ، فيقول : « وأبي إن هذا الرجل لمؤتّى له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، وأصواتهم أعلى من أصواتنا» ولا ننسى أن الأقرع بن حابس قد سبق قومه إلى الإسلام فأحب لهم أن يسلموا ، فأسلم القوم وجوّزهم رسول الله ﷺ فأحسن جوائزهم (١) ، وفرّق الرسول عماله فيهم : الزبرقان بن بدر ، وسهل بن منجاب ، وقيس بن عاصم .

ويعرض ابن هشام قصيدتين أخريين للزبرقان وحسان غير السابقتين ، فيزعم أن الزبرقان بن بدر لما قدم على الرسول عليه السلام ، قام فقال (٢) :

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا	إذا احتفلوا عند احتضار المواسم
بأنّا فروع الناس في كل موسم	وأن ليس في أرض الحجاز كدارم
وإنا نذود المعلمين إذا انتخوا	ونضرب رأس الأصيد المتفاقم
وأن لنا المرباع في كل غارة	نغير بنجد أو بأرض الأعاجم

ويجيبه حسان مفاخراً بنصرهم الرسول ، ثم مناقضاً ومهدداً بني دارم (٣) :

هل المجد إلا السؤدد العود والندى	وجاه الملوك واحتمال العظائم
نصرنا وآوينا النبي محمدا	على أنف راض من معد وراغم

ثم ينتهي إلى تهديد بني دارم في مثل قوله :

بني دارم لا تفخروا إن فخركم	يعود وبالاً عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم	لنا خول من بين ظئر وخادم

ثم يدعوهم إلى الإسلام بأسلوب فيه تهديد ووعيد :

فلا تجعلوا لله نداً وأسلموا	ولا تلبسوا زياً كزي الأعاجم

---

(١) الطبري ٣ / ١١٩ وابن هشام ٢ / ٥٦٧ . (٢) السيرة النبوية ٢ / ٥٦٥ – ٥٦٦ .

(٣) المصدر السابق والصفحة وانظر ديوان حسان ص ٣٨٣ – ٣٨٥ فيه زيادة .

وفي هـذه القصيدة ما يشجع على الشك فيها أو في بعض أبياتها ، ولذلك فإننا نرجح ما ذهب إليه وليد عرفات(١) ، من أن هذه القصيدة نظمت من قبل أحـد الأنصار المتأخرين ، ومن غير المنطقي أن ينهال حسان على وفـد تميم بهـذا السباب والتهـديد وبحضرة النـبي الكريم ، ومن غير المقبول أن يسكت النبي ﷺ على هـذا التهـديد وهو السياسي الذي عرف كيف يتألف قلوب الأعـراب ويلين لهم كي يذوقوا حـلاوة الـدين وسماحة الإ سلام .

هـذه قصة وفـد تميم وإسلامه سنة تسع للهجـرة وهي سنة إسلام جمهور تميم ، ولو لم تـكن كل تميم قد سارعت إلى الإ سلام ، فقـد بقيت بطـون منها على الشرك ، فقـد أرسل النبي عيينـة بن حصن فأغـار على بني العنـبر من تميم فأصاب منهم أناسا وسبى أناسا (٢) ، وذلك سنة عشر من الهجـرة ، فلما جيء بسبيهم ، ركـب فيهم وفـد من بني تميم فقـدموا على رسول الله ﷺ ، منهم : ربيعة بن رفيع وسبرة بن عمرو ، والقعقـاع بن معبد ، ووردان بن محرز ، وقيس بن عاصم ، والأقـرع بن حابس ، فكلمـوا رسول الله ﷺ ، فأعتق بعضاً ، وأفـدى بعضاً ، وقـد سـجل الفرزدق هـذه الحـادثة فقـال مفتخراً بالأقـرع بن حابس الذي أطلق الرسول له أسرى تميم(٣) :

وعند رسول الله قـام ابن حـابس ... بخطـة سـوار إلى المجـد حـازم

له أطـلق الأسرى التي في حبـاله ... مغلغـلة أعناقهـا في الشكـائم

كفـى أمهـات الخائفين عليهم ... غـلاء المفـادي أو سهام المقاسم

---

(١) W. Arafat: "An interpretation of the different accounts of the visit of the Tamim delegation of the Prophet A.H. 9". BSOAS 1955 pp. 416-425.

وانظر رد كستر عليه في : M. J. Kister: Macca and Tamim (Aspects of their relations) Journal of the Economic and Social History of the Orient. Vol. VIII. Part II. 1965. Leiden.

وانظر الترجمة العربية في كتاب : الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ص ٧٩ – ٨١ .

(٢) السيرة ٢ / ٦٢١ .

(٣) المصدر السابق ص ٦٢٢ . وانظر القصيدة في ديوان الفرزدق ص ٨٢٦ .

وقد سبق فريق من تميم إلى الإسلام ، فقد بادر إلى الدخول في رحاب الدين نفر من رجالهم ، كان لهم خطر وفضل وسابقة ، وحقاً ان المصادر لم تتحدث عن التميميين الذين سارعوا إلى الإسلام كما تحدثت عن مسلمي قريش أو الأنصار ، ولكننا نستطيع أن نمتحن بعض الروايات والأخبار ونمحصها ثم نخرج بمادة وافية عن مسلمي تميم السابقين بإحسان ، فقد كانت طوائف من تميم وقيس وأسد مع رسول الله ﷺ عند فتح مكة (١) ، وكان منهم أفراد سباقون إلى الإسلام ، ففي السنة الثانية من هجرة الرسول كان واقد بن عبد الله التميمي في سرية عبد الله بن جحش ، وكان النبي قد كتب لعبد الله كتاباً وأمره ألّا ينظر فيه حتى يسير يومين ، فلما فض الكتاب قرأه فإذا فيه : « إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ، فترصّد بها قريشا وتعلّم لنا من أخبارهم » ، فلما بلغ نخلة مرت به عير لقريش تحمل زبيباً وأدما وتجارة من تجارة قريش فيها عمرو بن الحضرمي ، فأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم وأخذ ما معهم ، فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، وأسروا أسيرين ، وكان ذلك في آخر يوم من رجب ، فلما قدموا على الرسول أنكر عليهم القتال في الشهر الحرام ، ثم أنزل الله في ذلك قرآناً : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله » (٢) ، وكان عمرو بن الحضرمي أول قتيل يقتله المسلمون (٣) ، وكان مقتله سبباً في نشوب معركة بدر (٤) ، وقد سجل الشعر هذه الحادثة فقال عبد الله بن جحش من أبيات (٥) :

سقينا من ابن الحضرمي رماحنا … بنخلة لما أوقد الحرب واقد

كان واقد بن عبد الله حليف بني عدى بن كعب قبيلة عمر بن الخطاب ، وكان في جملة من أسلم بدعوة من أبي بكر الصديق (٦) ، وكان إسلامه قبل دخول

(١) السيرة ٢ / ٢٤١ .
(٢) سورة البقرة آية ٢١٧ .
(٣) السيرة ١ / ٦٠١ – ٦٠٥ .
(٤) الطبري ٢ / ٤٢٠ – ٤٢١ .
(٥) السيرة ١ / ٦٠٥ – ٦٠٦ وتنسب الأبيات إلى أبي بكر ، وفي الاصابة ترجمة واقد نسب البيت إلى عمر بن الخطاب .
(٦) السيرة ١ / ٢٦٠ .

رسول الله ﷺ دار الأرقم ، وقد هاجر مع بني عدى إلى المدينة ونزلوا في بني عمرو بن عوف بقباء(١) ، وقد شهد واقد مع رسول الله ﷺ بدراً وأحدا والمشاهد كلها ، وتوفى في أول خلافة عمر بن الخطاب رحمهما الله(٢) .

ومن مسلمي تميم الأوائل السابقين إلى الإسلام خبّاب بن الأرتّ(٣) ، أسلم بدعوة من أبي بكر الصديق ، وكان حليفاً لبني زهرة(٤) ، كان خبّاب قد لحقه سباء في الجاهلية ، فاشترته امرأة من خزاعة(٥) ، واعتقته ، فهو تميمي النسب خزاعي بالولاء زهرى بالحلف ، وكان قَيْنا يعمل السيوف في الجاهلية ، كان قديم الإسلام ، أسلم سادس ستة ، وهو أول من أظهر إسلامه وعذب عذاباً شديداً لأجل ذلك ، قيل أن عمر بن الخطاب سأله عما لقى في ذات الله ، فكشف ظهره ، فقال عمر : ما رأيت كاليوم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد أوقدت نار فما أطفأها إلا شحمي(٦) .

كان خباب يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب أُخت عمر بن الخطاب ، يقرئها القرآن ، وكانت فاطمة وزوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قد أسلما وأخفيا إسلامهما عن عمر ، فلما علم عمر بإسلامهما عمد إليهما وكان عندهما خبّاب ابن الأرتّ معه صحيفة فيها (طـه) يقرئها إياها ، فلما سمعوا حس عمر ، تغيب خبّاب في بعض البيت ، وأخذت فاطمة الصحيفة فخبأتها ، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خبّاب عليهما ، فبطش بختنه سعيد بن زيد ، وضرب أُخته فشجها ، فلما رأى عمر ما بأُخته من الدم ندم على ما صنع وطلب الصحيفة ، فلما سمع خبّاب أن عمر قد لان خرج إليه فقال له : يا عمر ، والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة نبيه ، فإني سمعته أمس وهو يقول : اللهم أيّد

---

(١) السيرة ١ / ٤٧٧ .

(٢) راجع السيرة ١ / ٦٨٤ والطبري ٢ / ٤٢١ وابن سعد ٣ / ٣٩٠ والاصابة ٣ / ٦٢٨ رقم ٩٠٩٧ .

(٣) ابن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . حلية الأولياء ١ / ١٤٣ والاصابة ١ / ٤١٦ .

(٤) السيرة ١ / ٢٥٤ .

(٥) هي أم أنمار بنت سباع الخزاعية .

(٦) الاصابة ١ / ٤١٦ ترجمة رقم ٢٢١٠ .

الإسلام بأبي الحكم هشام أو بعمر بن الخطاب ، فالله الله يا عمر ، فقال له عند ذلك عمر : فدلني يا خبّاب على محمد حتى آتيه فأسلم . وبذلك كان إسلام عمر(١) .

وكان العاص بن وائل السهمي يسخر من خبّاب ومن دينه ، فقد عمل خبّاب سيوفاً وباعها للعاص بن وائل ، فلما جاء يتقاضاه أثمانها قال له : يا خبّاب ، أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب وفضة وثياب وخدم ، قال خبّاب بلى ، قال : فانظرني إلى يوم القيامة يا خبّاب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هنالك حقك ... فأنزل الله تعالى فيه :

(أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولدا اطلع الغيب) إلى قوله تعالى : (ونرثه ما يقول ويأتينا فردا) (٢) .

وقد شهد خباب بدراً والمشاهد كلها(٣) وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين جبر بن عتيك ، وروى عن رسول الله : وروى عنه كثيرون (٤) ، وقد أقطعه عثمان بن عفان اقطاعاً في العراق سنة ١٤ هـ مع نفر من الصحابة منهم ابن مسعود ، وابن ياسر ، وابن هبّار(٥) . وشهد مع علي بن أبي طالب صفين ، وتوفى بالكوفة في خلافة علي سنة سبع وثلاثين عن ثلاث وستين سنة ، وقد مرض في حياته مرضاً شديداً حتى كان يتمنى الموت ، وكان علي قد سأل عن قبور سبعة أو ثمانية ، فأجابه قدامة بن العجلان السعدي : يا أمير المؤمنين ، إن خبّاب بن الأرتّ توفى بعد مخرجك ، فأوصى بأن يدفن في الظهر ، وكان الناس يدفنون في دورهم وأفنيتهم ، فدُفن بالظهر رحمه الله ، ودفن الناس إلى جنبه ، فقال علي : رحم الله خبابا ، فقد أسلم راغباً ، وهاجر طائعاً ، وعاش مجاهداً ، وابتلي في جسمه أحوالا ، وإن الله لايضيع أجر من أحسن عملاً(٦) .

ومن متقدمي الإسلام من تميم هند بن أبي هالة ربيب رسول الله ﷺ ، فقد

(١) انظر السيرة ١ / ٣٤٣ - ٣٤٦ .
(٢) سورة مريم ٧٧ - ٨٠ والسيرة ١ / ٣٥٧ .
(٣) السيرة ١ / ٦٨١ .
(٤) الاصابة ترجمة رقم ٢٢١٠ .
(٥) الطبري ٣ / ٥٨٩ .
(٦) الطبري ٥ / ٦١ - ٦٢ .

كانت السيدة خديجة الكبرى قد تزوجت زواجها الثاني من أبي هالة بن مالك (١) أحد بني أُسيد بن عمرو بن تميم حليف بني عبد الدار ، فولدت هند بن أبي هالة (٢)، روى عن رسول الله ﷺ ، وروى عنه الحسن بن علي صفة النبي ، قتل هند يوم الجمل وكان مع علي بن أبي طالب ، كان هند فصيحاً بليغاً وصف النبي ﷺ فأحسن وأتقن (٣) .

ومن رجال تميم البارزين زمن رسول الله ﷺ المنذر بن ساوى بن الأخنس من بني دارم ، كان متولياً على البحرين ، وكان رسول الله قد أرسل إليه العلاء بن الحضرمي سنة ثمان قبل فتح مكة يدعوه إلى الإسلام ، فأسلم ، وتوفي بعد وفاة الرسول بشهر ، وارتد بعده أهل البحرين (٤) ، وقد كتب له النبي كتاباً جاء فيه : أن رسل رسول الله قد حمدوك ، وإنك مهما تصلح أصلح إليك ، وأثبتك على عملك وتنصح لله ولرسوله (٥) . وأرسل النبي إليه كتاباً آخر حول الصدقة والعشور ، وكتب المنذر كتاباً إلى النبي جاء فيه : « اني قد قرأت كتابك على أهل هجر ، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه » (٦) .

ونجد في وقعة حنين شعراً لعبد الله بن وهب التميمي من بني أُسيد ، يجيب على أبيات لأبي ثواب زيد بن صحار أحد بني سعد بن بكر ، الذي قال :

ألا هل أتاك أن غلبت قريش ... هوازن والخطوب لها شروط

في ستة أبيات ، فأجابه عبد الله بن وهب يناقضه وينافح عن المسلمين(٧) :

بشرط الله نضرب من لقينا ... كأفضل ما رأيت من الشروط
وكنا يا هوازن حين نلقى ... نبلّ الهام من علق عبيط

---

(١) قيل اسم أبي هالة : النباش بن زرارة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن عدي بن جردة بن أسيد ابن عمرو بن تميم حليف بني عبد الدار ، وقيل اسمه مالك بن النباش . جمهرة أنساب العرب ص ٢١٠ وانظر الاصابة رقم ٩٠٠٧ .

(٢) السيرة ٢/٦٤٣ .

(٣) الاصابة ٣/٦١١ – ٦١٢ رقم ٩٠٠٧ .

(٤) الطبري ٣ / ١٣٦ والبلاذري – فتوح البلدان ص ٨٩ .

(٥) ابن سعد ١ / ٢٧٦ وانظر جواد علي ٤ / ٢١٠ .

(٦) نهاية الأرب ١٨ / ١٦٧ .

(٧) السيرة ٢ / ٤٧٧ .

ونجد كذلك في كتب السيرة وتاريخ الطبري وكتب الصحابة مجموعة من رجال تميم ، سبقوا إلى الإسلام ، ومنهم من هاجر إلى الحبشة أو إلى المدينة ، وكان لهم بلاء في الإسلام من مثل : أسلع بن شريك ، ورافع بن عمير ، وأبي رجاء العطاردي ، وعياش بن أبي ربيعة ، وخالد بن مالك ، والأسود بن عبس ، وصفوان بن قدامة ، وقرط بن أبي رميثة ، ومعبد بن عمرو ، وغيرهم كثير .

ردة تميم :

ذهل الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وسرى خبر وفاته فروّع الناس ، واشرأبت أعناق الفتنة ، ونظرت القبائل إلى أبي بكر على أنه زعيم جديد ، وقد كان ولاؤهم للنبي ، فلما مات انقطع ذلك الولاء فارتدت لذلك أكثر القبائل ، ويبدو أن هذه الهزة القوية قد زعزعت إيمان أهل المدن وبخاصة مكة ، فهَمّ أهلها بالردة حتى خاف عاملها عتّاب بن أُسيد فتوارى منهم ، وانبرى لهم سهيل بن عمرو فردع فيهم وساوس الشيطان بخطبة قال فيها : « إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة فمن رابنا ضربنا عنقه ... والله ليتمن الله عليكم هذا الأمر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، ولما رأوا أن الأمر قد استتب لأبي بكر وهو قرشي ، اطمأنت قلوبهم ، وأقاموا على إيمانهم . وكذلك زعزع أمر ثقيف وهمّت بالردة ، فقام فيهم عثمان بن العاص عامل رسول الله ﷺ ، يذكرهم فضل الإسلام عليهم وموقف النبي منهم بعد حنين وصلات النسب بقريش ، ومما قال لهم : « يا أبناء ثقيف ، كنتم آخر من أسلم ، فلا تكونوا أول من ارتد(١) » ، فهدأت نفوسهم وتمسكوا بإسلامهم .

هذا أمر مدن الإسلام الذين شهدوا الرسول وخالطوا صحابته وسمعوا منهم وفقهوا أمر الدين ، فكيف بالأعراب الذين أسلموا بأخرة ولم يرسخ الإسلام في قلوبهم ، ولذلك فقد انتقضت القبائل ولم يثبت على الدين منهم إلا جملة ممن كانت تربطهم بقريش روابط ، وكانوا قريبين من حاضرة المسلمين ، وهذه القبائل هي : مزينة وغفار ، وجهينة ، وبليّ ، وأشجع ، وأسلم ، وخزاعة .

---

(١) السابق .

أما بقية القبائل فقد رأت ولاءها للنبي ، فلما مات انتفى ذلك الولاء . وتميز موقف العرب إزاء الردة بحالتين : الأولى القبائل القريبة من المدينة من مثل عبس وذبيان وبعض كنانة وغطفان وفزارة ، فقد أقروا بالإسلام ولكنهم امتنعوا عن أداء الزكاة ، لأنهم نظروا إليها على أنها اتاوة تدفع لقريش ، وقد عبر قرّة بن هبيرة عن هذا الاتجاه حين مرّ به عمرو بن العاص عائدا من عُمان إلى المدينة ، فنزل عليه ، فلما خلا به قال له قرة : « يا هذا إن العرب لا تطيب لكم نفساً بالإتاوة ، فإن أنتم اعفيتموها من أخذ أموالها فتسمع لكم وتطيع وإن أبيتم فلا أرى أن تجتمع عليكم » (١) .

وكانت العصبية القبلية لديهم أقوى من الدين ، فكانوا لا يرون لقريش عليهم سلطانا ، وكان عيينة بن حصن الفزاري قد قام في قومه غطفان بعد وفاة النبي ﷺ فقال : « ما أعرف حدود غطفان منذ انقطع ما بيننا وبين بني أسد ، وإني لمجدد الحلف الذي كان بيننا في القديم ومتابع طليحة ، والله لأن نتبع نبياً من الحليفين أحب إلينا من أن نتبع نبياً من قريش ، وقد مات محمد وبقي طليحة » (٢) .

أما الحالة الثانية فهي القبائل البعيدة عن المدينة ، التي أمعنت في ردتها وتابعت رجالاً منهم ادعوا النبوة مثل طليحة في بني أسد ، وسجاح في بني تميم ، ومسيلمة في اليمامة ، وذى التاج لقيط بن مالك في عُمان ، والأسود العنسى في اليمن . وقد شهرت هذه القبائل السيوف بوجه الإسلام وحاربت المسلمين ، وقد تنبأ مسيلمة والأسود العنسى في حياة النبي ، وكان مسيلمة قد بعث اثنين من أعوانه إلى النبي محمد عليه السلام ، وطلبا منه أن يتقاسما الأرض : « وان له نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشا قوم يعتدون » (٣) . وقد بسط الأسود العنسى نفوذه على أهل اليمن ، وطرد منها عمال النبي في حياته ، وكانت أول حرب في الردة بعد وفاة النبي حرب العنسى في اليمن (٤) .

---

(١) الطبري ٣ / ٢٥٩ . (٢) السابق ٢٥٧ .

(٣) السابق ١٤٦ .

(٤) الطبري ٣ / ٢٢٧ - ٢٤٠ والبداية والنهاية ٦ / ٣٠٧ - ٣١٠ .

أما بنو تميم فقد اختلف أمرهم ، فكان رؤساؤهم مختلفين ومترددين ، وكان من ثبت منهم على الإسلام يقر بالصلاة ويمنع الزكاة ، ومنهم من أخرج الزكاة ومنهم من مسكها ومنهم من فرقها في قومه . لقد كان عمال رسول الله ﷺ من رؤساء تميم ، فكان الزبرقان بن بدر على الرباب وعوف والأبناء ، وقيس بن عاصم على مقاعس والبطون ، وصفوان بن صفوان وسبرة بن عمرو على بني عمرو ، ووكيع بن مالك ومالك بن نويرة على بني حنظلة (١) .

وكان أول الذين أقبلوا على أبي بكر بالصدقات من القبائل : صفوان والزبرقان من رؤساء بني تميم ، وعدى بن حاتم الطائي عن طئ ، وكان المسلمون يستبشرون بمقدم هؤلاء ، فإذا طلع أحد عمال الصدقات قالوا : (هذا نذير) فيقول أبو بكر : (بل هو بشير ، وهو حام وليس بوان) .

وإذا كان الزبرقان قد سارع بإرسال الزكاة التي جمعها من قومه فإن مالك بن نويرة ظل متحيراً ، أيؤدي الزكاة إلى أبي بكر أم يقسمها بين الناس ، وقرّ رأيه أن يرد الزكاة إلى أصحابها ولم يرسلها إلى أبي بكر ، أما قيس بن عاصم فقد كان ينافس الزبرقان بن بدر ، فمكث ينتظر لينظر ما يصنع الزبرقان ليخالفه ، فقد كان متحيراً متردداً ، وقد عبر عن حيرته هذه بقوله : « والله لقد مزقني فما أدري ما أصنع ، لئن أنا تابعت أبا بكر وأتيته بالصدقة لينحرنّها في بني سعد فليسودنّي فيهم ، ولئن نحرتها في بني سعد ، ليأتينّ أبا بكر فليسودنّي عنده » ، ثم قسمها على مقاعس والبطون ، وسارع الزبرقان بإرسال صدقات الرباب وعوف والأبناء إلى المدينة ، وقال يعرض بقيس بن عاصم (٢) :

وفيت بأذواد الرسول وقد أبت سعاة فلم يردد بعيرا مجيرها

ثم ندم قيس بن عاصم ، فلما أظله العلاء بن الحضرمي ، أخرج صدقتها فتلقاه بها ، ثم خرج معه وقال في ذلك (٣) :

---

(١) الطبري ٣ / ٢٦٨ وابن الأثير – الكامل ٣ / ١٧٣ .

(٢) الطبري ٣ / ٢٦٨ .

(٣) الطبري ٣ / ٢٦٨ ، والأغاني ١٤ / ٧٥ .

ألا أبلغا عني قريشا رسالة   إذا ما أتتها بينات الودائع

واختلفت بطون تميم ، ونشب الشر بينهم ، وشغل بعضهم بعضا « فمسلمهم بإزاء من قدم رجلاً وأخر أخرى ، وتربص ، وبإزاء من ارتاب » (١) . وحين كان رؤساء تميم في هذه الحال من الاضطراب والتردد ، فجأتهم سجاح بنت الحارث(٢) بجيش كثيف من ربيعة والنمر واياد وشيبان .

وسجاح تميمية من بني يربوع ، وتزوجت في قبيلة أخوالها تغلب بالعراق ، ودانت بالنصرانية ، وكانت سجاح امرأة ذكية لها شخصية وسيطرة في قيادة الرجال ، كانت تدعي الكهانة ، فلما علمت بوفاة رسول الله ﷺ ، جمعت جموعها وتوجهت نحو المدينة تريد غزوها ومقاتلة أبي بكر .

وسجاح أول امرأة في التاريخ تدعي النبوة ، وإن لم تكن أول امرأة تقود الجيوش وتطمح إلى السيطرة على الرجال وإخضاع الخصوم ، ولعل في نصرانية تغلب ونصرانية سجاح ومجاورتها لبلاد فارس آثاراً في دعوتها ، فقد تكون سجاح مدفوعة بتحريض من الفرس لبث البلبلة بين القبائل العربية ، وتفتيت وحدتها التي جاء بها الإسلام والعودة بالجزيرة إلى السلطان الفارسي ، كل ذلك محتمل ، وقد يكون مرجحاً ولكننا نفتقد الدليل الصريح .

سارت سجاح بجندها وجموعها نحو بني يربوع ، وأرسلت إلى مالك بن نويرة ودعته إلى الموادعة ، لأنه زعيم قومها ، وأعلمته بعزمها على غزو المدينة وقتال أبي بكر فأجابها مالك إلى الموادعة وثناها عن عزمها في لقاء أبي بكر ، وحرضها على قتال قبائل أخرى وأحياء من بني تميم ممن يختلف معهم ، ونزلت سجاح عند رأيه وقالت : « نعم ، فشأنك بمن رأيت ، فإنما أنا امرأة من بني يربوع ، وإن كان ملك فهو ملككم » (٣) .

---

(١) الطبري ٣ / ٢٦٩ .

(٢) انظر أخبار سجاح في الطبري ٣ / ٢٦٧ – ٢٧٥ وابن كثير – البداية والنهاية ٦ / ٣١٩ – ٣٢١ .

(٣) الطبري ٣ / ٢٦٩ .

ودعت سجاح رؤساء تميم الآخرين إلى الموادعة ، فلم يوادعها منهم إلا مالك ووكيع بن مالك ، فأغارت بجندها وجنود من وادعها على السريات ، فاقتتلوا وقتل وأسر خلق كثير من بني تميم من كلا الجانبين ، ثم تصالحوا وترادوا الأسرى . ثم ندم مالك ووكيع على موادعة سجاح ومخالفة قومهما الذين سخطوا على متابعة سجاح ، فعادا إلى قومهما واصطلحوا . أما سجاح فقد بدا لها أن تتجه لقتال أبي بكر ، فلما بلغت قرية (النبـاج) لقيها أوس بن خزيمة فقاتلها ، ثم ترادا الأسرى وصالحها على أن لا تجتاز دياره إلى المدينة ، وهكذا فشلت محاولة سجاح في تميم . وعندئذ سألها من معها من رؤساء أهل الجزيرة عما ستفعل وقد رجع عنها مالك بن نويرة ووكيع بن مالك وصالحا قومهما ومنعوها من أن تجوز أرضهم ، كما منعها أوس بن خزيمة ، فأخبرتهم بأن وجهتها اليمامة ، فلما تخوفوا من هذه الفكرة لشدة أمر مسيلمة وقوة أهل اليمامة ، سجعت لهم مما يحسبونه وحيا : « عليكم باليمامة ، ودفّوا دفيف الحمامة ، فإنها غزوة صرّامة ، لا يلحقكم بعدها ملامة » (١) . فلما بلغت مشارف اليمامة ونزلت على ماء هناك ، هابها مسيلمة ، ورأى أن يتجنب مقاتلتها ليفرغ إلى قتال المسلمين ، وفكر في أن يفيد من قوتها ما أمكن ، فأرسل إليها الهدايا ثم ذهب إليها في أربعين من بني حنيفة ، ثم خلا بها فحدثها وحدثته ، وأعجبت به وبسجعه ، فاستطاع مسيلمة أن يغريها بالزواج منه ، فقبلت به وانتقلت إلى خيامه وأقامت معه ثلاثة أيام ، وجمع نبوته إلى نبوتها ، ثم رجعت إلى قومها وأعلمتهم بأنها وجدته على حق فتزوجته وأقرت بنبوته . وتجنح الروايات في زواج سجاح نحو القصص والخيال الذي يجانب الواقع التاريخي(٢) ، واشترطت سجاح على مسيلمة أن يجعل لها نصف غلات اليمامة ، فأخذته وانصرفت به إلى الجزيرة ، وخلفت وراءها من يحمل لها النصف الآخر . ولكن سرعان ما داهمت جيوش المسلمين مسيلمة وقتلته وقضت على فتنته ، أما سجاح فعادت إلى العراق واستقرت في بني تغلب ، حتى كان زمن معاوية فنقلها في عام المجاعة إلى قومها بني تميم ، وكانت قد أسلمت وحسن إسلامها وماتت على الإسلام .

---

(١) الطبري ٣ / ٢٧٢ ، وابن كثير ٦ / ٣٢٠ .

(٢) انظر قصة زواج سجاح في الطبري ٣ / ٢٧٣ وانظر أرجوزة الأغلب العجلي في طبقات الشعراء ص ٥٧٣ .

أما مالك بن نويرة(١) ، فقد عاد إلى قومه بالبطاح ، وصالحهم ، ولكنه لم يخرج الزكاة كما فعل صاحبه وكيع بن مالك ، بل ردها إلى أصحابها ، وبقي في موقعه متحيراً . فلما فرغ خالد بن الوليد من أسد وغطفان وأذعن القبائل المرتدة وفاءت إلى الإسلام ، عزم على السير إلى البطاح للقاء مالك بن نويرة . وتلقانا هنا رواية تفيد أن أبا بكر لم يفوض خالداً بالمسير إلى البطاح ، ولذلك فقد اعترض عليه الأنصار حين عرفوا بعزمه وقالوا : « ما هذا بعهد الخليفة إلينا ، إنما عهده ان نحن فرغنا من البزاخة واستبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتى يكتب إلينا » ، ومعنى هذا أن خالداً غير مخول بالمسير إلى البطاح ، فلماذا توجه إلى مالك بن نويرة ، إن في جواب خالد ما يفسر ذلك ، قال : « إن يكن عهد إليكم هذا ، فقد عهد إليّ أن أمضي ، وأنا الأمير وإلى تنتهي الأخبار . ولو أنه لم يأتني له كتاب ولا أمر ، ثم رأيت فرصة ، فكنت أن أعلمته فاتتني لم أُعلمه حتى انتهزها ، كذلك لو ابتلينا بأمر ليس منه عهد إلينا فيه لم ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا ، ثم نعمل به . وهذا مالك ابن نويرة بحيالنا ، وأنا قاصد إليه ومن معي من المهاجرين والتابعين بإحسان ، ولست أكرهكم »(٢) . وفي هذا النص موقفان : الأول إقرار بأن أبا بكر عهد إليه : « فقد عهد إليّ أن أمضي وأنا الأمير وإلى تنتهي الأخبار » ، والثاني ، بأنه لا يملك عهد أبي بكر ولكنه يجتهد : « ولو أنه لم يأتني كتاب ولا أمر ثم رأيت فرصة أن أعلمته بها فاتتني لم أُعلمه حتى أنتهزها » . والراجح من الرواية أنه اجتهد في الذهاب إلى البطاح حيث مالك بن نويرة دون أمر ، ولذلك اعترض عليه الأنصار ولم يتابعوه . ولكن هناك رواية في الطبري في تعيين القواد الذين وجهوا لقتال المرتدين ، ذكرت مهماتهم على الوجه الآتي : قطع أبو بكر البعوث وعقد الألوية فعقد أحد عشر لواء ، عقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد ، فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبطاح ان أقام له(٣) ، فإذا صحت هذه الرواية بنصها فلماذا يعترض الأنصار على خالد ، وإذا كان الأنصار لا يعلمون بنص التولية فلماذا لم يعلمهم خالد حين اعترضوا عليه ، في أكبر الظن أن الفقرة الأخيرة من عهد التولية لم تكن موجودة ،

---

(١) راجع الطبري ٣ / ٢٧٦ – ٢٨٠ .
(٢) السابق ٣ / ٢٧٦ – ٢٧٧ .
(٣) الطبري ٣ / ٢٤٩ .

وإنما عهد إليه أن يتوجه إلى طليحة بن خويلد الأسدي ، وقد اجتهد خالد في توجهه إلى مالك بن نويرة . وسار خالد ، وتخلف الأنصار ، ولكنهم تشاوروا فيما بينهم وترادوا قائلين : « لئن أصاب خالد اليوم خيراً إنه لخير حرمتموه ، ولئن أصابته ورجاله مصيبة ليجتنبنّكم الناس » (١) . وقرّ رأيهم أن يلحقوا بخالد ، فأرسلوا إليه رسولاً يستمهله حتّى يلحقوا به ، فانضموا إليه قاصدين البطاح ، فلما بلغوها لم يجدوا بها أحداً ، ويبدو أن مالكاً قد علم بالأمر واحتاط له ، فأوعز إلى قومه أن يتفرقوا في ديارهم ونهاهم عن الاجتماع ونصح لهم بالعودة إلى الإسلام ، وقد أفصح عن دخيلته في الندم على متابعة سجاح والعودة إلى الدين حين خاطب بني يربوع : « يا بني يربوع ، إنّا قد كنا عصينا أُمراءنا إذ دعونا إلى هذا الدين ، وبطّأنا الناس عنه فلم نفلح ولم ننجح ، وإني قد نظرت في هذا الأمر ، فوجدت الأمر يتأتّى لهم بغير سياسة ، وإذا الأمر لا يسوسه الناس ، فايّاكم ومناوأة قوم صنع لهم ، فتفرقوا إلى دياركم وادخلوا في هذا الأمر » (٢) . وتفرق القوم ورجع مالك إلى منزله ، فلما قدم خالد بثّ السرايا ، وكان مما أوصى به أبو بكر : « إذا نزلتم منزلاً فأذّنوا وأقيموا ، فإذا أذّن القوم وأقاموا فكفّوا عنهم ، وإن لم يفعلوا فلا شيء إلا الغارة » (٣) .

وجالت الخيل جولة فجاءت بمالك بن نويرة في نفر من بني يربوع إلى خالد، ثم يُقتل مالك ويختلف الناس في أمره ، وتقوم الشبهات حول خالد ، وتثور ثائرة أبي قتادة الأنصاري في جند خالد ، وعمر بن الخطاب في المدينة . والذي زاد من شناعة القتل أن خالداً تزوج بامرأة مالك بعد قتله (٤) . أما الروايات فعلى الرغم من اختلافها فإنها تكاد تتفق على إسلام مالك بن نويرة وانه قتل وهو مسلم ، ولكن الخلاف هو هل كان قتل مالك عمداً من قبل خالد أم جاء قتله خطأ ، وعلى الحالتين فقد أمر أبو بكر بدفع دية القتيل .

---

(١) الطبري ٣ / ٢٧٧ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة .

(٣) السابق .

(٤) انظر في زواج خالد مقالة لمحمود شاكر في مجلة المقتطف آب ١٩٤٥ م .

أما متمم بن نويرة أخو مالك ، فقد دخل على أبي بكر وذكر له إسلام أخيه وطالب بديته وبأسرى قومه ، فوداه أبو بكر وكتب برد سبي بني يربوع ، ومكث متمم في المدينة إلى ما بعد غزوة اليمامة ، وكان يلتقي بعمر بن الخطاب ويجد عنده العطف والعزاء ، وكان عمر يسمع منه رثاءه لأخيه (١) :

وكنا كندماني جذيمة حقبة ... من الدهر حتّى قيل لن يتصدعا
وعشنا بخير ما حيينا وقبلنا ... أباد المنايا قوم كسرى وتبّعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فيقول عمر : « هذا والله التأبين ، ولوددت أني أحسن الشعر فأرثي أخي زيدا بمثل ما رثيت أخاك » ، وكان زيد بن الخطاب قد قتل باليمامة شهيداً في جيش خالد بن الوليد ، وكان متمم يجيب عمر : « لو ان أخي مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته » ، ويعجب عمر بطلاقة متمم وحسن جوابه فيقول : « ما عزاني أحد عن أخي بمثل ما عزاني به متمم » (٢) .

وقد كان متمم بارعاً في تصوير شخصية أخيه في مراثيه بصورة الفارس البطل الكريم ، وحقاً كان مالك كذلك ، فتصفه المصادر بأنه كان شريفاً شاعراً فارساً وكانت فيه خيلاء وكان ذا لمّة كبيرة (٣) ، وكان حلو الحديث جميل الصورة ، حدث متمم عمر بن الخطاب فقال : « أسرني حي من العرب فشدوني وثاقا بالقد ، وألقوني بفنائهم ، فبلغه خبري فأقبل على راحلته حتّى انتهى إلى القوم وهم جلوس في ناديهم ، فلما نظر إليّ أعرض عني ، ونظر القوم إليه فعدل إليهم ، وعرفت ما أراد ، فسلمّ عليهم وحادثهم وضاحكهم وأنشدهم ، فوالله إن زال كذلك حتّى ملأهم سروراً ، وحضر غداءهم فسألوه ليتغدى معهم فنزل وأكل ، ثم نظر إليّ وقال : إنه لقبيح بنا أن نأكل ورجل ملقى بين أيدينا لا يأكل معنا ، وأمسك يده عن الطعام ، فلما رأى ذلك القوم نهضوا وصبوا الماء على قدّي حتّى لان وخلوني ،

(١) البداية والنهاية ٦ / ٣٢٢ .
(٢) المصدر السابق والصفحة .
(٣) الطبري ٣ / ٢٧٩ ، والأغاني ١٥ / ٣٠٢ .

ثم جاءوا فأجلسوني معهم على الغداء ، فلما أكلنا قال لهم : أما ترون تحرّم هذا بنا وأكله معنا ، إنه لقبيح بكم أن تردوه إلى القدّ ، فخلوا سبيلي » (١) .

وقد أفاض متمم في رثاء أخيه مالك ، وأوقف عليه جل شعره (٢) ، وظل يبكيه دهراً ، فما كانت ترقأ له عين ، وضرب برثائه لأخيه الأمثال فلم يرث أخ أخا مثلما رثى متمم مالكاً ، وسئل متمم : ما بلغ من وجدك على أخيك ، فقال : أصبت بإحدى عينيّ فما قطرت منها دمعة عشرين سنة ، فلما قتل أخي استهلت فما ترقأ (٣) .

وتزوج متمم امرأة تكنى بأم خالد ، فبينما هو واضع رأسه على فخذها إذ بكى ، فقالت : لا اله إلا الله ، أما تنسى أخاك ، فأنشأ يقول (٤) :

أقول لها لما نهتني عن البكا ... أخي مالك تلحينني أم خالد
فإن كان اخواني أصيبوا وأخطأت ... بني أمك اليوم الحتوف الرواصد
فكل بني أم سيمسون ليلة ... ولم يبق من أعيانهم غير واحد

وما أخطأ متمم في وصف أخيه ، فقد كان رجلاً جمع خصال الخير والشرف والرياسة والحياء والكرم ، وقد أبنته امرأة من قومه عند مقتله فقالت : « إنه والله كان غضيض الطرف عن الجارات ، حديد النظر في الغارات لا يشبع ليلة يُضاف ، ولا ينام ليلة يُخاف » (٥) ، وقد ترك مقتل مالك بن نويرة أثره في الشعر والأدب وسيرة بني تميم .

وخلاصة القول في ردة بني تميم ، بأنها كانت ردة يكتنفها الغموض ، فلم تكن ردة واضحة صريحة كردة بني ذبيان وبني أسد ، بل كان لكل زعيم من زعماء تميم وكل عامل من عمالهم موقف خاص متميز . وإذا كانت مواقف بعض زعماء تميم

(١) الأغاني ١٥ / ٣١٠ .
(٢) جمعت الدكتورة ابتسام الصفار شعر مالك ومتمم وطبع في بغداد سنة ١٩٦٨ م .
(٣) الأغاني ١٥ / ٣٠٩ .
(٤) الأغاني ١٥ / ٣١٢ .
(٥) الاشباه والنظائر – الخالديان ٢ / ٣٤٥ وسمط النجوم العوالي ٣ / ٣٥٢ .

قد اتضحت من خلال أخبار سجاح ومقتل مالك بن نويرة ، فإن مواقف بقية الزعماء لم تتضح كل الوضوح ، وقد كان للمنافسة بين أولئك الزعماء الأثر في تباين موقفهم ، كما رأينا في موقف قيس بن عاصم ومنافسته للزبرقان بن بدر (١) . فقد كان الزبرقان بن بدر وقيس بن عاصم على صدقات سعد بن تميم (٢) ، أما قيس بن عاصم فعلى صدقات بني مقاعس والبطون كلها من بني سعد ، وأما الزبرقان ابن بدر فقد كان على صدقات عوف والأبناء من بني سعد (٣) ، فلما توفي رسول الله ﷺ ، أراد الزبرقان أن يخدع قيس بن عاصم ، فدس إليه من زيّن له منع الصدقات وإمساكها وتفريقها في قومه ، وقال له : فإن استقام الأمر لأبي بكر وأدت العرب إليه الزكاة جمعنا له الثانية . ففرق قيس الإبل في قومه ، أما الزبرقان فأسرع في أداء الصدقة لأبي بكر وكانت سبعمائة بعير ، وفخر بذلك .

وفيت بأذواد النبي محمد ... وكنت امرأ لا أفسد الدين بالغدر

أما قيس بن عاصم فقد علم بخدعة الزبرقان وقال : « لو عاهد الزبرقان أمه لغدر بها » (٤) ، ويبدو أن قيس بن عاصم استمر في ردته ومنعه ، وكان قد سكر وفرق أموال الصدقة وقال في ذلك (٥) :

ألا أبلغا عني قريشا رسالة ... إذا ما أتتهم مهديات الودائع
حبوت بما صدقت في العام منقرا ... وأيأست منها كل أطلس طامع

وقد تابع سجاح حين ادّعت نبوّتها وكان مؤذنها ، ويروي له قوله فيها :

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها ... وأصبحت أنبياء الله ذكرانا

---

(١) كان الزبرقان بن بدر والأقرع بن حابس قد خرجا إلى أبي بكر وقالا : اجعل لنا خراج البحرين ونضمن لك ألا يرجع من قومنا أحد ، ووافق أبو بكر لولا أن اعترض عمر ومزق الكتاب الذي كتب لهما ، ثم انضما إلى خالد في قتال المرتدين فشهدا المشاهد كلها حتى اليمامة . انظر الطبري ٣ / ٢٧٥ .

(٢) المحبر ص ١٢٦ .

(٣) الأغاني ١٤ / ٧٦ والابناء هم خمسة من ولد سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهم : عبد شمس ومالك وعوف وعوانة وجشم .

(٤) الأغاني ١٤ / ٧٦ .

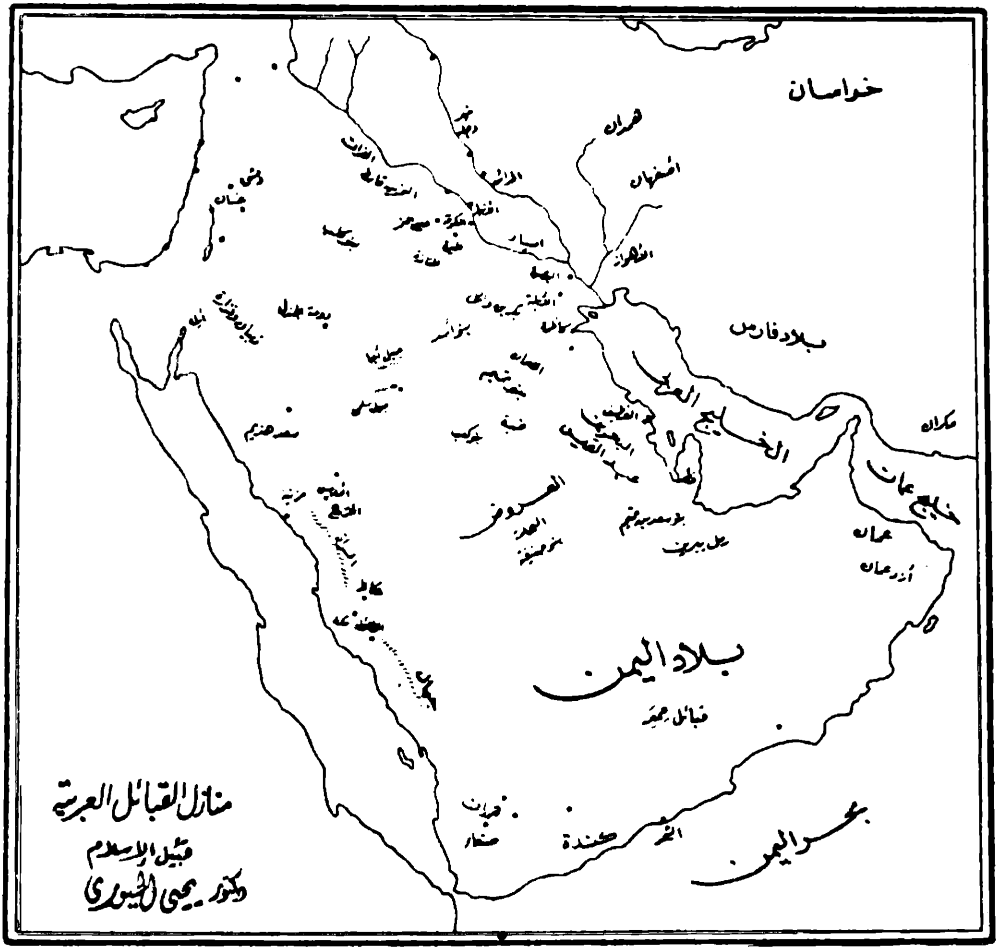
(٥) الكامل ١ / ٣٩٣ ، و ٢ / ١٨٠ .

وظل مع سجاح حين تزوجت مسيلمة ، فلما غزا خالد بن الوليد مسيلمة وقتله ، أخذ قيس بن عاصم أسيراً ، فادعى عنده أن مسيلمة أخذ ابنا له فجاء يطلبه ، فأحلفه خالد على ذلك فحلف فخلّى سبيله (١) ، وانضم إلى جيش المسلمين تحت راية العلاء بن الحضرمي في قتال المرتدين بالبحرين ، وقتل قيس الحطم بن ضبيعة من بني قيس بن ثعلبة الذي كان رأس المرتدين بالبحرين ، ثم كان مع المثني بن حارثة الشيباني في العراق ، وشارك في الفتوح فكان له بلاء عظيم . وكذلك أبلى منافسه الزبرقان بن بدر في فتوح العراق ، حيث كان مع خالد بن الوليد الذي استخلفه على الأنبار حين سار إلى عين التمر .

نخرج من هذا إلى أن ردة تميم ما كانت واسعة ولا شاملة ، فقد ثبتت كثرة تميم على الإسلام وأدى زعماؤها الصدقة ، وتحير وتردد بعضهم وتابعهم جماعات من مثل قيس بن عاصم ووكيع بن مالك ومالك بن نويرة ، وسرعان ما رجع هؤلاء وندموا ، واختلف القدماء في أمر مالك بن نويرة وردته وفي قتله خطأ أو عمداً . ولا شك أن موقف تميم هذا كان منسجماً مع حداثة دخولها في الإسلام ومع الروح الأعرابية التي كانت سائدة فيها وغالبة عليها ولكن في تميم من كان مع الجيش الإسلامي يحارب الردة ويقاتل المرتدين ، ثم يكون لهم بلاء عظيم وحظ وافر في الفتوح ، ولعل أبرز رجالات تميم وفرسانها قادة الفتح في العراق وخراسان ، القعقاع بن عمرو وأخوه عاصم بن عمرو والزبرقان بن بدر وآخرون ممن سيتضح بلاؤهم في الفتوح الإسلامية .

---

(١) الأغاني ١٤ / ٨٨ .



خريطة منازل القبائل العربية قبيل الاسلام

مصــــادر البحـــث

ابن الأثير – علي بن محمد الجزري : الكامل في التاريخ .ط . القاهرة ١٣٠١ هـ .

الأصبهاني – أبو نعيم : حليـة الأوليـاء . ط القـاهرة ٣٢ – ١٩٣٨ م .

الأصفهاني – أبو الفرج : الأغـــاني . ط دار الكتب المصرية .

البلاذري – أحمد بن يحيي : فتوح البلدان . ط رضوان القاهرة ١٩٣٢ م .

الجمحي – محمد بن سلام : طبقات فحول الشعراء . تحقيق محمود شاكر . ط القـاهرة ١٩٥٢ م .

جـواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام . ط بغـداد ١٩٥٧ م .

ابن حبيب – محمد بن حبيب : المحـبر . ط حيدر آباد الهنـد ١٩٤٢ م .

ابن حجـر – أحمد بن علي العسقلاني : الإصابة في تمييز الصحابة . ط القاهرة ١٣٢٧هـ

حسان بن ثابت : ديـوانه . ط البرقوقي القـاهرة ١٩٢٩ م .

ابن حزم – على بن أحمد الأندلسي : جمهرة أنساب العرب . تحقيق عبد السلام هارون ط . مصر ١٩٦٢ م .

الخالديان – سعيد ومحمد ابنا هاشم : الأشباه والنظائر . ط محمد يوسف القاهرة ١٩٥٨م

ابن سعد – محمد بن سعد : الطبقات الكبرى . ط بيروت ١٩٦٠ م .

الصفار – ابتسام مرهون : شعر مالك ومتمم . ط بغداد ١٩٦٨ م .

الطبري – محمد بن جرير : تاريخ الطبري . ط أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف مصر ١٩٦٢ م .

العصامي – عبد الملك بن حسين : سمط النجوم العوالي . ط القاهرة ١٣٨٠ هـ .

الفــرزدق : ديوانــه . ط الصاوي . القـاهرة ١٩٣٦ م .

ابن كثير – إسماعيل بن عمر : البـداية والنهـاية . ط القاهرة ٥١ – ١٣٥٨ هـ .

كستر : الحـيرة ومكة . ترجمـة يحي الجبـوري ط بغداد ١٩٧٦ م .

المـبرد – محمد بن يزيد : الكامل في اللغة والأدب . ط أبو الفضل إبراهيم . مصر .

محمود محمد شاكر : مجـلة المقتطف . القـاهرة . آب ١٩٤٥ م .

النويري – أحمد بن عبد الوهاب : نهاية الأرب في فنون الأدب . ط دار الكتب المصرية

ابن هشام – عبد الملك بن هشام : السيرة النبوية . تحقيق السقا والابياري وشلبي . القـاهرة ١٩٥٥ م .

W. Arafat: An interpretation of the different accounts of the visit of the Tamim delegation of the Prophet A. H. 9. BSOAS 1955.

M. J. Kister: Macca and Tamim, Aspects of their relations. Journal of the Economic and Social History of the Orient. 1965. Leiden.

SOME ASPECTS OF PETRO-URBANISM
IN THE ARAB GULF STATES

M. Riad
Professor of Geography

I

When Man discovers and puts to use an element of natural resources, a series of changes evolves in the organization of land and the administration of society. If this is true of manipulating for example, water for irrigation or radio-active material, it is more so concerning energy resources. When coal became the basis of Man's second economic revolution, it dramatically changed the whole aspect of demography, ecology and society in vast regions. Oil, while not bringing Man to a similar situation, proved to be the originator and motivator of many innovations in technology and industry. At the present scale of world oil consumption, it seems that world needs are insatiable, thus pivoting change in both producer and consumer society and politics. The "Quest" for oil is indeed the "Formula" of politics and geopolitics in our time.

However, a distinction should be made between oil struck in developed and in developing countries. In the first case it affects systems quantitatively, while in the second case it restructures a pre-industrial nation. Indeed, oil in developing countries sets in motion a rapid transition both economically and socially. The rapidity of change took societies unawares and unprepared to contain the shock. It undermined, with unparalleled suddenness, the roots of an ecosystem which reflected a perfect adaptation to an environment many generations old. It cut through the frame of society's value system and government.

In this connection one should distinguish between the effects of oil economics on producers of the Afro-Asian arid zone, i.e., Arab and Islamic countries of the Middle East and North Africa, and other oil producers elsewhere in the developing world. The distinction is based upon a long heritage of a world high culture and a solid societal organization among the Arabs and other Mid-Easteners, while such societal tenacity is rather weakly manifested in other OPEC countries.

It follows that the incursion of broad cultural elements associated with an oil-based economy were, and still are, encountering great resistance due to the value system incorporated in the socio-religious structure of the Middle East society. This resistance has stirred the current controversy over innovation and modernization on the one hand, and the originality of cultural values on the other. Acceptance of culture change is not an easy process, and total change is not possible and not advisable.

Yet the acceptance of oil as a new basis of economy gave a strong impetus towards a gradual change in the traditional socio-economic set-up in a life span of one generation. The society is trying to achieve a balance to accommodate the new order, while at the same time, there are efforts to keep the privileged stratum as much intact as possible.

Among the major issues of the re-balancing process are the following:

Economic Aspects

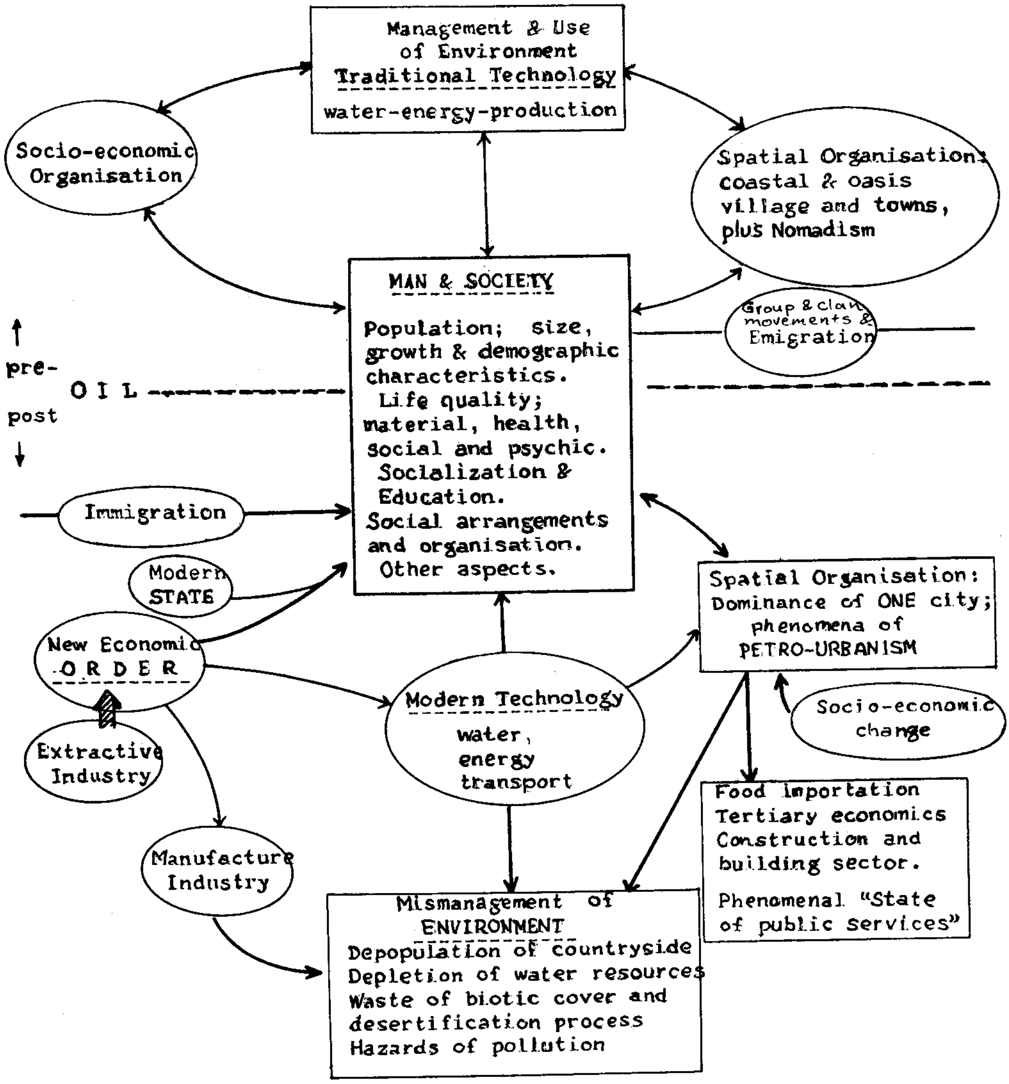
New spatial, physical and technical arrangements; new order of employment; immigrant labour force; housing problems; and the dramatic rise of land prices.

Money Surplus

Domestic, economic and social development; international investments and aid programmes for the Third World, leading to a rise in international interests and relations.

Domestic Problems

Redistribution of population; rural-bedouin migration to the ever-dominating "one metropolis" in each emerging nation. The problem is worsened by the congestion of newly-founded secondary and tertiary activities within the capital cities of these countries, thus creating new jobs necessitating an influx of expatriate technocrats, bureaucrats and skilled labour. Surprisingly, cheap Asian unskilled labour is contracted in growing numbers, and are mainly employed in the non-productive sector of domestic services. Further more, the growth of urbanism is accompanied by the development of public services, especially in the area of education and public health; also development of an infrastructure with



A Conceptual Model of Man and Environment in the Arab Gulf States, pre and post Oil economies

emphasis on road transport, leading to excess in the private car population; the rise of a new business elite; and there are great efforts to train nationals in different areas of specialization and skills.

Political Developments

The attainment of Statehood and the introduction of new institutions, government bodies and other media of administration — most of which are new to the traditional Order ; more job creation processes with a tendency for nationals to occupy the upper directive strata — a drive to 'contain' the new national system.

II

The Arab Gulf States represent a typical example of the case. The Gulf has been a highway of trade since neolithic cultures evolved in the area. Seafaring and a wider world outlook accounts for the tolerance which characterises the attitude of the littoral people in comparison with their bedouin kin. Consequently, their aptitude for accepting change is substantial.

Currently, the general feature of human ecology in the region carries a dual character. The material culture of the developed world is readily accepted and used — though partly in a different context and hence with a different value, e.g., the excessive use of energy or the high quality of makes of cars. On the other hand, society has manifested a slow change — even a resistance — to structural response to the formative elements of the new societal arrangements, e.g., the kin bond, status of women, and traditional hierarchy.

The wide horizon of change in the region is beyond the scope of this paper, which will endeavour to concentrate on the management of space economy and settlements, past and present. However, one should be aware that the term "past," in the Gulf area does not necessarily refer to any appreciable time distance. It simply refers to pre-oil periods which ended around the fifties of this century.[1] Since it is so near, it is vivid and nostalgic in the lore of the people, but to the new generation it is antiquated.

---

1. Oil was actually produced in, and shipped from, Saudi Arabia and Kuwait in the mid-forties; in Qatar and the U.A.E. in 1950; and in the Sultanate of Oman in 1967. Bahrain is the oldest oil producer in the area (1934), but the quantity produced was, and is, negligible.

III

Habitat, Economy and Society in the Past.

During the last two centuries, human ecology in the Arab Gulf was based on sea activities:

(a) daily fishing,
(b) seasonal pearling, and
(c) participation in sea-borne trade within the Gulf and the Arabian Sea from East Africa to the West coast of India.

Settlements reflected attachment to the sea. Villages and small towns studded the length of the Arabian shore. A settlement's site was conditioned by two factors, namely, fresh water resources (usually well-kept wells within a radius of about 5 km from the settlement), and a good sheltered and protected harbour (Geomorphological factors: deep tidal waters, well-defended spits on **khor** (esturay or bay) mouth; protection from the seaward side by sandbanks, — bars, tidal islets and other obstacles).

The size of a settlement depended upon:

(a) the amount of fresh water in the vicinity,
(b) its geographical location in connection with pearling grounds (the **heerat** pearl banks) were mainly situated in the West part of the Gulf, i.e., confronting the Arabian shores, especially the area between Bahrain and Abu Dhabi),
(c) the size and properties of the natural harbour and its location with regard to inland trade routes, and
(d) alliances, whether political or tribal, to secure peace necessary for the flourishing of trade.

Building materials were derived both locally and imported. Local mud, mud bricks and gypsum were used for erecting walls, while roofs were made of different kinds of wood, bamboo and thatched mats that were imported from India or Africa. The walls were usually thick and whitewashed and roofs consisted of three layers — wood, mats and mud — and were thus good insulation against the excessive heat of the region for most of the year round. Windows were constructed some 20 cm from the floor to ensure good circulation and were covered by wooden shutters. Another device for adaptation to the heat was the **badgeer,** a funnel-like structure which induced cool air to flow down into the rooms. This device is thought to be a cultural borrowing from neighbouring Persian culture area.

Homesteads were usually compounds accommodating extended paternal families. The courtyard was big enough to add rooms for newly-wed sons next to their parents' quarter. With one kitchen for the whole compound and sons following their father's trade, we get the nucleus of the socio-economic organization of the society.

Siblings clustered around their elders' compounds, developing spatial lineage divisions within the village, which was usually the abode of one great descent group or clean. Tribes and clans occupied several settlements in a geographic area, but bigger towns and villages were composed of different clans. Settlements usually took a linear form along the beach and within easy access to the waterfront. The beach was the busiest part of the settlement: boats and boat repair, nets and other fishing traps and devices, and many other things. The mosque was another focal point in traditional life as it functioned both as the religious centre and as the village school. The **majlis** — the common room or men's club of a descent group — was the centre for socialization of the group.

In bigger towns and capitals of sheikhdoms, districts of a city lay some distance apart. A district was usually occupied by one clan and its adherents. But the district lying on the harbour and encompassing the **souk** (market) was usually cosmopolitan, i.e., peoples of different lineages as well as traders and craftsmen belonging to various countries in the area such as India and Iran.

The socio-economic organization was characterised by a dual hierarchy, not often complementary. On the one hand, there was the hierarchy of the sea activities, which was more stable and deeply rooted in the society. Here were found the upper strata of the society belonging to one or more of the following trades: pearl dealers, wealthy merchants, ship owners, overseas traders, and sea captains. On the other hand, there was the hierarchy of nomadism which usually wielded the political power. The latter was changeable due to movements of bedouin tribes, wars and alliances. However, the supremacy of certain tribal groupings was consolidated during the last one hundred years or so due to alian powers, especially the Ottomans and the British, whose conflicting interests compelled them to seek alliances with actual Sheikhs, hence recognizing them as lawful territorial rulers.

The settled population of the Arab Gulf region depended heavily on three basic sea activities, namely, fishing, pearling and trading. This is reflected by estimates made at the turn of the century by Lorimer.

TABLE 1

Estimates of Population c. 1900 A.D.[2]

Country	Population	People Engaged in Sea Activities	Boats: Pearling	Boats: High-Sea Trading	Boats: Total, Including Fishing Boats
Kuwait	50,000	12,000	461	36	1,000 (?)
Bahrain	99,000	18,000	917	245	1,760
Qatar	30,000	13,000	817	140	1,207
U.A.E.	80,000	13,000	1,215	90	(?)

Taking these estimates as indicators only, we can still see the dependence Gulf Arabs had on the sea. The percentage of people engaged with the economics of the sea ranged from about 16% of the total population in the U.A.E. to an exaggerated 45% in Qatar. This indicates that all the economically active population was engaged in such a profession, which would seem rather doubtful. However, one must take into account two factors:

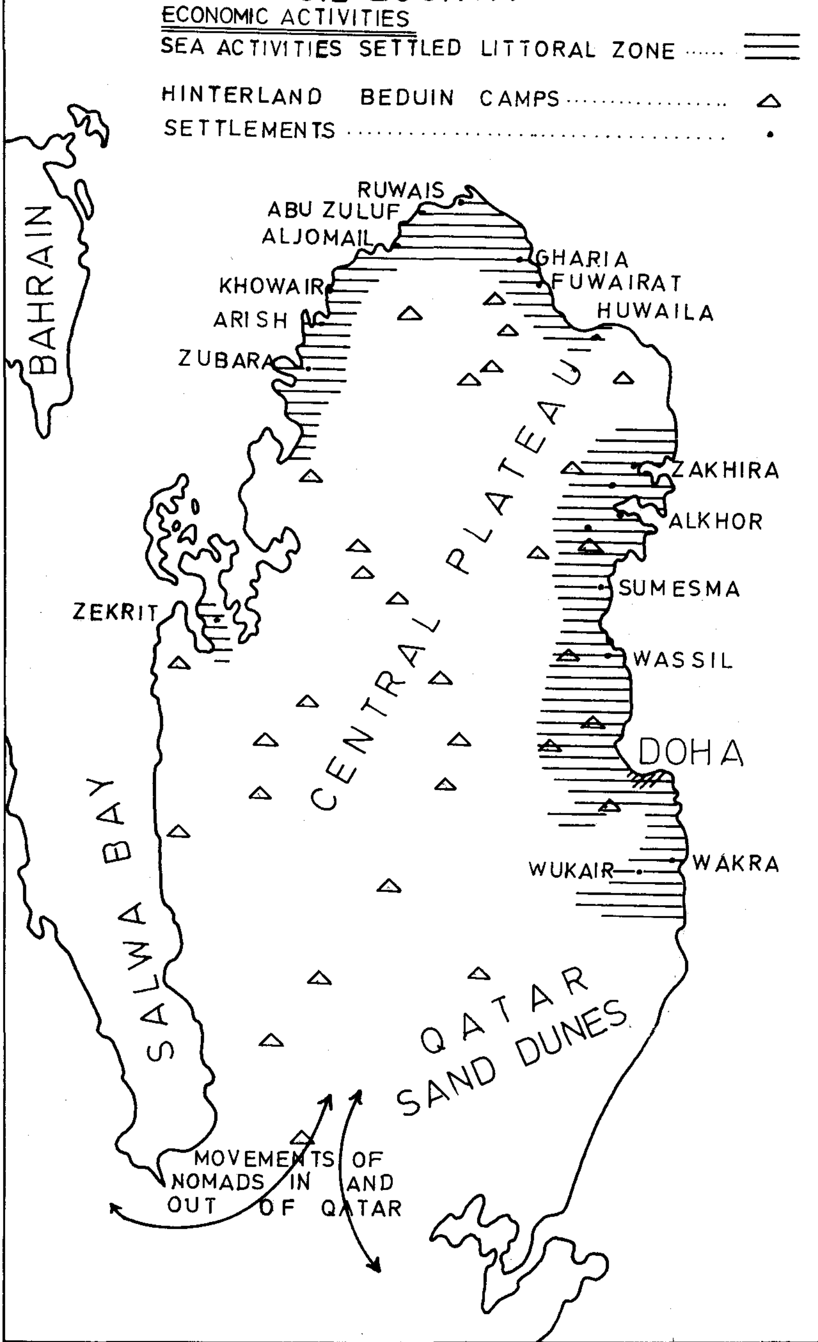
(a) during the pearling season, there were many recruits from the inland bedouins, and

(b) there was no limit to the age of participants in sea economics, i.e., as long as they were able-bodied, boys and old men were accepted in the profession.

2. Lorimer, J.G., "Gazetteer of the Persian Gulf," Arabic translation, Doha, 1976, various pages.

MAP -1-

MAJOR ECOLOGICAL DEVISIONS OF QATAR BEFOR OIL ECONOMY



The interest the people showed in land economics was certainly much weaker than their orientation to the sea. For example Lorimer says that the people of Qatar owned 1,430 camels and those of Sharja and Ras El-Kheima (presently part of the U.A.E.) owned 500 camels and 130 head of cattle. Most of the camels were tended by bedouins far in the interior on behalf of the owners. There were fair numbers of sheep and goats around the settlements and small numbers of cows and horses. Donkeys were only fairly abundant where some cultivation existed like in Bahrain and Ras El-Kheima. In other parts of the area cultivation was patchy — tiny holdings irrigated by animal-drawn buckets from nearby wells. Dates were the major product in addition to some vegetables and barley.

The lack of agricultural products left its imprint on the people's diet. The major imported food item was rice — a product which does not need further preparation before cooking and which endures long transportation as well. It is surprising to note that apart from fish, not all other seafood was edible by the people, (who are now acquiring new dietary habits). The staple food consisted of fish, rice, dates and milk. Sheep meat was prized and alternated every now and then with fish. This must have produced its own kinds of illness especially if accompanied by malnutrition, in addition to skin diseases because of lengthy diving for pearls. Mortality must have been high, especially when considering the dangers of sea professions and continuous tribal feuds.

The ecosystems in the Arab Gulf in the past could be summed up as follows:

1. **The Sea** — the dominant element, as
   (a) the source of daily food; specific boats, gears, and crew, fishing grounds mostly littoral, produce for personal consumption with little for the market especially in capital towns,
   (b) a source of income; specially equipped big ships for Gulf and Indian Ocean trade,
   (c) a source of wealth; special pearling boats, pearl beds within the Gulf, the formation of a hierarchy of traders, investors, and sea captains on the upper strata, while divers, assistants and sailors occupied lower economic ranks. The pearl trade centred in Bahrain and Kuwait which, in turn, had direct relations with Bombay, then the centre for world pearl export trade.

2. **The Hinterland**
   (a) as the fresh water source. Due to the severe aridity of the region subterranean water was the only source of fresh water. Natural water springs are rare occurrences and most of the water had to be dug out. Wells had to be kept and well managed to achieve a balance between needs and the replenishment rate,

IV

Oil and Changing Ecosystems in the Arab Gulf

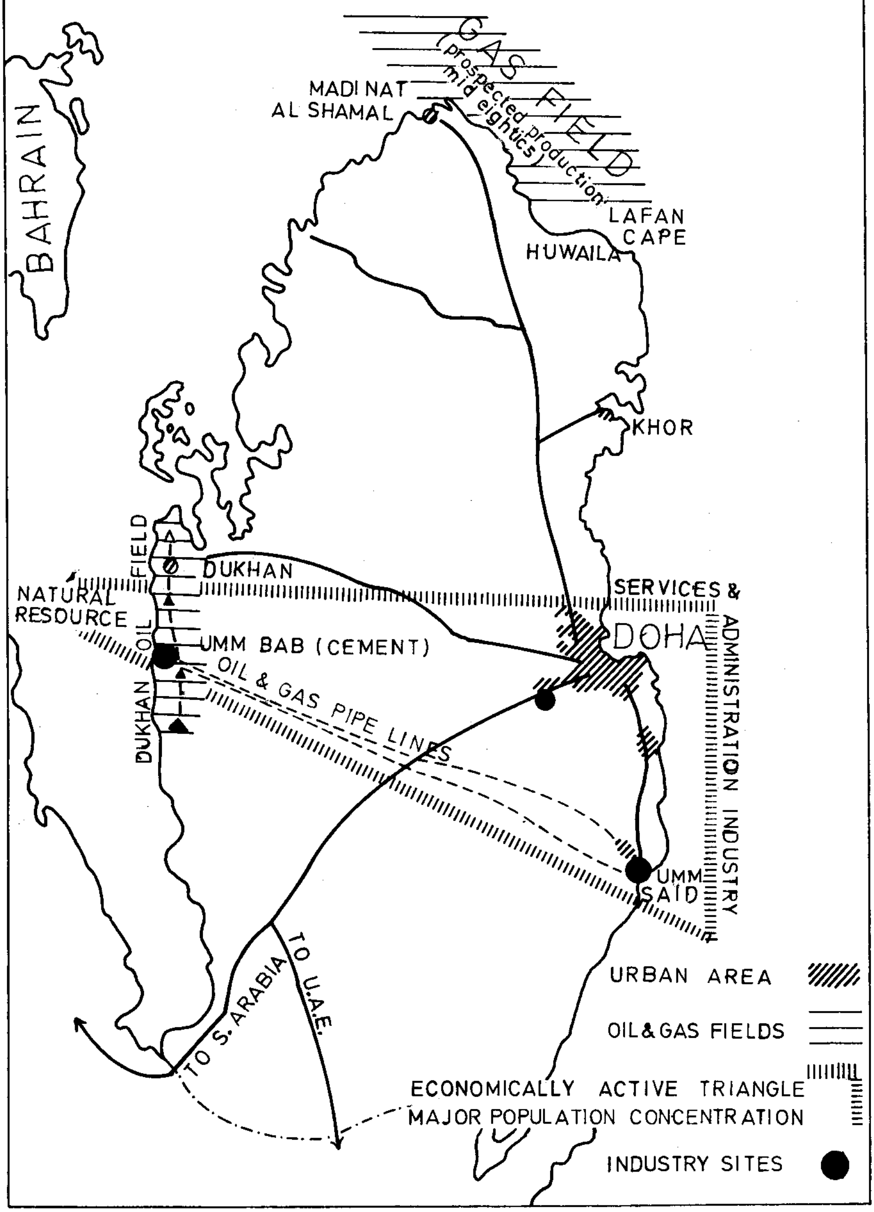
The world of the fifties brought a new era to the Arab States of the Gulf. The geological structure is the sole factor behind the radical change in the economy of the region. Slow changes were associated with the exploitation of on-shore oil fields. It was then accelerated in the sixties by discoveries of large off-shore fields and by the price increase of crude oil to correspond with the cost of oil in the Gulf of Mexico — a decision reached through OPEC, created in 1960, and ever since a successful organ for Third World oil exporters. The seventies brought yet another drastic change. Associated with the 1973 Middle East war and oil embargo, OPEC quadrupled the price of oil, and around the middle of the decade oil fields became the property of their respective countries, thus ending an era of monoply by giant Western oil companies.

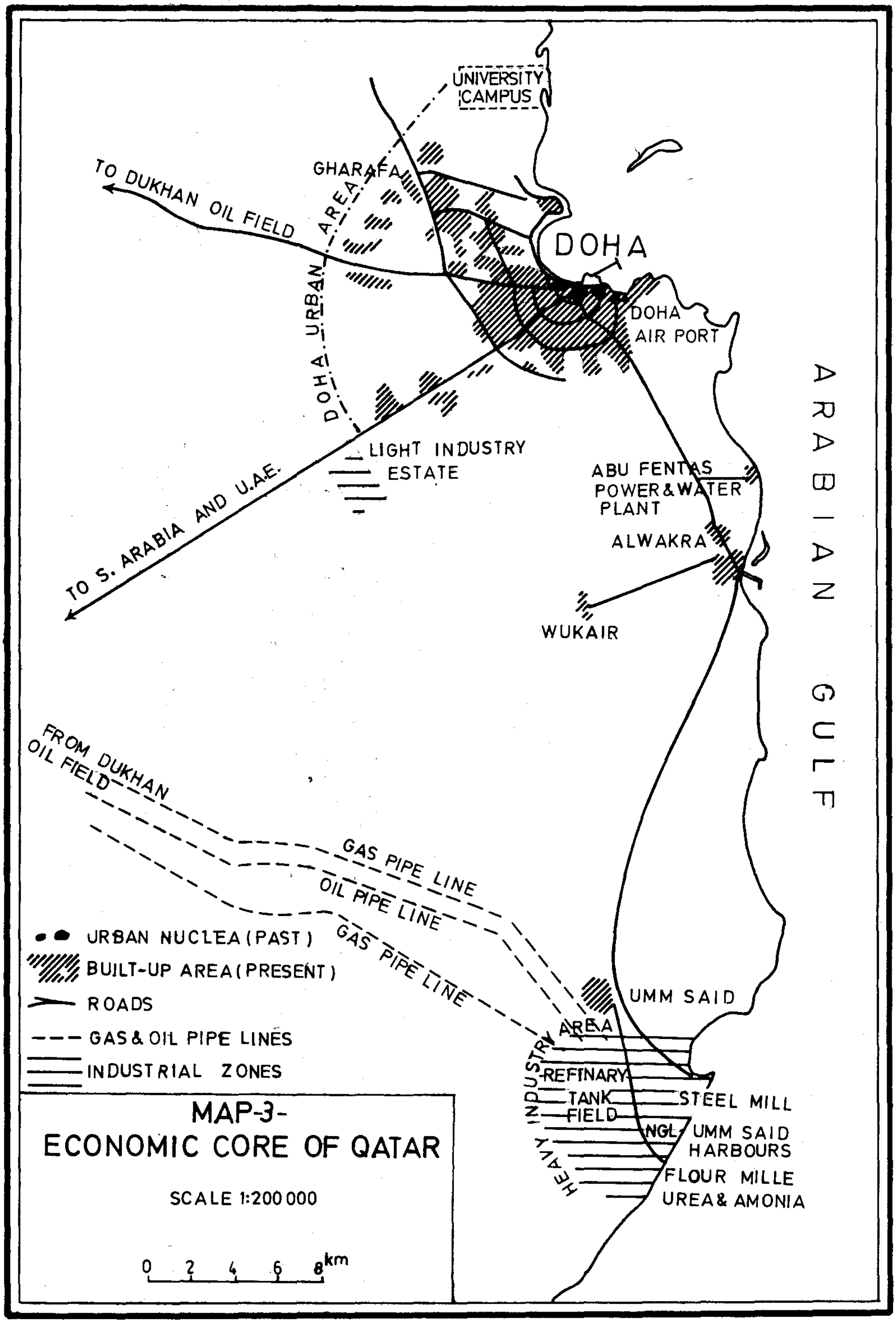
The direct result of this accelerated economic sequence was a rapid accumulation of wealth by the Gulf countries that led to a development boom unprecendented in the economic history of the world. One criterion for assessing the case is to follow the ever-rising Gross National Product of these countries. For example, the Saudi GNP rose from $US 3,000 million in 1970 to $US 46,110 million in 1977, and that of Kuwait during the same period from $US 2,500 million to $US 13,850 million. In general the GNP per capita in the Gulf is higher than any Western country; in 1976 the GNP per capita was $US 14,480 in the U.A.E., $US 13,960 in Kuwait, and $US 11,640 in Qatar, while at the same time it was $US 9,160 in Switzerland, $US 9,030 in Sweden, and $US 7,880 in the U.S.A.

The financial strength of these Gulf countries is further demonstrated if we take a look at their current account surplus. The foreign assets of Saudi Arabia, Kuwait, the U.A.E. and Qatar together rose from $US 5,435 million in 1972 to $US 114,200 million in 1978. However, one must correct these figures according to an inflation rate of about 15-20%.[3]

3. Figures derived from: (a) "Middle East Year book 1980," IC Magazines Ltd., London; (b) "Der Fischer Welt Almanach 1980," Fisher Taschenbuch Verlag, Frankfurt am Main; and (c) "The Gulf Handbook 1978," Trade and Travel Publication, Middle East Economic Digest, Ltd., (MEED), London.

MAP -2-
MAJOR ECONOMIC DEVISIONS OF QATAR
MID SEVENTIES




UNIVERSITY CAMPUS
GHARAFA
TO DUKHAN OIL FIELD
DOHA
DOHA URBAN AREA
DOHA AIR PORT
ARABIAN GULF
LIGHT INDUSTRY ESTATE
TO S. ARABIA AND U.A.E.
ABU FENTAS POWER & WATER PLANT
ALWAKRA
WUKAIR
FROM DUKHAN OIL FIELD
GAS PIPE LINE
OIL PIPE LINE
GAS PIPE LINE
UMM SAID
AREA
REFINARY
TANK FIELD
STEEL MILL
NGL
UMM SAID HARBOURS
FLOUR MILLE
UREA & AMONIA
HEAVY INDUSTRY
URBAN NUCLEA (PAST)
BUILT-UP AREA (PRESENT)
ROADS
GAS & OIL PIPE LINES
INDUSTRIAL ZONES
MAP-3-
ECONOMIC CORE OF QATAR
SCALE 1:200 000
0 2 4 6 8 km

1) Petro-Urbanism Praxis:

The effects of this financial power on the ecology of the Gulf countries are two fold, but may be summarized as follows:

(a) The main economic interests are equally divided between land and sea, namely, on — and off-shore oil fields and oil-associated new industry. This is a different ecological perspective on the situation, because in the past the sea was the focus of regional economies (Map 1).

(b) The physical landscape underwent changes due to economic installations on the oil fields, oil exporting terminals, oil pipes crossing the country, and the establishment of new settlements. In short, the creation of a new economic heartland spatially different from the former littoral economic centres (Map 2 & 3).

(c) Changed man-land relations may be exemplified by two major processes:

(i) redistribution of population leading to actual desertion of most of the older ecumene;

(ii) the unprecedented growth rate of capital cities due to migration from within and without the area, and the rise of the phenomenon which we may call "Petro-urban" settlements and cities. The end result is the formation of a virtual "city state" in the small-sized Arab countries of the Gulf.

These processes need further elaboration as they could be considered the main key to the present situation in the Gulf region.

2) Phenomenal Growth of Gulf Capitals:

The redistribution of the population in the Gulf is a process of agglomerating people in limited urban space and a virtual evacuation of the greater part of the country, leaving it unused or ill used. Though the Gulf area is part of the arid zone, a **modus vivandi,** created long ago, helped to exploit — though thinly — large tracts of the hinterland. Now most of the desert economy is part of history. The endeavour of governments, plus sheer economic impetus, drove the bedouins to settle down in purpose-built settlements and to pursue the available occupations which are mostly related to the services sector, sepecially transport. As an after thought this may be considered a cultural continuity disposition on the part of bedouins — considering their heritage of continuous movement and caravan guidance.

The ever-growing share of the total population in capital cities may be statistically[4] illustrated by the case of Doha. At the turn of the century 40% of the estimated population of Qatar lived in Doha. This percentage persisted until about the early sixties. Since the late sixties and up to now Doha encompasses around 80% of the population of Qatar. A look at the following table confirms the case.

Population Estimates of Qatar and Doha City

Year	Population of Qatar	Population of Doha	Doha Percentage
1905[5]	30,000	12,000	40.0
1959[6]	40,000	15,000	37.5
1971[7]	111,000	83,000	74.7
1975[8]	180,000	144,000	80.0
1980[9]	220,000	190,000	86.3
2000[9]	450,000	375,000	83.3

4. Since Qatar has no published census, all the figures here are estimates and projections on one reconnaisance census executed in 1971, but not officially recognized.
5. Lorimer, J.G., "Gazetteer of the Persian Gulf," Arabic translation.
6. Abdel Badi Saqr, "Qatar Geographical Gazetteer," (Arabic), printed in Beirut probably 1960, p. 37 and p. 53.
7. UN Interdisciplinary Reconnaisance Mission, Vol. 2, "Qatar," U.N.E. soB July 1972 (first pop. census of Qatar), Table I.
8. William Pereira Assoc. "Qatar Planning Studies — National Growth Forecasts," Doha, May 1977, pp. 23—28.
9. Shankland Cox Partnership, "Qatar Planning Studies — Interim Structural Plan 1980-1990, "Ministry of Municipal Affairs, Doha, April 1980, p. V—VII.

The same situation is encountered in almost every part of the Gulf region. The case is further proven by the existance of many "ghost towns" along the Gulf shores.

The phenomenon of ghost towns should not be wholly attributed to modern oil economy. The phenomenon was recorded by J. G. Lorimer early in this century. However, the magnitude and reasons underlying the desertion of settlements in the past are different from those of the present. Economic mishaps due to failure of, say, pearling seasons, and continued communal warfare and feuds were major causes of ghost towns in the past. The stagnation of the pearl market due to the successful competition of the Japanese cultured pearl and the 1930's world crisis were responsible for the same phenomenon in the thirties and forties. Oil in the fifties and the aftermath dealt the last blow to the fragile land and sea economies of the Gulf communities, obliging a mass migration to the new metropolis of each State of the region.

The growth of these capitals may be inferred by simple calculations of urban area over several map editions, or from statistical data if it exists. According to Shuaib[10] the built-up area of the city of Kuwait was 7.5 km^2 in 1921 and 22 km^2 in 1951. It rose dramatically to 300 km^2 in 1971. This means that the urban growth of Kuwait was slow and gradual in the first stage and accounted for a three-times areal growth in 30 years. The second stage, with fully-fledged oil effects, showed a fourteen-times areal growth in 20 years. The city now extends over 600 km^2, and the urban sprawl connects it with other cities southwards, making it the "megapolis" of the Gulf, with a population of over one million.

The uniqueness of Kuwait in the Gulf is only size-wise. The same qualitative elements of quick growth is at work everywhere in the area. Doha, for example rose from a built-up area of 4.4 km^2 in the early fifties to about 40 km^2 in the late seventies. Planners projected a southern extension of 16 km^2 staged to completion in 1990, while the West Bay project, presently in its finishing stages, and the fast-growing suburbs of Rayyan and Gharafa, would bring the area of Doha to the neighbourhood of 100 km^2 by the end of this decade.

Quick and phenomenal urban growth can yet be attested by the rise of power generated and the production of desalinated water. In Qatar the generation capacity of electricity rose from 30 megawatts in 1963 to the dazzling figure of 800 megawatts in 1980.[11] The domestic demand for power has increased at an annual rate of 31.6%. Similarly the capacity of water desalination plants in Qatar rose from 130,000 gallons per day in 1954 to 2 millions in 1963 and around 40 millions in 1980.[12] In the U.A.E. the generation capacity of electricity rose from 10 million KW in 1973 to 131 millions in 1977.[13]

3) Land Value and Housing:

The result of hastened urban growth was that demand on land within and around urban areas rose sharply leading to a similar sharp rise in land value.

Assuredly land had a certain value in the past. It must be assumed that such value was stabilized over long periods. The demand was not high, the population did not increase to any remarkable extent, and vacant land was in abundance. However, vacant land does not mean that there were no claims to it. Usually big areas were claimed by clans and tribal groups. But the ways and means by which individual property rights were acclaimed needs further investigation. For this, in our opinion, is the basis upon which present claims and titles to land intensified the sharp rise in land value starting in the sixties and continuing up to the present. For example the price of a square metre in Kuwait city rose recently from about $US 35 to $US 450 in a matter of one or two years. In high-class suburbs the metre is sold for $US 900.[14] In the central business district of Doha the value of a square metre is calculated at $US 1,000. The same applies to all Gulf major cities.

At present building materials and types of buildings and architecture are more or less imported and to a great extent represent the universal wave of high-rise, concrete and glass, all of which are alien to environmental conditions. Thus it necessitates high power consumption for air conditioning. High-rise contradicts — at least for the one or two generations to come — the traditional and ethical standards of the original Gulf society, whose preference is the detached villa with a courtyard behind closed doors.

Other constraints that lead to higher construction prices and rising rental values are:

(a) the high price of imported materials,
(b) the lack of modern skills in building and fitting, and
(c) the unadaptability of standard building materials to the elements, i.e., intense heat, sunshine, humidity and corrosive agents.

10. Hamed Shuaib, "Urbanism and Planning in Kuwait," (Arabic), Seminar on Planning and Human Settlements in the Arab Countries, Doha, March 1980.

11. "Qatar Yearbook 1978—1970," Doha, p. 79.

12. Ibid., p. 81.

13. United Arab Emirates, Ministry of Planning, "Annual Statistical Abstract," Abu Dhabi, 1978, p. 127.

14. Abdel-Rasoul El-Mousa, "Social Changes and Their Effects on Residential Areas," (Arabic), Seminar on Planning and Human Settlements in the Arab Countries, Doha, March 1980.

V

Research Tasks

Since economic change has set a course of unavoidable change in other areas of land and society relationships in the Gulf region, some guiding lines of further investigations may be proposed.

1. Alternatives to the present source of wealth are currently associated with the creation of an industrial sector. Industrial endeavours are under way in all Gulf countries. All industrial implications concerning population structure, land utilization and regional markets must be explained.

2. In theory the interest in reclamation of land to produce food — plant and animal — is much publicised in the area. All environmental, cultural and human power constraints must be studied in depth. Special importance must be given to studies of water resources to achieve the balance necessary in an arid zone.

3. Problems of the one metropolis must be tackled to avoid the fate of other Third World urban problems.

   The Gulf cities have not yet reached the point when a city can self-generate its own laws of growth despite human control. A fairly distributed population over economically-sound settlements may be proposed as a means of correcting the status quo, and inducing land use over much of the country's space.

4. Studies must concentrate heavily on the problem of expatriates in the Gulf region. Their sheer numbers (50-80% of the total population) and the diversity of their origins, cultures and languages (the majority of the labour force and immigrants are from the Indian Sub-Continent, and Arabs and non-Arabs from the Middle East, and the minority are from Western countries and the Far East) necessitates sociological, demographic and economic research, along with other political implications that may arise in the future.

5. A revival of sea activities may be stirred up by studies on fisheries, pearling, and a commercial fleet.

"All joy o' the worm"
The Ironic Tragedy of
Antony and Cleopatra

A. M. Kinghorn

The modern critic seeking to investigate the nature of the tragic condition in Shakespeare's *Antony and Cleopatra* inherits not only the problems handed down from previous generations nurtured on Bradley, Dowden, Granville-Barker and Dover Wilson, but also those which emerge from the play's effect upon a present-day audience. Some degree of compromise is undoubtedly needed if the traditional body of attitudes surrounding the lovers is to be reconciled with contemporary doubts concerning the values they claim to represent.

Cleopatra was familiar to Shakespeare's audiences as the legendary seductress of two great Romans--Julius Caesar in her "salad days" and of Mark Antony in her thirties[1] Both her important conquests were middle-aged and she herself was considered to be an outstanding example of *la femme fatale,* like Boccaccio's Criseida, *una villana* of Italian romance. Such masterful men could only be entrapped by such a strong - willed female, in her own right a Queen, capable of swaying emperors and captains--the supreme earthly manifestation of the vision of eros. Enobarbus's extravagant recollection of her physical person as "O'er-picturing that Venus where we see/The fancy outwork nature" (II,ii, 200-1) and invidious comparison of other women to her in the "infinite variety" of her erotic techniques (*ibid.*, 235-8) make of her a dream courtesan such as all men desire.

Agrippa responds with suitable remarks--"O, rare for Antony" and "Rare Egyptian!" (*ibid.*, 205, 219) but cannot resist bringing Cleopatra down to earth with a bump:

> Royal wench!
> She made great Caesar lay his sword to bed;
> He plough'd her and she cropp'd
> (*ibid.*, 227-9)

and in scene vi of the same act, even Enobarbus, prompted by Pompey, recalls, a little hesitantly, how Apollodorus carried "a certain queen to Caesar in a mattress" (1.70). Shakespeare never allows his audience to contemplate Cleopatra from afar, nor to regard her as an ideal to be admired as an out-of-reach goddess high up in the clouds--on the contrary, he constantly directs attention to her body and her physical actions. Her very first appearance is accompanied by "Eunuchs fanning her" and she is soon shown being embraced by Antony--throughout the play she is shown directly and by report as a creature of movement--E.A.J. Honigmann refers to her "dancing, hopping, running, painting, learning, falling, reclining, yawning,biting, pinching, fighting, and, above all, in her scenes with Antony, kissing, fondling, embracing"[2]. One imagine her possibilities as a contortionist--Shakespeare pulls his audience back to a concentration on her sexual power again and again, from first Act to last.

Roman poets and historians, not surprisingly, condemned her. Dante set her in the Second Circle of Hell along with other carnal sinners of like sex--Dido, Helen and Francesca. Boccaccio blamed her as he did Criseida, though Chaucer's brief portrait in *The Legend of Good Women* marks her as a true lover according to courtly convention and praises her fidelity unto death. Poets and particularly playwrights were then beginning to present Cleopatra as a person to be pitied and the lovers as victims of circumstance who were not wholly guilty of infringing the moral law:at the same time traditional opprobium could not be entirely cast aside because it was too well established to permit of a drastic shift of emphasis. Giraldo Cinthio's *Cleopatra* (ca. 1542), Robert Garnier's *Mark-Antoine* (1578) translated in 1590 by the Countess of Pembroke and Samuel Daniel's *The Tragedie of Cleopatra* (1594) all rely to a greater or lesser extent on an inherited portrait of Cleopatra as morally flawed though at the same time they sought the audience's sympathy for her plight. Shakespeare's *Antony and Cleopatra* (1606/7) while owing something to its predecessors, substitutes a romantic for a moral definition. The lovers and their love is the first and only dramatic consideration in this play, and questions concerning the morality of what they did are immaterial. Like that in *Romeo and Juliet,* its conflict is a death-struggle between love and forces hostile to love. Individual "character" is not significant - Antony's "heroic" reputation is a functional stereotype; Cleopatra's "infinite variety" a dramatic convention to bring the classical vision of *eros* into Elizabethan focus.

Shakespeare did not seek to fashion tragic figures out of such well-tried clay. Enough that his audience should readily accept the pair in the form which inherited tradition had determined, namely, as ill-starred lovers, and then look afresh at what the play makes of them. In Act I Antony is soon established as a general with a good fighting record and holding one of the three most responsible positions in "the world" (i.e. the Roman political structure) but in his "dotage", namely, in a state of over-fondness which threatens his judgement.

The audience knew enough about ancient history to perceive Antony as a man who did have many laurels to rest upon--and, if his public were ignorant of historical fact, they had at least seen *Julius Caesar* performed. In addition, the account of his career as given in North's *Plutarch* (1579)[4] reveals Antony's shortcomings as well as his sterling qualities, though it is his cold-blooded treatment of Octavia which is Antony's most ignoble recorded act during the period covered by the play. Cleopatra's reputation as an experienced courtesan able to play upon his emotions and almost (though not completely) numb his judgment confirms this initial impression and perhaps encourages a more benevolent view to be taken of first reports concerning the *affaire* than may really be justified in the light of information subsequently acquired.

This initial impression, together with the splendid setting of the Egyptian scenes, blocks the audience's communal judgement and tends to crowd out logical opinions of the expedient kind such as are voiced by the far less attractive "Roman" group, whose attitudes are governed or at least influenced first and foremost by political considerations. Dowden's Victorian analysis of the play perceived it as a love-tragedy wherein the love is so magnificent as to make the audience sympathise with the lovers because they are so remarkable but it is to be doubted if this can justly be said of the first four Acts. The spectacle of a middle-aged man in the grip of love for a highly emotional women, even when set against a background of significant historical events, is not to be adjudged remarkable in itself - it could well be sordid, or even silly, reflecting ill on the partners. In Elizabethan eyes, lovers were legitimate objects of derision to be equated with lunatics and poets in their madness[5]. Antony has simply been made "mad" by love--he is "inamorato", therefore capable of any kind of ridiculous behaviour.

As many critics have pointed out, the play from the start lays stress on timelessness and spaciousness, on love so great as to defy measurement and which cannot be adequately pictured in range and scope by any but the most extravagant conceits. Antony's "new heaven, new earth" (I, i.18) is, neverthe-less, no more convincing than his statement:

Here is my space,
Kingdoms are clay: our dungy earth alike
Feeds beast as man; the nobleness of life
Is to do thus:

(*ibid.*, 36-9)

in which "thus" refers, according to the stage direction, to his embracing of Cleopatra, a demonstration of physical love and affection which the lady herself regards ironically as "Excellent falsehood", that is to say, as stock lovers' talk, not to be taken at more than its face-value as flattery though in this case the context gives the relationships depth and meaning. Because the audience knows

that it is Antony talking, the love may be presumed to be all-powerful. Later incidents give one cause to reconsider this conclusion.

Morever, Philo's introductory account of Antony's conduct, referring to his excessive dotage[6]--which implies that a certain degree of "dotage" is acceptable but that this "O'erflows the measure"--is contradicted by his general's words and conduct in scene ii, when the word "dotage" is reiterated, this time by Antony himself:

> These strong Egyptian fetters I must break
> Or lose myself in dotage
>
> (114-5)

He is not yet become a "strumpet's fool", in spite of what Philo tells Demetrius about him and can still stand outside himself and estimate the extent to which Cleopatra is affecting his reputation as political leader and loyal husband to Fulvia. His ejaculations, made in response to the wordiness of Enobarbus in the same scene, make this stage of detachment clear--he realises that he "must with haste from hence" and "must be gone"--observations in opposition to what Enobarbus is saying about Cleopatra, as usual, in superficial terms, or "light answers" as Antony calls them. The Egypt-inspired characters seem to talk in a kind of shorthand, even not to be communicating at all, nor even trying seriously to do so; Enobarbus helps the audience to interpret what is really being said and done underneath the verbiage of allusion and half-hint.

In contrast, the members of the Roman group follow a species of logic. Caesar deals throughout in facts, intelligence and politically-inspired opinions. Even Pompey, though a fatalist who hopes for the best, is essentially a man who connects ends and means. The same contrast exists between Cleopatra and Octavia, the former whose "passions are made of nothing but the finest part of pure love" (I,ii,144-5), the latter "of a holy, cold, and still conversation" (II, vi, 119-20). Antony cannot be expected to prefer her to his "Egyptian dish" simply because conventional demands of marital fidelity and political loyalty have been made upon him as though they were one entity -- which in Caesar's eyes, they were. He flouts convention and defies Rome, compelling Caesar to assert his authority. Octavia, as cold a fish as her half-brother, has little to say when she hears of her husband's reunion with Cleopatra -- a marked contrast, again, with Cleopatra's violent rage when she hears of Antony's re-marriage in II,v.

Placing Egypt and Rome in opposition with the ocean in between imparts a ready unity to the amorphous dramatic material and creates a single conflict. Shakespeare crudely but effectively reduced the symbolism to fundamentals of human civilization -- the ancient antitheses of East and West, wherein East signifies Man's will, perceived as insatiable, desiring always to satisfy its craving for action and dynamic living; this is the impulsive will in the service of desire, or pure selfishness. Antony, a product of Rome and her imperial obligations, is

brought up hard against the voluptuous forces of Egypt for whose primitive appetites Cleopatra is made to stand. The West is itself a focal point of controversy -- Antony as he is when Cleopatra ensnares him, the Protestant will encountering the Romantic spirit, and setting off a conflict between reason and desire. Octavius, slave of the intellect, speaks for logic, censorship, duty and the classical virtues (in which Antony has also been schooled but from which he is now being lured away even against his own better judgment). Enobarbus knows that his old friend will never leave Cleopatra and by the time the action has reached III, vi, the audience understands that Antony has finally repuditated Rome's authority and, after the reported battles, that he has lost his Roman skill in generalship.

According to this synoptic view, which has obvious origins in psychoanalytic theory, the lovers provide the means by which Rome secures the political domination of Egypt but they are at the same time the means of rendering Rome's victory innocuous; Antony chooses love before imperial claims and his surrender is not to military forces. No internal conflict baffles him -- even his defeat and flight fail to crush him - his rejection of this world does not come until he hears the false report of Cleopatra's death, brought him by Mardian in IV, xiv, 28f. To be reunited with her/he realises that he himself must also depart from life:

> I will o'ertake thee, Cleopatra, and
> Weep for my pardon. So it must be, for now
> All length is torture: since the torch is out,
> Lie down and stray no further
>
> (IV, xiv, 44-7)

but his confession to Eros:

> Since Cleopatra died,
> I have liv'd in such dishonour that the gods
> Detest my baseness
>
> (*ibid.*, 55-7)

is ironic, firstly since she is not dead; since"dishonour" concerns both public opinion of him and his opinion of himself -- publicly he has not been directly dishonoured[7], yet here he is only at this latter stage confirming that he claims to agree with some general verdict. "Since Cleopatra died" is in the play only a matter of minutes. Moreover, in III, xi he himself was raving against her and threatening her death.

> The witch shall die,
> To the young Roman boy she hath sold me, and I fall
> Under this plot; she dies for't.
>
> (47-9)

Antony fails to kill himself Roman-fashion, by falling on his sword -- a further sign of his loss of former efficiency -- and only now does he learn that Cleopatra is not dead after all. He accepts the blow which Fate has dealt him and expires, recalling in self-flattery his old glories when he was

The greatest prince o' the world,
The noblest; and do now not basely die,
Not cowardly put off my helmet to
My countryman, a Roman, by a roman
Valiantly vanquished.
(IV, xv, 54-8)

a statement which betokens a final irony, since his earthly defeat is not suffered at his own hands. It is contrived through the vision of *eros* which destroys him in life but recreates him for Cleopatra, Phoenix-fashion, in death. She sees the vision in a dream and describes it to Dolabella:

I dreamt there was an Emperor Antony.
O such another sleep, that I might see
But such another man!
(V,ii,76-8)

launching into a description which grows more and more far-fetched until she concludes:

...realms and islands were
As plates dropp'd from his pocket.
(*ibid.*, 91-2)

though it is soon made apparent that she really and truly believes her dream to be less then the reality:

An Antony were nature's piece, 'gainst fancy,
Condemning shadows quite.
(*ibid.*, 99-100)

Both lovers have in their minds at least departed from the material world; both are beyond the restorative powers of fancy. *Antony and Cleopatra* is not *A Midsummer Night's Dream,* nor is it even *Twelfth Night;* Antony's condition is not of that Romeo, nor is his loss that of Othello, though some superficial similarities are not far to seek. Cleopatra is no Juliet, Cordelia or Lady Macbeth. She has no "character" that invites analysis -- in the first four Acts she is a self-indulgent, alluring courtesan, having breadth but not depth. Dramatically she requires no depth. She is what she is, neither guilt nor innocence belongs to her, and her "real" existence comes only when death is said to immortalise her.

Ironically, as will be noted again later, it is the earthbound Octavius who defines her new status, a status shared by Antony:

No grave upon the earth shall clip in it
A pair so famous: high events as these
Strike those that make them: and their story is
No less in pity than his glory which
Brought them to be lamented.
(V,ii,357-61)

and her dying words to Iras and Charmian are usually believed to show that her flight from this world to some higher sphere is about to take off:

Give me my robe, put on my crown, I have
Immortal longings in me...methinks I hear
Antony call. I see him rouse himself
To praise my noble act. I hear him mock
The luck of Caesar, which the gods give men
To excuse their after wrath. Husband I come:
Now to that name, my courage prove my title!
I am fire, and air; my other elements
I give to baser life.
(V,ii,279-89)

The higher elements of "Fire, and Air" -- as distinct from the baser ones of "earth and water" making cold clay--the void separating the rational from the emotional, is not to be easily conveyed in human terms without sliding into near-farce. The history of the lovers, even as reported by North[8], consistently borders on the absurd. The second part of II, v, when the Queen, infuriated when she hears of Antony's re-marriage, runs from violence to misery in a matter of minutes, draws a very thin line between a serious portrait of an enraged women who feels her position threatened by a rival and a laughable caricature of feminine jealousy. Dramatically it is very effective; but it does nothing to prepare the audience to accept her supposed ennoblement through passion in V,ii.

As for Antony's claims to the attainment of release, Enobarbus's final words in III,xiii serve to close the door on his master as owning potential for recovery:

A diminution in our captain's brain
Restores his heart ; when valour preys on reason,
It eats the sword it fights with
(*sc.cit.*, 198-200)

and the opening of Act IV confirms this mental collapse by discussing the challenge to individual combat which Antony sent to Caesar in III,xiii. Caesar's comment is "Poor Antony!" (IV,i,16) and in the scene following Antony is revealed as incapable of understanding why his adversary will not meet him

man-to man in single combat. Cleopatra, who also fails to grasp this point, observes to Charmian in scene iv:

He goes forth gallantly : that he and Caesar might
Determine this great war in single fight:
Then Antony - ; but now - ...
(sc.cit. 36-8)

so obviously she is no longer confident of a favourable outcome. Antony himself conducts his campaign heroically, treats the deserting Enobarbus with knightly generosity, commends the bravery of Scarus and returns to contemplate the hard facts only in Act IV, scene xii when he exclaims:

All is lost
The foul Egyptian hath betrayed me:
My fleet hath yielded to the foe...
(9-10)

though by the end of the same scene of 50 lines he has already become, in Cleopatra's words

...more mad
Then Telemon for his shield
(ibid. XIII, 1-2)

and she takes Charmian's advice -- to send him news of her death -- in order to protect herself from his threatened vengeance. He has, after all, sworn to kill her.

Her "ennoblement through passion" in the final scene has already been mentioned. This is a familiar testimonial to Cleopatra, given her by a great many critics, and it has justified her enshrinement in the pantheon of tragic heroines. Honigmann concludes that "ennoblement remains a possibility, though not one that we can fully believe in "[9]. This is where *Antony and Cleopatra* differs from the other major tragedies, which leave the audience in no doubt--even Antony makes a heroic exit, rounding off his departure in conventional terms:

Now my spirit is going,
I can no more
(IV,xv,58-9)

is his version of "the rest is silence" to which Cleopatra supplies a chorus:

Noblest of men, woo't die ?
Hast thou no care of me, shall I abide
In this dull world, which in thy absence is
No better than a sty ? O, see, my women :
The crown o' the earth doth melt
(ibid., 59-63)

and a few moments later, she faints, so that Iras thinks she is already dead. The effect is less one of high drama than of a performance tossed off by a prima donna who has come to believe that her rôle-playing is real.

The Cleopatra of the final Act, minus Antony's physical presence, is a more complex creature than "the whore" (Caesar's epithet for her in III,vi, 67), "a trull" (Maecenas in *ibid.*, 95) and "yon ribaudred nag of Egypt" (Scarus in III,x,10). Caesar stops insulting her only when he learns in III,xiii that Cleopatra is prepared to yield to him, and henceforth grants her her title of "Queen"--it is from Antony that a phrase like "triple-turned whore" is heard and he goes on heaping abuse upon her in his distraction, accusing her of betrayal, until Mardian reports her death.

Much high-flown prose has been expended on the Cleopatra of the last Act. Fairly typical is Fluchère's:

> The grandeur of this death lies not in the pride of its pomp, but in the certainty of the identity of love with immortality, in this amazing alliance of nobility and simplicity, of the queen and the woman, which in her final speech works like magic...The underlying significance of *Antony and Cleopatra,* therefore, is to my mind that Shakespeare has recovered his calm of spirit. The heavy covering of lead that weighed down the universe is lifted, the horror of death dispelled, the triumph of evil is no longer the only reward promised to human passion, revolt no longer the only possible attitude against indifferent or cruel gods. Shakespeare's tragic experience has gone full circle, and the first reconciliation takes place in a brilliant world, loud with the clash of arms, traversed by grandiose political ambitions but made poetic by an immortal love.[10]

This is worth quoting from at length because it sums up the comfortable view of generations of critics who looked to Shakespeare's later plays as conveying a reassuring vision, a "calm of mind, all passion spent" message of optimism and solace. Shakespearean tragedy is explained not only in such terms as an aperient but also as though the poet were offering his audiences a sound investment in human hope and potential. The well-adjusted Caesar, showing more sympathy than before, pays the dead lovers justifiable compliments and organizes a magnificent funeral for them, ending in a shared tomb. Thanks to him the historicity of their immortality is secure. Death has at last in his possession "a lass unparallel'd", as Charmian describes her mistress. She expires with a query on her lips which her loyal handmaiden completes:

Cleo. As sweet as balm, as soft as air, as gentle.
O Antony!.....
What should I stay-----
(Dies)

Char. In this vile world
(V,ii,310-3)

The last unexpected shaft of Cleopatra's earthbound jealousy is aimed at faithful Iras whose unexpected death in advance of her own suggests to the Queen the fanciful notion that her attendant may gain Antony's favours in the next world before she herself arrives there -- a conceit showing that she is still afraid of not being complete mistress of her own destiny. Her comparisons of the death-dealing serpent's bite to the touch of nature and of life and her final question, cut short by death, may not be entirely rhetorical. It is Charmian who supplies the epithet "vile".

Cleopatra's reaction to Caesar's calculated disposal of her affairs, which she pretends to accept, is immediate and contemptuous:

He words me, girls, he words me, that I should not
Be noble to myself
(V, ii, 190-1)

She knows that he was trying to talk her out of suicide for reasons of his own, and whispers to Charmian -- but it is Iras who answers:

Finish, good lady, the bright day is done,
And we are for the dark
(ibid., 192-3)

and it is now that the audience knows for certain that Cleopatra has for some time been preparing to take her own life through the agency of an "it" which "is provided", namely, the asp. Actually there seem to be at least three asps in the basket of figs -- perhaps one for each women, though Iras's sudden death is not explained.

Cleopatra's self-dramatization flows outwards. Attired in robe and crown, she will ensure that no posthumous lampoonery will immortalize her "greatness/ I' the posture of a whore" *(ibid.* 219). No decriers will have the pleasure of insulting the lovers' memory[11]. Her "immortal longings" are associated with a dignified survival, chiefly, it is hinted, for her own person rather than that of Antony. She convinces herself, and many generations of audiences, that she is taking a step towards certain immortality, as "fire and air", a state of elemental existence which is now the only one left to her own choice, attainable through suicide. Her imagined reunion with Antony beyond the grave, like her jealousy of the dead Iras, is just earthbound metaphor - she is "wording" herself now.

Iras, Charmian and the Clown who wishes Cleopatra "joy of the worm" (V, ii,259, 278) have no such illusions. For them death is just death -- freedom from

life. The Clown makes an ironical reference to a woman being "a dish for the gods,/if the devil dress her not" (V,ii,273-4). Death is darkness -- Clemen notes that "in no other play is this darkness-symbol of death so closely associated with the whole characterization of the persons as in *Antony and Cleopatra*[12]" and illustrates the point by means of examples of the extinguishing of light -- though these refer mainly to Antony rather than to Cleopatra.[13]

Caesar and his train bring the play to a close by holding a hasty inquest into the deaths of the three women. This final episode reads rather like the investigation in a *roman-policier*. Caesar speaks first to Dolabella, who had tipped off Cleopatra that the sole survivor of the triumvirate had been less than frank with her. He now shows himself to be a true courtier by confirming that Caesar's predictions were completely accurate.

Dol. O sir, you are too sure an augurer;
That you did fear, is done.

Caes. Bravest at the last,
She levell'd at our purposes, and being royal
Took her own way:

(*ibid*, ii, 331-5)

and a "preliminary enquiry" is set going[14]. Caesar and Dolabella ask the questions and the intelligent First Guard helps them to reach an appropriate conclusion. How did these three women die? Not by any obvious means involving violence, since there is no sign of blood on any of the corpses. Does anyone know who was last seen in their company?

Here the Guard speaks up and recalls the "simple countryman" with his figs, delivered to Cleopatra. There is the basket -- Exhibit A, one might say. Caesar immediately jumps to a conclusion -- were they poisoned (by the figs, presumably) ? The Guard points out that Charmian had been alive after Cleopatra was clearly dead and had spoken to him. He gives an account of her death, how she trembled and then dropped down suddenly. The audience knows this and so does another guard who contributes nothing to this discussion. Moreover, both guards know that it was an asp which Charmian applied to her body, but they do not mention the snake at this point. Instead, they allow Caesar and Dolabella to go on play-acting "detectives". Caesar suggests that it does not look like poison since no external swellings is visible on any of the bodies; Cleopatra, in fact, looks as though she were asleep, and still able to rouse a man's desires.

Dolabella examines Cleopatra's body and spots a puncture on her breast, with a mark of blood -- he is more observant than Caesar, apparently. He sees "something blown" -- variously explained as "swollen" or as a trail, such as a snail might leave. If the former, then Caesar is wrong again, since he fails to

detect any swellings. Dolabella finds a similar set of marks on her arm.

Now the guard leaps in self-importantly with his great "deduction".

> This is an aspic's trail, and these fig-leaves
> Have slime upon them, such as the aspic leaves
> Upon the caves of Nile
>
> (*ibid.*, 349-51)

he informs his hearers. His logic is a sham. He was actually present when Charmian applied the asp - this is made quite clear from the text and stage directions[15].

> First Guard. Caesar hath sent-----
> Char. Too slow a messenger.
>
> (V, ii, 319-20)
>
> (applies an asp)

The Second Guard comes in time to witness Charmian's death, so may be presumed to have seen the asp wriggle away. The first Guard has concealed his knowledge of the asp's presence and has very skilfully taken advantage of the situation until the right moment. He even "blinds his hearers with science" -- all this matter about aspic trails on the caves of Nile is just stage patter, intended to impress. Sherlock Holmes in his latter days could not have done better.

Caesar wastes no more time in pronouncing his final verdict, which amounts to a presumption that was the result of the bite of an "asp or asps unknown", probably hidden amongst fig - leaves and according to a hearsay medical report (one cannot believe everything that Caesar says) Cleopatra had been investigating "easy ways to die"[16]. Death by asp-bite was supposed to be painless, and the symptoms mentioned in the text were well-known to Shakespeare's contemporaries[17].

At any rate, in this way a most perfunctory investigation is brought to a close and a swiftly-decided verdict given. Death is death, but Caesar the politician is working out on his feet the best means of tidying up the whole sorry affair with least damage to himself. A grave, a legend, a lesson to others and a military funeral, after which he will return to Rome leaving behind the "pair so famous". Fame, the only evidence of immortality which man and woman can claim and which may not last -- this is the classical concept, the inspiration of "ubi sunt?". The lovers are indeed together, but only in the memories of men. In fact, Cleopatra's first words in V,ii, are :

> My desolation does begin to make
> A better life.....it is great
> To do that thing that ends all other deeds
>
> (1-2; 4-5)

implying that the ostensible purpose of her contemplated demise is to escape from Fortune, which rules this world. It is only gradually that she works herself up to the grand exit -- a one-sided suicide-pact with her deceased lover. For the greatest effect, they ought to have died together -- her later departure from the world has mixed motives. In ordering that they be entombed as a pair, it is Caesar himself who ensures that the legend of their inseparability shall be perpetuated. His last words are ambiguous -- they refer to his own reputation just as much as to the "high events". This concluding speech is calculated and shows him to be in absolute command of the lamentable situation of which the story is now, so far as he is concerned, complete. For Caesar, the political victor, it is now safe to invite pity for the lovers.

Many questions remain, therefore ? Are there winners and losers ? Is Antony saved because his earthly paramour later joins him in death, namely, in a jointly - tenanted grave ? Does Cleopatra "really" escape from Caesar ? Is her ennoblement an illusion constructed out of her own infinitely varied and variable personality which can make and remake worlds of her own specious design ? Is she really cheating herself and all who think they owe her allegiance ? It is important to note that she wanted an easy death - with no suffering - for the heroic death involved pain, not oblivion aided by an anaesthetic. Is Antony a hero or a partial idiot -- does even a hero wear an ass's head when he is in love ? Is the escapist language of the play -- quite unlike that of any other of Shakespeare's -- supposed to stifle a cynical response and uplift the audience, as critical tradition would have it ? Is *Antony and Cleopatra* a play which meant one thing to an Elizabethan or even a Victorian audience and must now mean somthing quite different to people disgusted by heroics and cynical about love.?

Perhaps the central figure is really the insignificant Clown in Act V, Scene ii, with his "pretty worm of Nilus" which offers an easy exit from a worthless existence. Are Cleopatra's gesture "to the false housewife Fortune" and Caesar's lot to be "but fortune's knave" so different in their effects ? Like all tragedies, this play is about death and not necessarily about a love which transcends it -- nothing transcends it -- a conclusion which is perfectly consistent with Shakespeare's mature tragic vision in *Macbeth.* Antony and Cleopatra are what Kierkegaard called "aesthetic"creations -- fire and air are the stuff of deception, no less than the "baser elements" of earth and water[18].

NOTES

All quotations and textual references to *Antony and Cleopatra* relate to the Arden editioned. M. R. Ridley (based on Case's 1906 edn.), London, 1976.

1. And possibly Pompey and Octavius Caesar as well (cf. III, xiii, 116-8). Cleopatra was 38 when she died, Mark Antony, 53, or 56, according to Plutarch. Their liaison is reported to have lasted 14 years and produced several children.

2. E.A.J. Honigmann, *Shakespeare : Seven Tragedies* (London, 1976), 156.

3. For complete information on Cleopatra's reputation among historians and poets see G. Bullough ed., *Narrative and Dramatic Sources of Shakespeare* (London and New York 8 vols), V,218ff.

4. Printed in Bullough, *ed. cit.*, 254-318.

5. cf. *MND*, V, i 8-9.

6. *Dotage* - *OED* (rev. edn. 1970) gives two general definitions of this word : 1) Involving the impairment of intellect and judgement especially through old age. 2) Involving foolish affection, excessive love or fondness. Antony is in his mid - 50's, (cf.n.l. *supra*), so that either of these interpretations is acceptable, though (2) is probably the one intended. (cf. *Two Gent. of Verona,* IV,iv,87).

7. "Honour" and its loss is a frequent topic in Shakespeare - *Troilus and Cressida* and *Hamlet* both dwell on the subject and in *Othello* it is central to the plot against the hero though in the latter play it refers specifically to opinion,that is, what other people think, or seem to think and on the grounds for such a view. *OED* gives *glory, renown, fame, credit, reputation, good name,* as synonyms for *honour.* Antony observes in III, iv, 7 that Caesar could not "but pay me terms of honour" in public; in IV, ii, 6 he refers to his "dying honour" (*sim.* in line 44 of the same scene he equates death on the battlefield with honour). Only at this point does he think of himself as having lived in "dishonour" though this sounds like Antony's typical exaggeration. He wishes Cleopatra's honour preserved, however (IV,xv,46). *Cf.* also n. 11 *infra.*

8. cf. Bullough, *ed. cit.,*

9. *op. cit.*, 169.

10. Henri Fluchère, *Shakespeare* (trans. Guy Hamilton): 5th impression : London 1967), 263.

11. In particular, Octavia, who "shall acquire no honour/Demuring upon me" (IV, xv, 28-9).

12. Wolfgang H. Clemen, *The Development of Shakespeare's Imagery* (London 1953), 165.

13. *ibid.* 162ff.

14. Compare Plutarch with Shakespeare here -- each handles the hearsay evidence in a different manner but it is clear that the precise circumstances were not known at the time, or covered up in some way (cf. Bullough,*ed. cit.*, 316).

15. *First folio* (1623).

16. Plutarch mentions this (cf. Bullough, *ed. cit.*, 305)

17. Cleopatra's "asp" is now thought to have been the Egyptian cobra, though this was surely rather a heavy reptile for the purpose and one must not expect too much herpetological expertise from Shakespeare, who followed Plutarch in this matter.(cf. Arden text, 218, n. 344, also Michael Grant, *Cleopatra* (London 1972) 226-8.

18. cf. this author's two articles on Shakespearean tragedy in Vols 1 and 2 of this *Bulletin,* in which this argument is maintained in connection with *Hamlet* and *Macbeth.*

"Nothing extenuate": **Othello**, "a super-subtle" Tragedy

by A. M. Kinghorn

Elizabethan psychology was on modern standards rudimentary and rooted in broad generalizations inherited from Aristotle. Yet later speculations regarding the enigma represented by Iago really came no nearer to explaining his motives than the naive personifications of the morality plays could be said to account for their actions denoting the Deadly Sins. Iago was initially understood to be "a hater", moved by the Devil, and though drenched with much more flesh and blood than the faceless figures of Crafty Conveyance and Cloaked Collusion[2] he is squarely in line of descent with the mediaeval Vice. In the First Folio Iago is referred to as "a Villaine" in the list of dramatis personae.[3]

Since Coleridge's grand diagnosis of "motiveless malignity"[4] the fruitless search for justifications has continued. Now critics dig deeper, in the light of contemporary psycho-analysis. Iago's conduct is base but is no longer especially shocking. Man's delight in doing harm on a large and small scale is self-evident and even the Lear world falls short of doing justice to human capacity for destruction. Tragedy, it is argued, is no longer possible; it depended on Christian optimism and the modern world, or at least the Western world, has lost hope. The depths of human activity are better represented by Kafka and Orwell than by Shakespearean villainy. Individual loves and hates have been diminished.

Yet, although Iago's deeds have only domestic consequences, he is still fascinating, perhaps because he is not "high-mimetic", like most of his companions on the **Othello** stage. One may even defend the fellow and sympathize with his frustrations, if not quite with his methods, of extorting requital for his real or fancied slightings. Revenge, after all, was once a noble ideal, obligatory among Germanic tribes and inseparable from the warrior's honour. Though it is Othello's honour which, more obviously than any other, is at stake in this play, Iago, too, has good reason to feel himself dishonoured, since his heavily-emphasized reputation for "honesty" was threatened by Othello's failure to promote him.[5] His revenge is of the "backstabbing" kind and beyond the understanding of a noble warrior in the knightly tradition; he is very skilful at setting traps and in the realm of art (or even in that of real life) one can still admire his consummate villainy and relate it to familiar situations.

Iago's inner self is well disguised. Though he feels himself humiliated, his own high opinion of his own qualities is by no means greatly exaggerated. It is held by others — Othello, Desdemona, Cassio and the Duke of Venice all count him reliable. His wife Emilia, though she calls him "my wayward

husband" (III, iii, 296) and whom he finally murders, is utterly astonished at the revelation of his villainy in the last scene.

Shakespeare's preamble to an explanation of Iago's attitude recalls a conversation which took place between him and Roderigo before the action of the play commences. Iago had already picked his target, and the other victims of his plot are incidental, or accidental.

> **Rod.** Thou told'st me, thou didst hold him in thy hate.
> **Iago.** Despise me if I do not. ...
> (I, i, 7—8)

Immediately following this, Iago starts to give his reasons. He has been "passed over" and, not surprisingly, bears a grudge. His use of the word "despise" shows that he has been concerned about his own reputation and that a "him" (Othello is unnamed until Act II) has committed some act which requires a vendetta to be maintained). Is lack of advancement adequate ? Is Iago justified? Introduced as the villain of the plot, his statements are of necessity suspect, yet they seem reasonable, if somewhat obsessively expressed — Iago is angry, his self-esteem damaged, his great vanity stabbed. In a society wherein reputation is of paramount importance, a man of spirit would not easily recover from a blow delivered by higher authority, nor forgive anyone who made him look foolish.

The audience soon learns that Othello has known Iago for some time and is well aware of his ancient's practical abilities (**ibid.**, 28—9) yet he has given the vacancy to Cassio, a "bookish theoric" having no first-hand experience of battle. This suggests that Othello's judgment of others was unbalanced, even when he was making it in his professional capacity. Moreover, what the audience learns about Cassio from others and from his own handling of situations is unimpressive. Iago's slanders — "a Florentine" (**i.e.** an untrustworthy outsider) and "this counter-caster" (text-book soldier) are part of his own envious reaction to disappointment but in the very last scene of the play Emilia calls Cassio "a fool" (**sc. cit** 234) Nor is this young man's supervision of the guard in the first part of II, iii carried out with the crisp efficiency which one might expect from an able officer — he tries to give the impression that he is in control of things but it is soon obvious that it is Iago who has seen to the punctual posting of the watch according to Othello's orders.

Later Iago relates his intentions towards Cassio :

> **Iago.** If I can fasten but one cup upon him,
> With that which he hath drunk to-night already,
> He'll be as full of quarrel and offences
> As my young mistress' dog.................
> **(sc. cit. 44—7)**

implying that Cassio is already well on the way to being drunk on duty — which, under Iago's persuasion, he eventually becomes, to such an extent that he cannot recall what happened, as he admits to Iago after Othello has cashiered him:

> **Cas.** I remember a mass of things, but nothing distinctly; a quarrel, but nothing wherefore. O God, that men should put an enemy in their mouths, to steal away their brains; that we should with joy, revel, pleasure, and applause, transform ourselves into beasts!
>
> **Iago.** Why, but you are now well enough: how came you thus recovered?
>
> **Cas.** It hath pleas'd the devil drunkenness to give place to the devil wrath; one unperfectness shows me another, to make me frankly despise myself.
>
> (**ibid.** 280-9)

The same verb "despise" is used again to denote a loss of honour — in Cassio's vocabulary it is his "reputation" which has been forfeited, and he is full of remorse. For his disgrace he blames the devil in the shape of wine, then the devil "wrath". Iago blames Cassio for being prone to anger — he tells Roderigo that "he is rash and very sudden in choler" (II, i, 267) but this does not seem to be borne out by Cassio's behaviour and in II, iii Iago explains to Othello that he had never before seen him "high in oaths". One possible explanation is that Cassio has a poor head for drink, a tendency that fits in with the rest of his "light" personality. He is not a man much able to stand up for himself and indeed the only defence he puts up in the play is to draw and wound Roderigo in V, i. His accession to Othello's post in V, i, 333 is an irony.

It is not surprising, therefore, that Iago, who knows Cassio's limitations and understands him well enough to be able to entrap him without difficulty, should feel himself let down by having to play second fiddle to this "great arithmetician". But, more significantly, Iago's indignation, expressed several times as hatred and abhorrence of "the Moor" is related to his expectation of old-fashioned loyalty from his general. Evidently the **comitatus** spirit is not working. This lord has rejected his old companion, so that he feels exiled, a fearful punishment among Germanic tribes, of which traditions lingered vestigially for many centuries afterwards.[8] Iago may have devoted his service to Othello "for my peculiar end" as he claims, but if this confession of total self-interestedness be true and not simply a post-dated claim stemming from hurt pride then he has concealed it very skilfully. Othello still reposes complete trust in his subordinate. He unhesitatingly leaves Desdemona in Iago's care, calling the latter:

... my ancient:
a man he is of honesty and trust

(I, iii, 284—5)

and unquestioningly accepts all Iago's evidence in the Cassio incident of II, iii. He believes Iago "honest" until the final scene. One may well gebin to doubt Othello's ability to judge men and situations with any accuracy. Iago's earlier sneering comment, summing the Moor up as a man

.... of a free and open nature
That thinks men honest that but seem to be so,
And will as tenderly be led by th'nose
As asses are

(ibid, i, 397—400)

appears more and more to have a solid foundation. Under normal conditions this quality would be a virtue. In an honourable truth-telling world he would come to no harm. But in Iago's world the Moor is helpless; out of it he is successful in his enterprises, in war and in love. He makes up his own mind until Iago starts to make it up for him.[9]

Iago fluctuates between hatred and admiration of Othello — the succession of pejoratives, "old black ram", "lascivious", "erring barbarian", "lustful", later qualified but not relieved by phrases like "of a constant, noble, loving nature", and probably "a most dear husband" shows up his jealousy and it includes sexual envy, as the stream of ugly images in II, i reveals together with the wild accusations of adultery which he casts around in the same scene (**cf.** n. 16). An element of admiration is essential to jealousy at its most corrosive — in the last Act Iago is even indicating envy of Cassio who in II, i is "handsome, young and hath all those requisites in him that folly and green minds look after" and in Act V is said to have

.... a daily beauty in his life,
That makes me ugly

(V, i, 19—20)

Iago's talk throughout of women is contemptuous and laced with references to lechery, eroticism, and the gross physical side of love, **eros** in marriage, without **agapē,** its spiritual counterpart.

What of Iago's judgment of Othello? Is the Moor really so naive and unworldly? He claims to be a man of no great skill in rhetoric:

Rude am I in my speech
And little blessed with the set phrase of peace

(I, iii, 81—2)

Yet his own advocacy when questioned by the Duke about his "beguilement" of Desdemona is skilful and to the point. He can always rise to the full height of his soldierly reputation.[10] When he has finished speaking, the Duke observes:

I think this tale would win my daughter too ....

(171)

and the atmosphere lightens immediately. The Duke wants to proceed to the more pressing business of the day, namely, the threat from the Turks against Cyprus — and private feuds are given second place in his list of priorities. Othello's technique of tale-telling (denigrated by Iago in II, i as "bragging and telling her fantastical lies") includes accounts of cannibals, ape-men (Anthropophagi) and deformed creatures straight from the pages of Mandeville's **Travels,** which the Duke readily accepts as constituting a proper method of courtship, but Brabantio, humiliated, remains unconvinced. He asks his daughter, who has just been escorted into the Council chamber:[11]

Do you perceive in all this noble company,
Where most you owe obedience?

Desdemona's answer shows that she has immediately perceived the nature of the conflict — "a divided duty" — the dilemma of the mediaeval schoolman, and she analyses it in the style of Shakespeare's logical women, the Portia-types well able to speak up in their own interests. Cordelia's response to Lear's questioning about love is of a similar quality. Brabantio's initial reaction is much milder than Lear's — he is no tyrant — but he is fairminded and cannot let Othello go without warning him:

Look to her Moor, have a quick eye to see:
She has deceived her father, may do thee

(292—3)

thus inadvertently helping Iago's plot to succeed. Later, Iago reminds Othello of this incident, recalling her capacity to deceive, in III, iii, 210—14.

In I, iii, 357 Iago refers to Desdemona as "a super-subtle Venetian", whose marriage to "an erring barbarian" ought to be easily destroyed by his plot.

Certainly Desdemona's outward shows can mislead. She is a young lady who gets what she wants. Othello thinks he has "made all the running" but she has encouraged him and his wooing with her "super-subtlety":

She gave me for my pains a world of sighs;
She swore i'faith twas strange, 'twas passing strange;
'Twas pitiful, 'twas wondrous pitiful;
She wish'd she had not heard it, yet she wish'd
That heaven had made her such a man: she thank'd me,
And bade me, if I had a friend that lov'd her,
I should teach him how to tell my story,
And that would woo her. Upon this hint I spake:

(ibid. 159—68)

This was a very broad "hint" indeed. Othello does not seem to know much about women of Desdemona's class and may have been led by the nose, in Iago's words. In II, i she confirms this impression, when she is fencing with Iago and trying to draw him out on the subject of women:

I am not merry, but I do beguile **(divert attention from)**
The thing I am, by seeming otherwise..............

(122—3)

Her repartee is well up to his standard. Nowhere in the play can she be seen as a shrinking violet, and when necessity calls. she can tell a lie. In fact, she dies upon one; telling Emilia that she has committed suicide:

Emil. O who has done this deed?
Des. Nobody, I myself, farewell

12 (V, ii, 124—5)

an example of Horace's **splendide mendax,** or "radiant lie", Othello, with tragic irony, misinterprets it:

She's like a liar gone to burning hell,
'Twas I that killed her

(130—1)

Even after he has been exposed, Iago claims that what he said to the Moor was in accord with the facts:

> I told him what I thought, and told no more
> Than what he found himself was apt and true
>
> (V, ii, 177—8)

and like all good liars, always steers as close to the truth as possible — all his character-assassinations take their plausibility from their omissions as much as from their positive statements. He lets Othello deceive himself, and from the very moment in III, iii when he exclaims, on Cassio's exit at line 35:

> Ha, I like not that

and when Othello queries the remark, murmurs in reply:

> Nothing, my lord, or — of — I know not what

the Moor's jealousy is born. Before the conclusion of this long scene Iago skilfully devises the handkerchief trick to provide acceptable "evidence" so that from that point in time onwards Othello becomes more and more convinced that his wife is false:

> .... this is a subtle whore,
> A closet, lock and key, of villainous secrets,
> And yet she'll kneel and pray, I ha' seen her do't.
>
> (IV, ii, 21—3)

even though everyone else in the state of Venice is sure of her honesty, as the numerous references to her innocence and chastity indicate.

Here Shakespeare is playing a trick on his audience since the public opinion of Iago is that he is honest, a quality which that same audience is well aware that he does not possess. This fleeting comparison, induced by an almost, though not entirely imperceptible parallel, casts a momentary shadow on Desdemona. The accusations which Othello then levels at her are so gross as to restore complete confidence in Desdemona, whose replies stress her own guiltlessness. Yet, though she is indeed guiltless of marital infidelity, she is capable of guilefulness. She did deceive her father and to marry Othello behind his back was hardly the act of a dutiful daughter. Her choice of husband before father

as explained by her in Act I is specious and legalistic. Shakespeare lays down the groundwork well. If she can produce such sophistry at short notice it argues that she was prepared for a confrontation as and when it should occur.

It is clear from the text that Brabantio already entertained suspicions regarding his daughter's clandestine activities:

> This accident is not unlike my dream
> Belief of it Oppresses me already
>
> (I, i, 142—3)

in his reply to Roderigo's account of Desdemona's "gross revolt". Moreover, Iago's sudden introduction of Desdemona into his instructions to Roderigo in I, i, 68 ("Call up her father," &c.) suggests that this hitherto unidentified "her" had been the subject of a previous conversation between himself and his accomplice, whom the audience learns was a former suitor whom Brabantio had sent packing. The fact of the marriage is therefore known abroad, but not by Brabantio, the girl's own father. Desdemona has already left home, a **fait accompli** which apparently puzzles the old man.

> O heaven, how got she out? O treason of the blood!
> Fathers from hence, trust not your daughters' minds
> By what you see them act ....
>
> (**ibid**, 169—71)

he exclaims, attributing her escape to magis. [14] His attitude to Roderigo is at once modified — "O that you had had her!" he groans; he would rather have welcomed that young man as his son-in-law than Othello, whom he had "oft invited", unsuspectingly. Clearly Othello was capable of playing a double game and set love above social duty by maintaining such a deception over what must have been a considerable period of time. It is important to note that not all the damage is done by Iago.

Brabantio comes out of it rather well. Though he has been affronted and his own honour threatened, he grudgingly accepts Othello after he has heard both sides of the question. He follows the Duke's advice and agrees to make the best of things. He is even ready to take the responsibility on his own shoulders:

I pray you hear her speak,
If she confess that she was half the wooer,
Destruction light on me, if my bad blame
Light on the man!

(**ibid.** iii, 175—8)

and Desdemona's argument brings him to see immediately that no useful purpose would be served by insisting upon his paternal rights. If the Duke himself believes that Othello's technique would have had the same effect on his own daughter then what more can Brabantio say? He buries his true feelings and contents himself with making a mildly remonstrative statement (95—8, **cit supra**). Later in the same scene, he refuses to have her back in his house, even when asked to do so by the Duke. In any case, neither Othello nor Desdemona want this. All three see that it is likely to lead to an impossible situation.

Duke If you please,
Be't at her father's.
Bra I'll not have it so.
Oth Nor I.
Des. Nor I, I would not there reside,
To put my father in impatient thoughts,
By being in his eye.

(**sc. cit.**, 238—44)

The Duke has given bad advice and after two more impassioned speeches by Desdemona and Othello, realises that the affairs of state come first and lets the pair have their own way. He is depicted as a fairly easy-going, even as a slack, administrator.

The audience is not told how much this business has really hurt Brabantio until after Othello has killed his wife. Gratiano addresses his niece's corpse :

Poor Desdemona, I'm glad thy father's dead;
Thy match was mortal to him, and pure grief
Shore his old head atwain.

(V, ii, 205—7)

Thus is it revealed that the marriage literally killed the old man. Brabantio looks forward to Lear when he complains of the pain of having a thankless child and berates his daughters for what they have done to him — though in Lear's case the action has been deliberate. Brabantio has simply been abandoned thoughtlessly. The last references to him as being still living come in IV. ii, when Desdemona asks Othello why he is weeping:

> Am I the occasion of these tears, my lord
> If haply you my father do suspect
> An instrument of this your calling back,
> Lay not your blame on me; if you have lost him,
> Why I have lost him too.

(44—8)

and in Emilia's conversation with Iago:

> Has she forsook so many noble matches,
> Her father, and her country, all her friends,
> To be call'd whore.

(127—8)

but his actual passing is not mentioned in the text though, according to the time-scheme, it [15] must have occurred within hours of Desdemona's reference to him. Shakespeare here qualified the general view of her character — strong-willed, single-minded and a mite inconsiderate as well as innocent, chaste and spotless, as the Victorians (and most modern critics) would have her. He never makes it completely transparent, however. Othello vacillates between the two extremes of judgment, prompted by Iago, as in this prose exchange:

> **Oth.** O, the world has not a sweeter creature, she might lie by an emperor's side, and command his tasks.
> **Iago.** Nay, that's not your way.
> **Oth.** Hang her, I do but say what she is: so delicate with her needle, an admirable musician, O she will sing the savageness out of a bear; of so high and plenteous wit and invention.
> **Iago.** She's the worse for all this.

(IV, i, 179—87)

but Iago's long suffering wife, Emilia, never falters in her devotion to Desdemona and entertains no doubts as to her virtue. Ironically, she does not suspect her own husband.

> **Emil.** I will be hang'd, if some eternal villain,
> Some busy and insinuating rogue,
> Some cogging, cozening slave, to get some office,
> Have not devis'd this slander, I'll be hang'd else.
> **Iago.** Fie, there is no such man, it is impossible.
>
> (**ibid,** 133—6)

and later she remarks that Iago had suspected herself of adultery with Othello,[16] an item which recalls Iago's 'motive-hunting" in the first Act:

> I hate the Moor,
> And it is thought abroad, that 'twixt my sheets
> He's done my office; I know not if't be true.........
> Will do, as if for surety.
>
> (I, iii, 384—8)

Othello himself is a man with a reputation to maintain and his race, physical appearance and obviously foreign origins make him vulnerable to slander. Since Cassio's Florentine birth is remarked upon by Iago, clearly outsiders are less secure than Venetians so that a "foreign" member of the noble or goversing class whose public image is attacked would be expected to take sharp action. One focal point of such an image would be the man's wife, who had to appear virtuous even when she was not. Adultery was, in the court, common.[17]

"A horned man's a monster, and a beast," says Othello when Iago's "medicine" is working (IV, i, 62) and he is well on the way to believing in Cassio's interference with his prized honour. The Moor's condemnation of what Iago assures him is a practice of "millions" is characteristically extreme but to be thus scorned is worse for a man such as himself who feels "different". Nevertheless, the problem must be faced, and squarely, as a soldier should. He must find proof. Beyond that he is unable to think. When he starts reasoning, he cannot keep up the process; his talk soon abandons logic and degenerates into fragments under the stress of his passion. This reflects the change in him, noted by Iago in III, iii, 330, and commented on by Desdemona in III, iv, 137—140. In IV, i, 260—1, Lodovico is asking, soon after he has seen Othello strike his wife :[18]

Is this the noble Moor, whom our full senate
Call all in all sufficient. This the noble nature,
Whom passion could not shake. Whose solid virtue
The shot of accident, nor dart of chance,
Could neither graze, nor pierce.

to which Iago replies:

He is much chang'd.

So far as the Elizabethans were concerned, a Moor, full-blooded and passionate, might be counted on to react violently;[19] yet Othello keeps demanding proof and continually tries to test Iago's honesty. He himself insists that he is not jealous by nature and Desdemona rejects Emilia's suggestion in this respect without hesitation:

Emil. Is he not jealous?
Des. Who, he? I think the sun where he was born
Drew all such humours from him.
(III, iv, 25—7)

and later in the same scene:

Emil. Is not this man jealous?
Des. I ne'er saw this before:

(96—7)

Iago talks of Othello's "unbookish jealousy" (IV, i, 101) meaning that the Moor's interpretation of Cassio's actions will be certain to inflame him even though these are innocent — the unworldiness and impracticality of Othello in such matters is essential to Iago's scheming. It is Iago alone who creates "the green ey'd monster" which eventually destroys his chosen enemy.

When Othello finally accepts Iago's account, he acts, but not precipitately. His "It is the cause, it is the cause, my soul" speech which opens the bedchamber scene is a deliberate self-justification — the outbursts of emotion are over in IV, ii. Now he speaks like a judge summing up and trying to predict the result of capital punishment, irrevocable but in such a case mandatory. Unlike Hamlet, Othello envisages only one outcome. Hamlet cannot act because of his logic, Othello is directed by his comprehension of reality in terms of

extreme alternatives, with no half-way position and no arguable extenuating circumstances. He follows the book of regulations. Honour precedes love:

Oth. Think on thy sins
Des. They are loves I bear to you
Oth. And for that thou diest

(V, ii, 39—41)

According to his own ideals of honour, he is scrupulously fair and, in contradiction of Victorian critics, not governed by choler at all. By killing her he has restored his honour, without consideration of the emotional or practical consequences. When he finds out that he has done it for nothing he rapidly re-assesses the situation and his "Behold I have a weapon" speech (**sc. cit.** 260—3) reveals his capacity to make quick judgments. Like a good general, though not an outstandingly good one, he knows when he is beaten and surrenders.

Here is my journey's end, here is my butt
And very seamark of my utmost sail

(269—70)

and only then does emotion overpower him. He falls into incoherence and his talk ends with an anguished cry, heart-rending in its grief and desperation:

O Desdemona, Desdemona dead,
Oh, oh, oh.

(282—3)

Yet he quickly recovers himself and can even regard the unmasked Iago dispassionately:

Iago. I bleed, sir, but not kill'd
Oth. I am not sorry neither, I'ld have thee live,
For in my sense 'tis happiness to die

(290—1)

In marrying Desdemona behind her father's back he had violated the traditional obligations of a guest towards his host, since it was in Brabantio's house

that the secret **liaison** was enabled to ripen into a secret marriage. In this respect Othello had set his code of etiquette aside in favour of his love. A man who could not do this would lack humanity and forfeit the empathy of the audience. When he becomes, in his own words, "an honourable murderer" (293) he is restored — but only for a moment. Realizing that his homicidal act has been senseless after all and that, bereft of love, he is left only with his honour, Othello is directed by that same code to the only course consistent with his condition, namely, suicide. His only remaining freedom is to die by his own hand — the unique privilege of Man, denied to the beast. He even justifies his own death-sentence on himself in terms of service to the state :

.... in Aleppo once,
Where a malignant and a turban'd Turk
Beat a Venetian, and traduc'd the state,
I took by the throat the circumcised dog,
And smote him thus.

(Stabs himself)
(354—7)

Endurance, accepted by Lear, is not possible for Othello. The Moor sees no choice left but the one which will restore his honour :

I kiss'd thee ere I kill'd thee, no way but this,
Killing myself, to die upon a kiss

359—60)

Lear's world is a Christian one, wherein charity and forgiveness of sins is paramount. That of Othello takes no thought of an after-life, in spite of the play's rhetoric involving Heaven, Hell and punishment, even though the audience must regard the hero himself as Christian.[20]

But to talk of the "World of Othello" is a misnomer. What the audience is drawn into from the very first line of the play is the world of Iago. Compared with Lear's it is more familiar, bounded by domesticity and falling well within the limits of known experience. Shakespeare has idealized and dramatized a type and Othello, uncomplicated by any sub-plot, is a model of human behaviour of which numerous real-life examples have been recorded from the mid-eighteenth century onwards.[21] Neither the mediaeval vice nor the Machiavellian intriguer with the fine Italian hand were expected to provide more than super-

ficial justifications for their malevolent acts. Iago is a destroyer of human happiness and since his motive is first stated to be "hate", Othello's.

> For nought did I in hate, but all in honour
>
> (96)

sets him at the opposite pole.

The death of his beloved Desdemona is also his own and since he has no conception of any life beyond the grave the ending of this tragedy is earthbound. Like Hamlet, like Macbeth, he leaves nothing behind but a memory — Cassio's epitaph — "For he was great of heart" — a cliché — is all. Gratiano inherits the Moor's fortunes and the Duke goes "aboard" to make his official report of "this heavy act". Othello's role is played out; like Hamlet he wants his story told :

> When you shall these unlucky deeds relate,
> Speak of them as they are; nothing extenuate
>
> (343—4)

he tells his hearers. He has lost all worldly comforts save his honour — even his military office has been given to Cassio. The promised torture of Iago is irrelevant. As he had said when Iago was first unmasked :

> But why should honour outlive honesty
> Let it go all
>
> (246—7)

Yet he pulls himself up into his "honourable" role. At the least, he will leave that much behind him by taking the only way, that of death. Like a skilled actor he chooses his moment, makes his final speech and bows out. The ending of Othello is however no less an irony than that of **Antony and Cleopatra,** which at least left a powerful memory of enduring love, a myth which seemed to transcend death. But the legacy of Othello is faint compared with that of the "eternal" lovers. He may have been "great of heart" but he was also a fool [22] and a victim of self-deception even as he plays his last role — that of a seeker of atonement through sacrifice.

.... one whose hand
Like the base Indian, threw a pearl away,
Richer than all his tribe : ...... one whose subdued eyes,
Albeit unused to the melting mood,
Dropt tears as fast as the Arabian trees
Their medicinal gum.[23]

(347—52)

Love and death here are linked only in his mind. He acts out his part to the end chosen by himself. He has lost his "Being" and paradoxically, it is only at the instant of death that his fleeting triumph comes.

NOTES

1. All quotations and textual references to **Othello** relate to the Arden edition, ed. M. R. Ridley (London 1977).

2. Together with Counterfeit Countenance and Courtly Abusion, these are figures in Skelton's **Magnyfycence** (printed 1530) but the type was common in early Tudor drama.

3. The **First Quarto** had no list. Most modern editions call him "Othello's Ancient" (i.e. ensign, or under-officer).

4. **Lectures on Shakespeare** (1818).

5. 1970 ed. of **OED** gives reputation as one synonym for "honour", together with **credit, fame, glory, good name** and **renown,** all of which originate in the opinions of others, reliable or not. In **The Structure of Complex Words** (London 1951), 218 William Empson pointed out 52 usages of "honest" and "honesty" in **Othello,** citing it as an example of ambiguity. However, OF **honeste** (from Lat. honestus) carried no such double significance, though by Shakespeare's time the noun had shown some deterioration in status, implying the direct opposite of its original. Hamlet asks Ophelia if she is "honest" (**Ham.** III, i, 104), clearly referring to her chastity, and the word is applied to Desdemona in the same context (**Oth.** III, ii, 229 390). Othello asks if Cassio is "not honest", meaning that he does not take the young man to be a seducer. Iago refers to Cassio as "this honest fool" (II, ii, 344), implying contempt for his naivete, but all references to Iago by others imply a high moral standing denoting fair-mindedness, frankness, sincerity, and uprightness, always impelled by the very same motives — which Iago, on his own admission, lacks. Thus Iago's application of the adjective "honest" to himself is always ironic; when others call him "honest" they mean it, albeit patronisingly.

6. In each successive act of the play, honour is attacked or destroyed — Brabantio's, Cassio's, Desdemona's, Othello's and finally Iago's own, but it is Othello and Othello alone who is Iago's target.

7. In III, ii (a scene of only six lines) Othello shows his continued professional dependence on Iago.

8. Othello's cry of exile (III, iii, 353—63) recalls the **"ubi sunt?"** complaint of the Old English "Wanderer" poet and the early Christian homilists.

9. For example, he disregards the recommendations of the "three great ones

of the city" in support of Iago's candidature (I, i, 8—17). However, the audieence has only Iago's word for the matter.

10. Othello is a conscious actor, a role-player, who adapts his language and bearing to the occasion. His part is that of the honourable soldier and man-of-action and eventually, through constant repetition, his responses become automatic. For elaboration on this subject see Thomas van Laan, **Role-Playing in Shakespeare** (Toronto 1978), 180f.

11. The test first mentions "the Sagittar" as the place where "him" (Othello) is to be sought (I, i, 157—8). In I, iii, 115 it is revealed that "the lady" (Desdemona) is there too. It was probably the name of an inn or private house where the newly-weds had lodged and since Othello asks Iago to show the attendants where she is because "you best know the place" (121) it may be argued that the latter had arranged the accommodation, thus accounting for his prior knowledge of this otherwise secret relationship.

12. See Emrys Jones, **The Origins of Shakespeare** (Oxford 1977), 25—6.

13. The opening of **Othello** is unusual in that references to the main characters are indefinite. Desdemona is not mentioned by name until I, ii, 25, Othello in I, iii, 8 (cf. **ed. cit.** introd. xlviii-ix).

14. cf. n. 11 **infra**

15. **ed. cit.** lixvii — 1xx. Professor John Wilson ("Christopher North") first described the device of the "Double Time" scheme in two articles contributed to **Blackwood's Magazine** (Nov. 1849 — Apr/May 1850). The editor states: "What Shakespeare is doing is to present, before our eyes, an unbroken series of events happening in "short time", but to present them against a background, of events not presented but implied, which gives the needed impression of "long time". (1xx).

16. Stated by Iago in II, i, 290—4, as part of his "motive-hunting". He suspects Cassio too (II, i, 302) and though such accusations are impelled by his own obsessive jealousy and hatred Shakespeare cleverly puts Emilia's "honesty" slightly in doubt by recording her conversation with Desdemona in IV, iii, 60—2 though these postures may have been intended to underline the insecurity of her marriage with Iago.

17. See Jean Klene, **"Othello:** a fixed figure for the time of scorn" **(Shakespeare Quarterly** (1976), 126—39.

18. As many critics have remarked, this physical assault marks the climax of the tragedy.

19. A point upon which Iago harps in I, iii, and II, i when he is expounding his "motives". After his plot starts to show its effects, he ceases to proffer explanations.

20. **cf.** II, iii, 161—3 and 334—5 (where he is spoken of as having been baptised).

21. Two unsigned essays on jealousy in **Othello,** August, 1749 and November, 1751 in Brian Vickers ed., **Shakespeare : the Critical Heritage** (Vol. 3 1733—1752: London and Boston 1975), 206—10; 439—41.

22. The modern view that he was foolish is not shared by critics in countries where "honour" is still held in high esteem and adultery remains a punishable offence.

23. The medicinal gum of Arabian trees was myrrh, an ingredient of incense, associated with sacrifice.

AGENTS OF SOCIALIZATION AMONG GULF ARAB YOUTH

By

Dr. Faisal S. A. Al-Salem*

INTRODUCTION

In the contemporary sense of the term, political socialization in the Arab Gulf is a recent phenomenon. The literature on the area has been essentially of a historical or journalistic nature. Empirical studies of social change, especially in the advent of the oil era, have only begun to appear.

This paper will attempt to study some of the causes and consequences of these changes which are unique in many ways. [1] An empirical investigation of the process of socialization will seek to answer some specific questions:

1. What are the agents of socialization?
2. What role do they play in shaping the attitude of the citizen?
3. To what extent have these socialization agents changed and influenced Arab culture in the drive toward modernity?
4. What is the role of the state in promoting some agents over others?
5. Is there evidence of fragmentation in the state?
6. What are some of the orientations of the youth?

* Chairman of the Political Science Department, and Assistant Dean, Kuwait University.

METHODOLOGY

The methodology of the research consisted of the distribution and analysis of a questionnaire administered to a random sample (5000) of Gulf Arab students. Twelve questions measuring specific indicators of socialisation were presented (SIS). These indicators were studied in terms of age, gender, family size, nationality, and socio-economic status. Only 1393 responses were accepted as valid, of the total sample; the remaining were rejected. It should be borne in mind that the sample is not trained to accept the questionnaire format of the study; indeed, the whole concept of research of this nature goes against the cultural grain in that it appears a violation of privacy. Negative attitudes toward the study were a major hinderance in obtaining data. The valid responses were processed by an SPSS program where correlation coefficient, regression and chi square analysis were obtained.

Table No. I indicates the break down of respondents per country.

Table No. 1

Country	**No. of Respondents**	**%**
Bahrain	469	33.7
Saudi Arabia	111	8
Qatar	232	16.7
UAE	235	16.9
Kuwait	287	20.6
Iraq*	3	0.2
Oman*	1	0.1
Other Arab Countries*	44	3.2
Unidentified	11	0.8
Total	1393	100.0

The research sample was composed of intermediate and high school students, with an average age of 17.009 years. Males constituted 28% of the sample, and females 71%; 1% declined to identify their gender. Females were significantly more forthcoming in answering the questionnaire, as the sample shows.

* These countries were not the objective of this particular study.

The questionnaire itself is presented in Appendix I. Average family size was 7 siblings, as identified below:.

Table No. 2

Average Family Size

	No. of Respondents	%
less than 2 siblings	25	1.8
2 — 8	759	54.5
9 — 12	471	33.9
13 — 16	72	5.1
more than 16	6	.4
no response	60	4.3
Total	1393	100.0

Finally, the socio-economic status of the respondents was as follows:

Professional	39.8%
Merchant	22.2%
Bureaucrat	26.6%
Laborer	2.2%
Retired/deceased/unidentified	9.2%

DISCUSSION

If one accepts as a working definition of socialization, the process whereby a culture transmits and transforms its values from one generation to another, one is still faced with the problems caused by the fact that Arab culture is not homogeneous. (2)

In the desert areas, such as in the countries under study, human survival is highly dependent on the ecological factors present. One factor, tribal loyalty, is imperative for individual survival. While religion is very important in consolidating society as a whole, it has not united the tribes under the leadership of Islam. Hence, tribal authority, which waned somewhat in the earlier Islamic period, has nevertheless continued its authoritarian domination of the individual. In such a situation, the primary agents of socialization would tend to be the customs and

traditions of the tribe. Schools, political parties, teachers, friends, mass media and neighbours would have lesser socialization effect. Since some of these agents have sprung up relatively recently, in the short period of time following World War II, when the Gulf area was suddenly thrust into the 20th century because of its oil wealth and strategic location, it merits study to determine exactly which socialization agents have affected change in the Gulf Arab youth.

RESULTS AND ANALYSIS

Age

Research results indicate that the Gulf students are confused and lacking in priorities. When asked to identify an important topic of concern to them, their answers were vague, particularly by those under 18. Research analysis showed a weak correlation between age and SISI (0.006), and F test confirmed the hypothesis of confusion as indicated in Table No. 3.

The results are illuminating, for while the research was being conducted, the Gulf area was in turmoil; the Irani-Iraqi war, the American hostages, the Arab Gulf Unity conferences, the Israeli excursions into Lebanon, the Palestinian problem all occupied critical coverage, yet the students in general failed to note these issues.

In the question following (SIS2) the respondents were asked about the commandos. It was felt that the students' responses would reveal to some extent their feelings about the defense of their own country. Instead, fully 55% of the sample expressed the belief that a commando is a defender of religion. Of those 24 years old and over, 7.4% believed that a commando is a defender of the nation. No one felt that a commando is a defender of the state. Other responses included 26.7% who described a commando as "the defender of honor", and 18.7% who described a commando as "the defender of the family and the tribe". Thus the findings reject the research hypothesis, that the students would identify a commando as one who defends his country. Analysis revealed an inverse relationship of —.05 between age and SIS2, as indicated in Table No. 3.

Most countries have some form of basic defense preparations, either as conscription and/or political indoctrination. ([3]) Respondents were asked whether they were exposed to any military or political training; 94.2% of the sample replied in the negative. The remaining 5.8% indicated that they had some political indoctrination in school. Of the total sample, 827 (59.3%) agreed to military training, if required; 385 (27.6%) indicated they would refuse, and 181 (12.9%)

declined to answer. The students under 18 were more inclined to agree to military training than the older students. Age and SIS4 correlated positively as indicated in Table No. 3.

In further testing, students were asked to choose among defending the state, accepting a scholarship joining a lucrative business or taking a trip. Most of the respondents regardless of age chose a scholarship over being a commando when asked to indicate a preference.

Those over 16 (85%) generally chose the scholarship, while students 15 years old and younger vacillated between defending the state (36%) and accepting a scholarship (32.6%). Some 15% of the sample were 15 years old or less. Statistical analysis also revealed a positive correlation between age and SIS5. The F test (.432) accepted the hypothesis that the respondents in general were not interested in defending their country.

In spite of their avowed preference for scholarship, as indicated in the previous responses, most students in the Gulf are not interested in scholastic achievement. Contradictions crop up frequently in questionnaires of this sort because students seem to give what they feel is the "proper" response. Compulsory education is a new phenomenon in the Gulf and formal education was not a high priority under the Bedouin ethic. When asked how they spent their free time, few students answered studying or reading; rather, 94% indicated that they read the newspapers or talked to family members.

Gender

What do Arab Gulf students do in their spare time? About half of the male sample responded that they read local newspapers rather than any other activity. Females (45%) preferred to chat with members of their family. Few mentioned traveling, in spite of the fact that most are financially able to do so. Only 1/3 of both sexes indicated a desire to travel in their leisure time. Of those who do travel, 65.6% went only to Arab countries. Most of the other 34.4% went to India. It seems that the Gulf students have little interest in other activities and maintain a traditional aloofness. Some 86.6% indicated that they travel for pleasure rather than to increase their knowledge; 7.4% went for study, while the remaining 6.1% traveled for business reasons.

The average incidental spending per month was over 50 KD (nearly $200). Spending habits vary with age, with the younger respondents (20 years old and under) spending significantly more than the older ones. The younger ones seek out materialistic outlets for pent-up social frustrations, it would appear. Females

Table (3)

(X1) AGE Relation to (YE)

AGE (X1) Regression

SISS (YS)

	X2	DF	X26	CC	S	CCS	MR	SR	R	BETA	F
SIS 1	18.233	20	.572	.006	1393	.402	.320	.029	.000	.027	1.079
SIS 2	54.491	48	.241	—.050	1393	.030	.322	.034	.035	.033	1.380
SIS 3	11.998	8	.151	—.012	1393	.323	.324	.048	—.045	—.021	.449
SIS 4	34.557	8	.000	.089	1393	.001	.333	.115	.200	.093	9.259
SIS 5	36.306	24	.051	.129	1393	.001	.334	.006	—.020	—.018	.432
SIS 6	31.022	24	.153	.058	1393	.015	.336	—.052	—.000	—.026	1.007
SIS 7	14.688	8	.065	.181	1393	.001	.336	—.028	.021	.009	.127
SIS 8	6.743	8	.564	.031	1393	.119	.339	.089	—.044	—.022	.485
SIS 9	76.476	16	.000	.042	1393	.056	.347	.129	.117	.080	6.225
SIS 10	42.903	48	.681	.024	1393	.184	.347	.058	.003	.004	.032
SIS 11	142.799	40	.000	—.001	1393	.477	.368	.186	.092	.146	28.642
SIS 12	29.433	28	.390	.033	1393	.109	.374	—.079	—.000	—.057	4.793

X2 = Chi Square
X2S = Chi Square Significance
DF = Degrees of Freedom
CC = Correlation Coefficient
S = Sample
CCS = Correlation Coefficient Significance
MR = Multiple Regression
SR = Simple Regression
B = Liniarity

Rete = Test of Liniarity
F = F Test

Table S (4)

SEX (X2) Relationship to (YS)

SEX (X2) Regression

SISS (YS)

	X2	DF	X2S	CC	S	CCS	MR	SR	R	BETA	F
SIS 1	4.320	4	.364	—.011	1393	.332	.267	—.011	.017	.044	2.416
SIS 2	2.117	6	.908	—.037	1393	.079	.269	—.037	.005	.013	.251
SIS 3	.209	1	.647	.134	1393	.001	.284	.134	.000	.059	4.204
SIS 4	.135	1	.712	.033	1393	.104	.284	.033	—.001	—.002	.006
SIS 5	23.243	3	.000	.056	1393	.018	.285	.056	.025	.048	2.185
SIS 6	3.342	3	.341	—.080	1393	.001	.297	—.080	—.024	—.094	11.330
SIS 7	12.550	1	.000	.013	1393	.314	.299	.013	.000	.012	.193
SIS 8	.019	1	.890	—.042	1393	.058	.299	—.042	—.000	—.029	1.149
SIS 9	17.553	2	.000	—.062	1393	.010	.300	—.062	—.000	—.019	.489
SIS 10	56.654	6	.000	.046	1393	.041	.300	.046	.000	.000	.001
SIS 11	8.339	5	.138	.091	1393	.001	.302	.091	.000	.001	.002
SIS 12	6.445	4	.168	.109	1393	.001	.329	.108	.061	.134	25.932

indicated that they spent mainly on clothes and males indicated generally on "amusement."

In terms of topics discussed both sexes correlated negatively with SIS1. Males indicated sex, love and relations with girls as their chief topics of conversation. Females indicated sex and school as their main concerns.

Although the students did not identify religion as one of their main topics of conversation, it permeates their way of life. In the aftermath of the Iranian revolution, the students appear to be particularly susceptible to that part of Islam which preaches Jihad — sacrificing one's self for religion. Thus, the majority of the respondents defined the role of the commando as a defender of Islam. Table No. 4 indicates that the only positive correlation for the role of the commando was the defender of religion. F test, however, (0.251) accepts the null hypothesis that females and males are deeply involved in religious teaching, especially in terms of Jihad. However, this idea is treated differently in practice, as indicated by SIS3, where 94.2% of the total sample expressed no preparedness for military duty. In addition, the respondents were asked whether they were willing to defend their country under severe circumstances. Only two-thirds of the total sample showed interest in doing so, if they had to, as indicated in table No. 4, where the correlation is weak (0.033) between gender and SIS4. Most of the respondents would rather go on scholarship than join the military. However, males showed more interest (51.1%) in accepting a scholarship than females (36.6%).[4]

Family Size

The size of the family is related to its religious outlook, with smaller families tending to be less traditional. Table No. 5 indicates a negative correlation between family size and SISI; F Test, however, confirms the research hypothesis that smaller families tend to be less traditional. This may be due to a higher standard of living, and the greater freedom of small numbers. The point is a sensitive one, however, and serious deviations from the prescribed form would have to be carefully hidden. Consider for example, the fact that many of the Gulf States prohibit liquor, yet it is common knowledge that it is available and it is consumed.

Religion is also closely associated with politics. The fact, mentioned earlier, that the samples defined a commando as the defender of religion, indicates that there is a general theocratic belief in the non-separation of state and religion. The result is confusion: regardless of family size, the sample (91.4%) refused conscription. Nor were those from smaller, less traditional families any more inclined to defend their country: family size did not have any bearing on the respondents choice of alternatives. Table No. 5 indicates a weak correlation between family size and SIS6. Larger families (over 10 members) indicated a

greater preference for watching television than smaller families. Smaller families (up to 4 members) traveled more than larger families, which might be expected, and spent more money on entertainment than larger families. Other than these findings, family size did not significantly affect other variables.

Nationality

The research hypothesis stated that regardless of nationality, the students in the Gulf would focus on political, economic and social problems in their daily discussions. However, statistical analysis shows a negative correlation of .110 between nationality and SISI. Unlike the Kuwaitis, Saudis, Qataris and Emiratis, the Bahrainis are interested in political affairs and discuss social problems. Compared to the rest of the Gulf, the Bahrainis appear more Westernized, more educated, relatively less wealthy, (due to Bahrain's enormous civil list, the Bahrainis would say) and more dissatisfied with the status quo. In the key question of the definition of a commando, the Bahrainis (56.6%) defined him as a defender of the nation; while the Saudis (65.2%), Kuwaitis (45.3%), Qataris (47.5%) and Emiratis (71.6%) defined him as a defender of religion.

Though they may have expressed admiration for the cammando, the students were paying convenient lip service for their admiration which did not extend to any practical lengths; barely 6% had any military training whatsoever, whether in defense of Islam or the nation. The correlation coefficient of .244 appears in table No. 6 and indicates the relationship between nationality and SIS3.

The Bahrainis also scored higher in patriotism measured as willingness to defend one's country in need, than the rest of the Gulf youth, whereas 74.7% of the Bahrainis indicated their willingness to defend their country, 69% of the Saudis, 68.9% of the Emiratis, 65% of the Kuwaitis, and 57.5% of the Qataris respectively expressed a similar willingness. Approximately 1/3 of the students did not state a willingness to defend their countries.

It would seem that a large number of the Gulf youth do not have political loyalty in view of the general absence of political participation and aggregation. The majority of the respondents, regardless of nationality, preferred to accept scholarships abroad rather than assume military duty in the following proportions: 43.9% of the Bahrainis, 47% of the Saudis, 43.8% of the Qataris, 49.5% of the Emiratis and 44.8% of the Kuwaitis. Table No. 6 shows a positive correlation between nationality and SIS5. Those who wanted to join the military were as follows: 30.4% of the Bahrainis, 26.6% of the Saudis, 13% of the Qataris, 18.4% of the Emiratis and 19.6% of the Kuwaitis.

Table (5)

Family Number (X3) Relationship (YS)

Family Number (X3)

Regression

SISS (YS)

	X2	DF	X2S	CC	S	CCS	MR	SR	R	BETA	F
SIS 1	22.733	16	.121	—.048	1393	.034	.226	—.048	.002	.001	.003
SIS 2	98.725	48	.000	—.017	1393	.255	.227	—.017	.053	.041	2.159
SIS 3	12.353	8	.136	.097	1393	.001	.240	.097	.000	.042	2.008
SIS 4	24.776	8	.001	.009	1393	.364	.240	.009	—.059	—.025	.585
SIS 5	26.134	24	.346	.030	1393	.125	.241	.030	.025	.014	.189
SIS 6	19.323	18	.372	.037	1393	.079	.244	.037	.034	.039	1.864
SIS 7	13.652	8	.091	—.024	1393	.079	.244	.037	.034	.039	1.864
SIS 8	12.113	8	.146	—.016	1393	.272	.245	—.016	—.000	—.013	.237
SIS 9	8.994	15	.913	—.019	1393	.228	.245	—.019	.000	.013	.237
SIS 10	71.676	48	.015	.058	1393	.014	.246	.058	.007	.014	.244
SIS 11	58.761	40	.028	.135	1393	.001	.258	.135	.011	.023	.508
SIS 12	9.000	20	.982	—.034	1393	.100	.261	—.034	—.059	—.039	2.087

Table (6)

Relationship of Nationality (X4) to YS

Nationality (X4) — Regression

SISS (YS)

	X2	DF	X2S	CC	S	CCS	MR	SR	R	BETA	F
SIS 1	8.533	8	.383	—.110	1393	.001	.899	.001	.000	.009	.649
SIS 2	171.951	42	.000	—.069	1393	.005	.899	—.213	.025	.018	1.988
SIS 3	20.466	7	.004	.244	1393	.001	.900	—.243	—.096	—.035	5.721
SIS 4	21.829	7	.002	.119	1393	.001	.900	—.156	—.064	—.023	2.772
SIS 5	69.641	21	.000	.145	1393	.001	.900	—.108	—.023	—.017	1.739
SIS 6	18.707	12	.095	—.020	1393	.221	.901	—.035	.000	.047	14.312
SIS 7	45.801	7	.000	.088	1393	.001	.901	—.005	.078	.026	4.591
SIS 8	39.401	7	.000	—.125	1393	.001	.902	.118	.049	.019	1.743
SIS 9	50.571	14	.000	—.138	1393	.001	.902	.146	.095	.051	11.642
SIS 10	76.702	42	.000	.060	1393	.012	.903	—.020	—.047	—.051	15.905
SIS 11	427.472	35	.000	.194	1393	.001	.903	.090	—.003	—.000	.144
SIS 12	12.777	16	.688	—.075	1393	.002	.904	—.037	—.000	—.012	1.022

The remaining choices were divided between traveling and going on a business venture. It would appear that nationalism is not a marked characteristic of the Gulf youth.

During their spare time, Bahrainis prefer to read local newspapers; Qataris, Saudis, and Emiratis discuss religion; and Kuwaitis prefer to chat with their families. Due to the the large number of female respondents, the national average for travel abroad is lower than might be expected. Females in Islamic societies in general and in the Gulf area in particular are sheltered and much more restricted in their movements than males. Therefore, the sample projected a strong sense of isolation. Of the sample, 75.8% of the Bahrainis, 63.6% of the Saudis, 53.2% of the Qataris, 67.4% of the Emiratis and 74% of the Kuwaitis do not travel abroad. Spending habits of the various nationalities vary widely; the majority of the Bahrainis indicated they do not spend more than KD. 20 per month, while 28.4% of the Saudis, 33.8% of the Qataris, 63.9% of the Emiratis, and 72% of the Kuwaitis spend over KD. 50 a month. The Bahrainis claim they spend their money on books, while the other Gulf students spend on entertainment and clothes.

Socio-economic Status

The results of the research revealed that topics of conversation varied according to socio-economic status. (5) The majority of the labour class indicated that they discussed economic matters. The merchant class responded that they addressed religious topics, and bureaucrats mentioned primarily political issues appearing in local newspapers. The professional class concentrated on political-economic matters.

In identifying the role of the commando, interestingly, only the merchant class defined him as a defender of the nation. The other classes all agreed that he was a defender of religion (labourer, 66.7%; bureaucrat, 54.7%; professional, 49.7%). Table No. 7 below clearly shows a negative correlation (—0.027) between socio-economic status and SIS2. The finding runs contrary to the popular notion that the more economically depressed an individual, the more he is likely to be politically radical. (6) 94% of the total sample, regardless of socio-economic status, disagreed with participating in military affairs. 67.2% of the total sample agreed to bear arms only if their countries faced a critical attack. 47.1% of the workers, 40.5% of the merchants, 45.1% of the bureaucrats and 47.2% of the professionals prefered to go abroad on scholarships as opposed to 17.6%, 29.8%, 23.5% and 19.3% respectively who would rather join military service. The remaining percentages were scattered between taking a trip or joining a successful business.

Table (7)

Socio-economic Status (X5) Relationship to YS

Occupation (X5) Regression

SISS (YS)

	X2	DF	X2S	CC	S	CCS	MR	SR	R	BETA	F
SIS 1	7.499	8	.483	—.032	1393	.110	.223	—.032	—.026	—.030	1.013
SIS 2	46.265	24	.004	—.027	1393	.153	.227	—.027	—.034	—.038	1.840
SIS 3	4.173	4	.383	.018	1393	.250	.229	.018	.000	.030	1.021
SIS 4	11.172	4	.024	—.035	1393	.092	.231	—.035	—.076	—.047	2.001
SIS 5	18.817	12	.093	—.028	1393	.144	.231	—.028	—.010	—.008	.067
SIS 6	11.312	9	.254	.025	1393	.169	.237	.025	.024	.041	1.995
SIS 7	36.633	4	.000	—.012	1393	.326	.238	—.012	.000	.024	.749
SIS 8	9.115	4	.058	—.016	1393	.273	.240	—.016	—.000	—.034	1.420
SIS 9	6.560	8	.584	—.004	1393	.440	.240	—.004	.000	.013	.223
SIS 10	25.735	24	.366	.033	1393	.105	.241	.033	.002	.007	.063
SIS 11	46.991	20	.000	—.043	1393	.051	.244	—.043	—.013	—.042	1.561
SIS 12	6.399	8	.602	—.004	1393	.435	.244	—.004	—.018	—.017	.403

66.7% of the merchant class spend their spare time watching television. Bureaucrats were divided equally (33.3%) between watching television, chatting with family members and reading local newspapers. 50% of the professional class however, spend their time reading newspapers, while 33% watched television and the rest prefered socializing with their family. Almost all the children of the labourers would rather socialize with their family.

In terms of travel, 78.9% of the working class, 19.2% of the merchants, 53% of the bureaucrats, and 31.5% of the professionals do not travel every year. As might be expected, the merchant class then the professional class travel more than the others. As mentioned earlier, most traveled to Arab countries, and mainly for pleasure.

CONCLUSIONS

The nation of political socialization in the Arab Gulf area is very recent, mainly due to the historical absence of political life. These countries have acquired their independence very recently and have not yet developed their political institutions in a more modern manner.

The societies of the Gulf are immersed in religious, tribal, familial and cultural impediments that are hindering them from achieving a modern form of government. Religion plays the major role in influencing the lives of the Gulf students. Family loyalty comes next in importance as a major socializing agent. The family in these societies dominates the individual in almost every aspect of his life. The average individual in the Gulf state must consult and get the approval of his parents or a senior member of the family for every major action on a daily basis. For example, he cannot marry, go to school, attend a university, choose a major, start a business, build a house, or even choose a friend without at least the tacit approval of his family. Such restrictions create a fatalistic dependency syndrom devoid of any creative individual action. Without the support (material and moral) of the family and its web of connections an average individual in these traditional societies cannot succeed on his own. Local newspapers, that mainly reflect the interests of certain families, are also important socialization agents. However, friends, colleagues, teachers, schools, the state and its mass media and services have little socializing effect, if any, on the political orientation of the youth in the Arabian Gulf.

Appendix I — Questionnaire

SIS1: What is the most important type of daily discussion among your friends?

SIS2: How do you define "Fedai"?

SIS3: Were you ever a Fedai?

SIS4: If not, would you like to be one in the future?

SIS5: If you were given the choice to be a Fedai, or receive a scholarship, or join a successful business, or a go on a tourist trip, which would you choose?

SIS6: What do you do in your spare time?

SIS7: Do you travel during your holidays?

SIS8: Do you travel to Arab or non-Arab countries?

SIS9: Do you travel for reasons of business, vacation or study?

SIS10: What do you do during your trip?

SIS11: How much money do you spend monthly?

SIS12: How do you spend your money?

Notes and Selected Bibliography

1. This paper is one of a series in a comprehensive study entitled "Political Socialization in the Arab Gulf States", sponsored by the Research and Training Committee at Kuwait University. The countries under study are Kuwait, Saudi Arabia, Qatar, UAE and Bahrain. The author would like to express his deep appreciation to Dr. Ahmad Dhaher and Dr. Maria Al-Salem.

2. On various definitions of the socialization process see :
Adler, Norman and Harrington, Charles, eds., **The Learning of Political Behavior,** Glenview, Illinois: Scott Foresman, 1970. Bell, Charles G., ed., **Growth and Change : A Reader in Political Socialization,** Encino and Belmonth : California, Dickenson, 1973. Dennis, Jack, **Political Socialization Research A Bibliography,** Beverly Hills, California Sage Publications, 1973. Beverly Hills, California Sage Publications, 1973. **Socialization to Politics,** N.Y. : Wiley, 193. Hyman, Herbert, **Political Socialization : A Study in the Psychology of Political Behavior,** N.Y. Free Press of Glenco, 1959.
Inkeles, Alex, "Sociology and Psychology," in **Psychology : A Study of a Science.** Vol. 6, Edited by S. Koch, New York : McGraw-Hill, 1963, pp. 317—387.
Kluckhohn, Florence, "Dominant and Varient Value Orientation," in **Personality in Nature, Society, and Culture,** Edited by C. Kluckhohn and H. A. Murray, Revised and Enlarged Edition, New York: Knopf, 1953, pp. 342—357.
Langton, Kenneth, **Political Socialization,** Boston, Mass : Little Brown, 1969.
LeVine, Robert, "Political Socialization and Culture Change," in **Old Societies and New States,** Edited by Clifford Geertz, Glencoe, Illinois : The Free Press, 1963.
Linton, Ralph, **The Cultural Background of Personality,** New York: Appleton-Century-Crofts, 1945.
Maccoby, Eleanor E., "The Choice of Variables in the study of Socialization." **Sociometry,** Vol. 24, No. 4, December, 1961. Merton, Robert K., "Contributions to the Theory of Reference Group Behavior" (with Alice S. Rossi) and "Continuities in the Theory of Reference Groups and Social Structure," in **Social Theory and Social Structure,** Revised and Enlarged Edition, Glencoe, Illinois : The Free Press, 1957.
Neugarten, Bernice L., "Personality Changes during the Adult Years," in **Psychological Background of Adult Education,** Edited by Raymond G. Kuhlen, Chicago : Center for the Study of Liberal Education for Adults, 1963.
Parsons, Talcott, **The Social System,** Glencoe, Illinois : The Free Press, 1951.
Parsons, Talcott, "Family Structure and the Socialization of The Child," in

Family, Socialization and Interaction Process, Edited by Talcott Parsons and Robert F. Bales, Glencoe, Illinois: The Free Press, 1955.
Sewell, William H., "Some Recent Developments in Socialization Theory and Research," in the **Annals of the American Academy of Political and Social Science,** Philadelphia, Vol. 349, September, 1963.
Sigel, Roberta, ed., **Learning About Politics, A Reader in Political Socialization,** N.Y., Random House, 1970.
Conscription is a recent phenomena in this part of the world.

Most females know in advance that their parents would not allow them to go abroad on a scholarship.

In this study, socio-economic status is reflected in the occupation of the father.

One should note here that economic deprivation is relative. Most of the native labor is not as economically, socially or politically depressed as the expatriate labor who by far from the majority in these states.
See in this context: Al-Salem, F., Al-Salem, M, and Farah, T., "Alienation and Expatriate Labour in Kuwait," Migration and Development Study Group. Center for International Studies. Massachusetts Institute of Technology. Cambridge, Mass., December, 1979.

SOCIAL CHANGE — ITS PROBLEMS AND REWARDS

By

Dr. FRANCES W. LOGAN

Thank you for your kind introduction. I wish to express my appreciation for the high honour bestowed on me by your invitation to visit Qatar and your University. It is a great privilege to have this opportunity to lecture to you on a topic of major interest not only to you but to the whole world. I hope the remarks I share with you tonight will serve as an incentive for us to engage in a stimulating and meaningful discussion. I apologize for my inability to address you in the Arabic language and to subject you to the problem of trying to follow my thoughts in English. I am happy that some of you are very fluent in English and will be able to interpret my remarks to those who may be less fluent. This has been a very happy visit to the State of Qatar and I am very much impressed by all the signs of constructive activity I witness wherever I go.

The subject of my address tonight is Social Change: Its Problems and Rewards. I chose this topic because of the interest all of us have in the phenomenon of social change. I selected it also so that we can reassure ourselves that change has both negative and rewarding aspects, all change is not good; neither is change all bad. With living as you are surrounded by evidences of social change which seems to be taking place in such a rapid rate, it is understandable that you will want to discuss this pehenomenon over and over. This is necessary to try to clarify the major issues associated with rapid social change. This is essential to provide a base for making decisions that will be constructive and will further the development of Qatar.

Social change has so many different meanings that it would not be possible nor desirable in such a short address to try to analyze it thoroughly and give attention to all of its meanings and aspects. Thus, I do not expect you to agree with all I shall say, but I hope you will bear with me in what will seem to some of you a very superficial handling of a many faceted subject.

Let me proceed by making some general comments about social change. Change takes place not only in all societies but in the various parts of each society. Not only is change inevitable but the rates of change among societies, and within the various parts of each society, proceed at different rates of speed. Thus, while change may be more rapid in one society than in another, we must recognize that change within a society varies in rate of change also.

In the past when societies and nations lived in relative isolation from some other societies, some nations which were the most isolated changed very slowly. Change in the isolated societies was slow because there was no urgent need for change and the people continued primarily in the well known and secure life styles to which they are accustomeed.

With the advent of industrialization, however, those nations which became industrialized first began to witness very rapid change in their life styles and changes are continuing in the present time. Industrialization has brought not only higher standards of living but also deep problems for which these societies are continuing to try to find mechanisms for their solutions.

Today there are no longer societies isolated from other societies except in very rare situations. The concerns of social change are facing all of us. We must, therefore, accept the fact of change. Acceptance of this fact results in the necessity of both understanding and experiencing the feelings associated with change. Basically, we both want and do not want change to take place. Moving from the familiar to the unknown creates strong feelings of fear, anxiety, confusion, a sense of being overwhelmed, and loss as well as feelings of anticipation, exhileration, excitement and hope. We may feel as if we were standing on one side of a chasm wanting to get to the other side but no bridge is provided. Pertinent questions come to mind. Shall we try to build a bridge? Can we fly across? What are the problems and hazards we will encounter and must overcome to reach the other side safely. What if the method we select is not workable and we fall into the chasm ? How would we accept this probable defeat ? Other questions will be in relation to what resources we possess to solve the problems and to what sources can we turn for help or assistance.

In spite of the uncertainties, in spite of the difficulties in our path, the hope and excitement of attaining our goal, of reaching the other side of the chasm provides the strength and motivation for us to try. As we seek to find the needed answers, we discover that others have learned to cross chasms and that it is appropriate to turn to them for assistance. We learn that the assistance they can provide can be both technological and ideological. In other words it consists of both material and non-material aspects. Do we have to take both? Is the assistance available consonant with what we want for ourselves. Thus, we must pause prior to, and many times during, our taking of assistance to assess its worth and to evaluate its probable effects upon our life styles.

We know it is not possible to have everything we want. We know that there must be trade-offs. We know a price must be paid whenever changes are made.

The question before us becomes one of deciding how much of the security of the present safety we are willing to risk to bridge the chasm to the unknown.

As we ponder the probable effects of our actions, we realize that no society can duplicate another and I hope we accept that there is no reason for one society to try to duplicate another. There are matters of the cultures of societies to be considered since the culture provides the values and norms (standards of behaving) for the culture. We become aware that changes in any part of the society stimulates changes in every other part.

More questions are before us for answers such as "How do we face the situation of changing one part of the society and retain those values we wish to keep?" How do we meet this dilemma and attain the positive awards of the desired change while minimizing the possible negative aspects. Even though sociologists and other academicians interested in this phenomonon have attempted to explore it deeply and have written volumes of material, there are no set rules as to how societies will change and no accurate methods for predicting the effects of change. Theories have been developed, modified, discarded and modifications of old theories have been reintroduced and new theories developed. Thus, while we possess considerable knowledge about social change we are still faced with a sea of uncertainty as how to deal with it.

Regardless of our present state of knowledge, change is continuous and inevitable; we cannot stop it nor should we permit it to occur in a haphazard manner. It seems to me the more appropriate way of behaving would be to plan the change we desire in our societies and attempt to develop mechanisms to give some direction to the course we desire it to take. In our planning efforts we must direct our attention in depth to studies and evaluations of the experiences of other societies in an attempt to avoid some of their pitfalls while benefiting from their successes. As we plan we must develop some measures to predict the probable effects of planned change on the other aspects of our society and even the probable effects of the effects.

Constructive planning requires that we set goals. Goal setting is an essential ingredient in planning. In goal setting clarification of goals must be made which can then lead to the selection of more realistic goals possible of attainment. With clear goals strategies can be chosen to bring about the desired change. Goals must be consonnant with the important values in the society. Since I will not attempt to be a one week expert on Qatar society, I hope you will bear with me as I draw illustrations from American society to try to clarify what I have said.

As you perhaps know, the United States long considered itself the haven for the peoples of the world who for whatever non criminal reason desired to settle there. You know also of the ideal of the United States as a "melting pot" with equal opportunity and justice for all as its motto. Assimilation was assumed to be the process by which this goal would be achieved. You know also that the ideal and reality have always been far apart. However, with the idealistic goal present and clear, the basis has been there to provide impetus to changes which have been made to attempt to implement the goal. As a result of these changes many disadvantaged groups who were excluded from the opportunity to participate in the main stream of American society are moving closer to that achievement. In this process of social change many problems are present for which there are no known solutions. Even the ideal of the "melting pot" has been modified. The diverse groups which make up American society are no longer in favour of assimilation as the way to achieve full participation in American society but perceive of that society as pluralistic or one which provides equality of opportunity while permitting groups to retain some of the values and norms relevant to their distinctive life styles.

Let us examine briefly how one technological change sparked the creation of other changes with their rewards and problems. As an American black, I am a member of a minority group which for three hundred years has been deprived of optimum enjoyment of the American dream. Slavery was introduced into America because it was considered an economic asset. It would probably have been discontinued if it had not been for the invention of the cotton gin. With cotton as "king" there was need for labour and slave-labour filled this need. As it flourished, a life style became intrenched in the United States which flagrantly violated its Constitution and its first ten amendments known as the "Bill of Right." This was possible because the masters justified the continuation of slavery on moral grounds insisting that it was within their religious beliefs to raise the level of functioning from savagery to civilization. Even after the legal emancipation of slavery, mechanisms were utilized and condoned by the very government which outlawed slavery to keep blacks in a state of subjugation. Black codes were written in the statute books of some states and municipal governments and thus were enforced by law. In other areas subjugation of blacks was inforced by custom.

However, the idealized value of justice and equal opportunity for all pricked the consciences of many Americans who saw the treatment of blacks and other minorities as contrary to this stated ideal. Without the assistance of such persons, the process of change would have been slower even than it has been. Dissatisfaction with the status quo had always been present among blacks but feeling powerless to bring about the desired change, major efforts were directed to an accommodation to the situation. By the middle of the present century,

dissatisfaction with the rate of change gave impetus to blacks to assert themselves to achieve freedom. The civil rights struggle of the sixties was supported by many sympathetic caucasions who joined in the struggle with the blacks. Sparked by university students and given guidance by persons like the late Dr. Martin Luther King and the former Ambassador to the United Nations, the Reverend Andrew Young, change was achieved and Civil Rights Legislation was passed by the Federal Government outlawing discrimination. It is interesting to note that in the selection of possible strategies to try to achieve its goal, the leaders of the struggle turned to the non violent strategies of Mahatma Gandhi. Non violent behaviour was studied and in practice sessions the participants learned how to handle insults and attacks on their persons in a non violent manner.

It would be naive to believe that the passage of legislation would immediately resolve the issues in the struggle. The struggle continues and will be present for some time but legislation provides the base for these continued activities to achieve the goal. Implementation has been forestalled by the strong resistance of some members of the society who view the inclusion of minority groups in the American Dream as an infringement on their rights. Lately as the economy of the United States is experiencing a difficult time, resistance to the implementation of civil rights legislation has stiffened to the point where many are fearful that some of the advances achieved in the sixties will be nullified.

In addition to the fact that many blacks have benefitted as a result of the civil rights struggle and avenues to fuller participation in the mainstream of American society are more available, an additional reward is that the black struggle inspired other disadvantaged groups to marshall their forces to achieve their rights as guaranteed by the United States Constitution. Among these groups are the Spanish Americans, the native Americans (American Indians) and women. Pressures from persons suffering from other handi capping conditions have also come to the forefront.

I use this lengthy illustration to point out that the fact of change brings with it problems as well as rewards. I use it to demonstrate that regardless of the conditions surrounding change, the process of change is one of continued struggle. I use this illustration also to point out that change is always met with resistance to the change, and I use it to show that there is always present in the elements of the society desiring change a relation to the values and ways of behaving of the indigenous culture. Societies devoid of problems of racism with its resultant problems of prejudice and discrimination must confront other major issues where there are pressures for change. Whatever the situation, the commonalities I have listed are among the issues which must be faced and for which solutions must be found.

In the civil rights illustration cited above I should mention that another reward growing out of the passage of the legislation is that it gave those persons who regarded racial segregation as morally wrong the opportunity to function in keeping with their value stand openly.

Since the problem of racism has been one of the pervasive ones in American society let me cite another approach to change other than legislation. The supreme court of the United States in a judicial decision in 1954 found that segregation in public education was contrary to the constitution of the United States. This decision which reversed an earlier 1898 decision which had established the doctrine of separate but equal education as permissible under the constitution was met with strong and in some situations violent resistance by some caucasions who believed the decision would cause extreme disruption in their families and way of life.

In addition to the violent reaction of some caucasion groups other problems seemed unresolveable in implementation of the decision. Blacks for many generations have for the most part lived in special areas and except in the south where busing to schools was a way of life to maintain segregation, the concept of the neighbourhood school was the prevalent one. Thus, in many areas where by location of residence the schools were racially segregated, busing was viewed as a reasonable device to assure integrated education. As you probably know, more than a quarter of a century has passed since the 1954 Supreme Court Decision and communities within the American Society are still struggling to resolve the problems related to its implementation.

This illustration gives support to the complexity of social change in today's societies. In this situation a decision by the highest court in America initiated a series of other complex situations requiring change. If we consider both of these illustrations together, I think we will note they have such items in common. Among these commonalities the positive ones include :

(1) The society was stimulated to function more in keeping with its accepted ideals.

(2) The self image of members of minority groups was strengthened.

(3) By Law and by Judicial decision the legal base for discrimination was outlawed.

(4) The possibility of full participation in the main stream of American society became realistic for members of disadvantaged groups.

On the negative side, the ledger changes created such disruption of the status quo that some members of the society resisted the changes even to the point of use of violence. The problems of implementing social change even with the support of legislative and judicial action are multiple and complex. Prediction of the effects of change has not been solved.

I indicated earlier in this address that continual assessment and clarification of goals are necessary ingredients in maximizing the optimum effects of change efforts. I pointed out also that every change effort is accompanied by problems and negative aspects which hopefully can be minimized by planning.

To continue with our discussion of social change we must consider that as a result of desirable technological advances changes can be expected in the non material elements of a society. While technological change may be more easily understood and accepted, changes in the non material aspects of a society are often met with more resistance. We find ourselves at the point of questioning ourselves as to whether technological advances and subsequent changes in the material aspects of society and non material or humanistic values must be in conflict. It is a challenge to every society to develop strategies to develop technologically and ideally at the same rates of speed. Whether this challenge can be met successfully is unknown but there is the possibility that man with his great wisdom to solve technological problems may find methods to deal with humanitarian problems more successfully.

My major interest is in the realm of humanistic values and I will limit the rest of my address to consideration of social change as affecting these values. Every society to survive must have methods for caring for the welfare of its members. All human societies share universally basic needs for provision of shelter, food, clothing and protection, satisfaction of these needs, however, results in a wide myriad of life styles as each society makes these provisions in ways which are consonant with its values and ways of behaving. Prior to the technological changes which made all of us neighbours, life styles were developed that were functional for a specific society in light of the environment in which the society was located. The types of clothing we wore, the types of food we ate, the types of shelters we devised and methods for protection were relevant to what the environment provided. We know, however, that all types of basic human behaviour are known in all societies. What is permitted in one society may be vastly different from what is permitted in other societies. Children are socialized into a particular society and through this process are expected to learn and practice the ways of behaving associated with that society. In present times, however, societies no longer have the option of living in isolation from others and in maintaining their life styles unscathed by contact with other life styles.

Fear and anxiety become prominent especially among the older members of the society as they see their youths begin to adopt ways of alien cultures. Some of the fear is understandable both because of the unknown effects upon these adoptions on the stability of the society but also because the adopted ways may be viewed as incongruent with the values of the indigenous culture.

The process of diffusion or borrowing from one society for possible adoption by another has been practiced ever since human societies have had contact with each other. Diffusion has had positive results on the life styles of societies. What is new about borrowing is the rapidity with which changes are made or expected to be made and the resulting lack of time for the adopting society to test the consonance of the possible adoption within its existing life style.

The potential, therefore, is real, that disruption will occur in established institutions such as the family, education, religion with too rapid adoption of borrowed items from other cultures and societies. Industrialization by way of illustration brings about changes not only in the economic structure of a society but also in family structure. As more family members become involved in the work world for money wages, changes in role performances can be predicted and expected. While role performances may change conflict arises when role expectations do not change harmoniously with role performance. In addition some families in the society may inaugurate changes in the expected behaviour more rapidly than what may occur in more conservative families. I am certain all of you are aware of some of the problems and rewards in this situation.

Please permit me to use an example again from American society to illustrate this point. Less than two hundred years ago the United States was an agrarian society. Large families with several generations living in the same structure or nearby were economic and social assets. Many hands were needed to provide the family with the basic needs of food, shelter, clothing and protection. Large families were assets also to assure that some would survive to care for the elder family members when they could no longer care for themselves.

With the advent of industrialization and urbanization, large families were no longer an asset but became an economic liability. Family members moved away from the family home to be closer to places of employment. Many of the functions formerly performed by the family were assigned to other institutions. In addition more technological advances decreased the need for many hands to perform the tasks essential to the well being of the family. Mobility required that only the nucleus family be established as the preferred family structure. Removal from the protective environment of the home and the support of family members created the soil in which family problems nourished. Some of the

problems which would formerly have been the concern of the family had to be handled by persons unrelated to the family. While several sources have at times tried to meet these needs, I will identify one structure which has become a permanent part of our society and that is a bureaucratic welfare system.

The present system while organized to meet many of the needs of individuals, families and communities is felt to be unresponsive to these needs by many. Problems created by industrialization with its growth of cities, secularization and changes of family structure have left many people feeling isolated and rootless. I know that many of you have been following **Roots** by Alex Hayley and are conscious of what the meaning of roots meant to that family. It is interesting to note that many of my non black friends who viewed Roots were aroused to anxiety because of the rootlessness of their immediate families. With an increasing number of families living at great distances from their families of orientation, their children are growing to adulthood with little or no association or contact with their kinsmen. By the same process many elderly people are lonely and not in contact with their families in a physical sense. In trying to respond to the needs of many elderly people, the welfare systems in some parts of the country has sponsored a program where elderly people serve as substitute grandparents for children without contact with older adults in their own families. These situations in which families lose contact with their members and where intergenerational interaction is not possible have a direct relationship to the changes in human values. Realizing that changes in family patterns may have negative effects on maintenance of desirable human values, a society must make plans to cope with such changes. The special challenge to societies such as Qatar which are just beginning to experience the effects of industrialization is how to set priorities in the human area as well as in the technological. The challenge is how to preserve, maintain and strengthen those values which are conducive to life in an industrial society, how to modify values that lack some congruence with the changes in society and how to discard those which are no longer meaningful. The challenge is how to make such selections, how to establish priorities and how to develop measures to prevent more accurately the effects of change. While each society must actually solve its own value conflicts in light of its own culture, I have suggested that a structure of a system of social welfare responsive to the human needs of the society can contribute to the prevention and solution of some problems associated with social change. Such a system can help assure the members of the society the attainment of a decent standard of living consonant with the advances in the world. For successful work the structure must make certain that the practitioners providing social welfare services have the knowledge, attitudes and skills essential for such practice. The profession of social work has developed methodology based on knowledge and appropriate attitudes to educate social workers.

I am happy that Qatar has recognized the importance of attention to the area of human living as well as technological advance by making available to its university students education in disciplines such as psychology, anthropology, social work and sociology. I cannot over emphasize the importance of planned attention to what is happening to humanity in periods of rapid social change and the necessity to conserve essential human values. Let us remember that what we borrow from other cultures for adoption needs to be examined in the light of the probable effects on the existing culture. There is a saying that "the grass looks greener on the other side." Let us examine the grass carefully and test it to see whether it will thrive in our society before we buy it, plant it and hope it will take on the characteristics we desired and expected. Cultures and societies like individuals and like grasses are of many varieties. Each has its own aspects of strength and problem. In a world which has grown so small, our dream may be for a world of complementary societies and cultures where each culture might add to the richness of the others while maintaining those elements essential to its uniqueness as a culture. It is my belief that with a strong sense of value, love and acceptance of ourselves, we can make meaningful and wise utilizations of experiences of other cultures.

In conclusion let me reiterate. Change is inevitable, we cannot stop it but we can make constructive use of knowledge and develop new knowledge to try to shape the course of change. We are all neighbours. Neighbours in the most constructive sense care about each other and share with each other. For the relationship to flourish, the sharing must be one of mutual respect for each other and the unique contributions each can make for the good of all. Coping with social change is, therefore, a world problem as well as one for each society. It is a challenge but human beings have constantly been able to respond positively to challenges. As we meet this challenge, let us give special priority to human values and the conservation of those that contribute to healthy and fruitful living.

It has been a great pleasure to address this audience. Again let me express my appreciation for this opportunity to lecture to you. I will risk my limited knowledge of the Arabic language by saying "Shukran wa assalam alaykum."